محمد يونس هاشم

فتح وحماس

من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة

حقائق .. وثائق .. تحليلات موضوعية

الـكـتـــاب : فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال للصراع على السلطة

المـــؤلـــف : محمد يونس هاشم

الطبـعــــة : الأولى عام ٢٠٠٧

رقـم الإيـداع : ٢٥٤٣٠ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولي : 977-6121-47-0 I.S.B.N.

النـاشـــر : دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع .

رئيس مجلس الإدارة : د/ هدى الكومي

المدير العام : منى عثمان

مدير التحرير : محمد عبد الرحمن بدوي

مدير التسويق : غادة منصور

مدير العلاقات العامة : مها عبد الفتاح

مدير المبيعات : أحمد مقبل

مدير القسم الفني وتصميم الغلاف : هبة عبد العزيز

عنوان دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع : ٩٥٣ كورنيش النيل – مصر القديمة – بجوار البنك الأهلي القديم – الدور التاسع .

ت : ٢٥٣١٢٣٢١ – ٢٥٣٢٦٧٤٤ – ٠١٢٢٢٤٦٠٦٨٠ – ٠١٠٦٦٣١٥٨٤

Email : darelebdaa@hotmail.com



يسعد دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع أن تواصل إصدار مؤلفات المفكر الأديب محمد يونس هاشم الذي تلقى دائما مؤلفاته الأدبية ، والسياسية ، والفكرية ، رواجا كبيرا في شتى أنحاء العالم : العربي والأروبي لما يتميز به من حس أدبي وذوق رفيع في انتقاء كلماته التي تعبر عما يدور في واقعنا بكل أمانة وصدق ، سواء أكان هذا الواقع مريرا أو مشرقا ، كما أنه يتحرى الدقة والحيدة حين يتقصى الحقائق حول أي موضوع يتناوله مما يكون له أثر كبير في محاولة استنباط نتائج تؤدي بدورها إلى علاج الكثير من الآفات التي تضرب بعمق في المجتمع المصري والعالم العربي ، حيث يعكف أولا على تجميع الوثائق والحقائق ويترك للقارئ دائما التوصل إلى النتائج دون تدخل فيها ، لفرض وجهة نظره ، وهذا الأسلوب يترك للقارئ مساحة رحبة لانطلاق فكره ، وإمعان عقله في استنباط النتائج وحلول المشكلات المعضلات التي يعاني منها المجتمع المصرى والمجتمع العربى ،مما دعانا إلى البدء فى ترجمة معظم مؤلفاته إلى اللغة الإنجليزية لكى تسهم فى تصحيح أفكار العالم الغربى عن قيمنا وأفكارنا ومبادئنا وحقوقنا المشروعة وقضيتنا العادلة وبصرف النظر عن اختلافى مع بعض أفكاره حول تلك القضايا المصيرية فأنا أحييه وأشكره من خلال تلك الكلمة على الجهد الدءوب المضنى الذى بذله فى خلال ثلاث سنوات حين طرح علينا الفكرة حتى الآن لإصدار هذا الكتاب الذى تحمست له ، كما أتحمس دائماً لكل كتاباته لما تتميز به من الجرأة والموضوعية والرزانة والأسلوب الرصين والفكر الثاقب فى دراسة أى موضوع يتناوله وهذا لا يمنع بالطبع من التعبير عن رأيي ولو كان مخالفاً للسياسة العامة للحكام العرب فى النهج الذى ينبغى أن يسيرو عليه لنصرة قضيتنا العربية الإسلامية وتحرير القدس من براثن الاحتلال الإسرائيلى وأنا على يقين من أن يد العرب التى تمتد الآن حاملة فى يدها غصن الزيتون وتنادى بالسلام قادرة على أن تحمل مرة أخرى السلاح لتحرير الأرض الفلسطينية ونصرة القضية العربية فليس ضعفا أن ننادى بالسلام ولكن مصداقا لقولي تعالى " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها " فكيف تمتد يد العرب

بالسلام وغصن الزيتون فى الوقت الذى تتواصــل فيــه الانتهاكــات الإســرائيلية والاعتداءات السافرة من جنود الاحتلال الإسرائيلى على الفلسطنيين فى الأراضــى المحتلة ، وأسرد هنا بعضاً وليس كلاً من هذه الجرائم البشعة منذ مؤتمر أنابوليس فكيف نجلس على طاولة المفاوضات مع أيادى ملوثة وملطخة بدماء الشهداء أ ليس فى هذا إذلال لكل العرب ؟

ومن هذه الاعتداءات التى كانت تتكرر بصفة يومية منذ مؤتمر أنابوليس .

" مصرع وإصابة ٩ فلسطينيين فى غارة إسرائيلية .

* إسرائيل تقتل ١٣ فلسطينيا معظمهم من كوادر المقاومة فى وقفة عيد الأضحى المبارك بعد إنهاء أعمال مؤتمر المانحين بساعات قليلة فــى فرنســا ممــا دعــى "ساركوزى" الرئيس الفرنسى إلى مهاجمة الممارسات الإســرائيلية التــى تخنــق الاقتصاد الفلسطينى خاصة واستمرار الأنشطة الاســتعمارية وطالبهــا بالتجميــد الفورى للاستيطان والانسحاب من الضفة وفتح المؤسسات الاقتصادية فى القــدس وإنهاء الاحتلال والسماح للشعب الفلسطينى بتحقيق كرامته .

" فلم يكد مؤتمر باريس للدول المانحة بشأن دعم الشعب الفلسطينى يختتم أعمالهم وقبل أن يعود مندوبو الدول والمؤسسات الدولية الــ ٩٠ التى شاركت فى المؤتمر إلى بلادهم كانت الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية تشهد مزيدا من التفجير وموجة اغتيالات نفذتها القوات الإسرائيلية ضد كوادر سرايا القــدس فــى غــزة دون أن تراعى إسرائيل مناسبة إسلامية لهم وهى عيد الأضحى ، تلك الاغتيــالات التــى تنسف الجهود المبذولة فى مؤتمر أنابوليس ، مؤتمر المانحين ، وتجهض الجهــود الدولية المخلصة والرامية لمساعدة الفلسطينيين والإسرائيليين فــى التوصــل إلــى تسوية نهائية ، ومن ثم كان على إسرائيل أن توقف كافة عمليات الاغتيالات التــى تنفذها ضد الشعب الفلسطيني وتخفيف القيود الأمنيه عند المعابر والســماح بنمــو اقتصادى فلسطيني يمكن أن يخدم فى بناء الدولة الفلسطينية المستقلة ، ويجــب أن تتوقف جميع المفاوضات معهم حتى تلتزم إسرائيل بتعهداتها – مــع أن اليهــود لا عهود لهم – لكن لعل وعسي .

فكل فرص السلام تتلاشي مع كل طوبة تضاف للمستوطنات الإسرائيلية حيث طالب السيد عمرو موسي الأمين العام للجامعة العربية إسرائيل بوقف تلك الممارسات واستنكر فى كلمته أمام مؤتمر باريس للمانحين إعلان السلطات الإسرائيلية عن مناقصة لبناء مستوطنات فى الأراضي الفلسطينية المحتلة بالقدس بعد أيام قليلة من إعلان التزامها خلال مؤتمر أنابوليس لوقف بناء المستوطنات .

وسنترك للقارئ العزيز معايشة هذه الحقائق من خلال سطور هذا الكتاب الذى يحاول المؤلف من خلاله أن يكون موضوعيا وحياديا فى نظرته وتقييمه لتلك الأحداث على أساس الوثائق التى جمعها من خلال جهد مضن فى تقصى الحقائق وتتبع الاحداث فى جهد دءوب عكف على دراستها وتحرى الدقة فيها بكل أمانة وحيدة دون التحيز لطرف فلسطينى على طرف آخر لتكون نبراساً لكل الفصائل الفلسطينية والعرب حتى يتلاشوا الأخطاء التى وقعوا فيها من قبل والتى كانت سببا رئيسيا لانشقاق وحدة الصف الفلسطينى والعربى أيضا ، ولا سبيل لنصرة القضية الفلسطينية إلا تحت قيادة واحدة مخلصة مؤمنة بقضية الشعب الفلسطيني العادلة والتمسك بالثوابت الرئيسية دون تقديم أى تنازلات ، وكفانا تنازلات يا قادة فلسطين وكفانا مؤتمرات يا حكام الشعوب العربية .

موتوا فينا الهوية .

ضيعتوا مجد أجدادى .

د / هـدى الكـومى

رئيس مجلس الإدارة

محررة عسكرية بالإعلام العسكرى

عضو إتحاد الناشريين

عضو إتحاد الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الصراع الداخلي لأي أمة يطفف من ميزان قوتها إن لم يقض عليها بالكلية ، وهذا ما حدث مع الأمة العربية فقد انشغلت بالصراعات الداخلية عن الأخطار الخارجية التي تتهددها مما كان له أبلغ الأثر في القرار الجائر الذي أصدرته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية .

وعلى أثر صدور قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين أعلنت بريطانيا أنها ستنهي انتدابها عن فلسطين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وكان الأمر واضحا أن الصهيونية العالمية كانت قد خططت لإنشاء دولة صهيونية في فلسطين سيعلن عنها فور انتهاء الانتداب البريطاني لذا مدوا العصابات اليهودية في فلسطين بكل ما يحتاجون إليه لإقامة دولتهم من مال ، وسلاح ، وتدريب وتخطيط . كما عملوا على نزع السلاح من الفلسطينيين !

وبدلا من دعم الدول العربية للفلسطينيين وقوات المتطوعين لمنع التقسيم ، أو إقرارهم بالأمر الواقع الذي فرضه ضعفهم وقوة عدوهم وتواطؤ القوى العظمى ضدهم بقبولهم لقرار التقسيم بعدما فشلت كل الجهود الدبلوماسية في التوصل لأفضل منه بدلا من هذا وذاك ، راح العرب – كما هي عادتهم – يلجئون إلى الخطب الرنانة وإثارة الحماسة الدينية والإقدام على المغامرات غير المحسوبة بغية تصفية حسابات مع بعضهم البعض ، والتنافس على توسيع حدود ممالكهم على حساب دولة فلسطين مستترين وراء الدفاع عن المقدسات الدينية والأرض العربية مزايدين في القومية على منافسيهم من القوى السياسية الذين يرون أن الجهاد الحقيقي إنما يكون من أجل الجلاء والدستور والديمقراطية ، وتوجهوا إلى الجماهير العربية التي سبق أن ساموهم الخسف والعذاب ، والفقر والجهل والمرض راح هؤلاء الحكام المستبدون يمالئون الجماهير العربية التي كانت تضج بالحماسة

للقضية الفلسطينية وتجعلها في مقدمة اهتمامها وقرروا تحريك الجيوش إلى فلسطين للقضاء على اليهود في غضون أيام قلائل هكذا أوحى حكام العرب لشعوبهم !

وليت أنهم أعدوا للحرب عدتها بل أرادوها مظاهرة عسكرية ليس إلا ، فالجيوش العربية للدول الخمس التي تدخلت عسكريا في فلسطين كان تكوينها أصلا معدا على أساس القيام بالعمليات البوليسية وبغرض إظهار المظهرية فقط لذا فلا عجب أن يهملوا جمع المعلومات عن قوة العدو الصهيوني ، ليس ذلك فحسب بل إن أعْدَاد القوات التي أرسلوها للقتال لا تتناسب فقط وعدد العرب آنذاك (الذي كان يصل إلى سبعين مليون نسمة ، بالإضافة إلى أربعمائة مليون مسلم في مقابل ستمائة ألف يهودي) بل لا يتناسب مع عدد اليهود المشاركين في المعركة !!

كانت الجيوش العربية قليلة العدد ، ضعيفة القيادة ، عديمة الخبرة والتدريب الحديث ، ضئيلة التسلح كان عليها أن تدخل في مواجهة إسرائيل بصلابتها ومساندة الدول الغربية لها . كانت الدول العربية تقف في جبهة مفككة يعوزها التنظيم وتفتقر إلى الوحدة ، رجال السياسة فيها عاجزون وركبتهم الأوهام ومتأكدون من تفوقهم لدرجة أنهم اعتقدوا أنه يكفي جمع المعلومات عن العدو في اللحظات الأخيرة قبل القتال ، ويفسر الباحثون هذا الجهل بالتناقض الحاد في الحساسيات والتقديرات التي تميز مشكلة فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ، وقد انعكس ذلك على العرب حيث لم يتخذوا الأهبة ولم يجروا استعدادا ولم يضعوا أي خطة جادة لمتطلبات الحرب ولم يكن همهم الأول إنزال الهزيمة بالعدو والانتصار عليه وإنما مراقبة بعضهم البعض تربصا وخيفة حتى في أثناء العمليات العسكرية والاشتباكات المستمرة .

إذا كان حال الجيوش العربية بهذا الضعف ، والوحدة العربية بهذا التفكك ، والحكام العرب بهذا العداء و التخوين ، فلماذا أقدم حكام العرب على الحرب ؟

والجواب ببساطة أو بمرارة أن حكام العرب كان غرضهم من دخول الحرب ليس دحر اليهود وإعادة حقوق الشعب الفلسطيني له أنما كان التحاسد والتباغض بين بعضهم البعض هو الغاية المنشودة من هذه الحرب فقد كان الملك فاروق يضمر الحسد من الملك عبد الله فلكل منهما أهداف من الحرب مخالفة للآخر ولقد سعى كل

واحد منهما إلى تكوين تحالفات لإفشال خطة الآخر " فالأردن تؤيده العراق أراد التدخل عسكريا كي يؤمن أجزاء من فلسطين التي خُصِصَتْ للدولة العربية حسب خطة التقسيم في حين أن مصر تؤيدها السعودية أرادت أن تعوق خطة الأردن / العراق بإلغاء التقسيم " (١) .

إن مواقف المسئولين العرب آنئذ كانت بدون شك حماية لكرامتهم ولضرورة بقائهم السياسي ، فبعد أن أثاروا شعوبهم إلى درجة كبيرة من الحماس من أجل المشكلة الفلسطينية ولقنوهم بتصريحات متوقعة للانتصارات وأخفوا عنهم التدهور في الموقف العسكري بقدر ما استطاعوا ، فإنهم لم يستطيعوا عقد سلام دون أن يضعوا أنفسهم في موقف حرج لأن السلام يعني – في هذه الحالة – إما تنازل عن معظم فلسطين لليهود بعد حرب " حوربت " لمنع هذا الظلم ، وإما أن يعني السلام اعتراف المسئولين العرب بالهزيمة وهو ما يمكن أن يعزى إلى سوء إدارة الحرب المزري من جانب الحكومات العربية .

وقد كتب " جلوب " قائد القوات الأردنية في حرب ٤٨ حول هذا الموضوع يقول : " لست أعرف على مدى التاريخ عملا في مثل هذا القدر من الحمق والتهور أتى به رجال تقع عليهم مسئولية الحكم .. لقد ضاع مستقبل شعب فلسطين ضحية لتعدد السياسات العربية وعدم وضوح هدف نهائي للعمل بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك حد أدنى للتنسيق بين هذه السياسات " (٢)

وفي النهاية وطبقا لاتفاقيات الهدنة الدائمة حصلت إسرائيل على النصيب الأكبر وهو ما يصل إلى ٢٠,٩٣٢,٠٢٣ دونم في حين تبقى للعرب ما مساحته ٦,١٠٥,٠٠٠دونم منها ٥,٧٥٥,٠٠٠ دونم هي مساحة الضفة الغربية ، و ٣٥٠,٠٠٠ دونم مساحة غزة ، وفي حين كان قرار التقسيم يعطي ٤٢,٨٨ % للعرب و ٥٦,٤٧ % لليهود ، أصبحت النسبة ٢٢,٦ % للعرب ٧٧,٤ %

---

(1) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ٢٨ دار المعارف ط١ .
(2) نفسه ص ١٧.

ولقد قُسِّم الجزء المتبقي من أرض فلسطين بين الملك فاروق ملك مصر ، والملك عبد الله ملك شرق الأردن ، فقد قام الملك عبد الله بضم الضفة الغربية الفلسطينية ، وإعلان المملكة الأردنية الهاشمية ، وكذلك قامت مصر في العهد الملكي بوضع قطاع غزة تحت الإدارة المصرية .

كان ذلك خطأً تاريخيا قاتلا ، لم ينتبه إليه العرب ، ذلك لأنه كان الواجب العربي يحتم – إذا خلصت النوايا – أن تقام دولة فلسطين على ما تبقى من أراضي فلسطينية (الضفة الغربية ، وقطاع غزة) منذ إعلان الهدنة عام ١٩٤٩ ، ولا ينتظرون حتى تضيع كل الأراضي الفلسطينية في يونيو ١٩٦٧ ثم ينادون بحكم ذاتي للشعب الفلسطيني على أراضيه المحتلة بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧ . تصور كم عاما أضاعها الحكام العرب على شعب فلسطين ؟! أربعة وأربعين عاما (منذ إعلان الهدنة ١٩٤٩ إلى اتفاقية أوسلو ١٩٩٣) تغيرت فيها الأمور : قويت إسرائيل وكثر عددها وعتادها واستوطنت الأراضي المحتلة ، وضعف العرب وكثر اللاجئين الفلسطينيون واستوطنوا البلاد العربية ، لقد كانت القوى العربية قادرة على إيصال الضفة الغربية مع قطاع غزة بشريط أرض يمكن قيام دولة فلسطينية على الأرض التي كانت تحت السيادة الأردنية والمصرية ، ولكن عامل الوصاية على الشعب الفلسطيني أخَّر القضية لهذه الأعوام الطويلة ، ولو أنه تمكن الشعب الفلسطيني من إدارة شئونه بنفسه لتغير وجه التاريخ في هذه المنطقة على الإطلاق ولكان ما يسعى الفلسطينيون الحصول عليه الآن قد تحقق عام ١٩٤٩ (١)

وترتب على هذه الحرب الفاشلة ، والوصاية الظالمة أن نزح أكثر من ٧٠٠ ألف فلسطيني إلى الأردن وقطاع غزة وسوريا ولبنان وانتهي بهم الوضع إلى العيش كلاجئين في البلاد التي نزحوا إليها . وهكذا انتهت حرب ٤٨ بين العرب وإسرائيل أو على الأصح بين العرب والعرب ، والعرب والإسرائيليين على أرض فلسطين !

(١) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي " إسرائيل إلى زوال " دار الأمين للنشر والتوزيع ص ١٣٧

وقد انتهت الحرب وأصبحت إسرائيل من الناحية العملية دولة قائمة على أرض فلسطين وقد عقدت بين إسرائيل وبين الدول العربية هدنة دائمة ، وقد أعلنت أمريكا وإنجلترا وفرنسا أنها تكفل بقاء الحالة في الشرق الأوسط بكل الوسائل المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة وفي غير ميثاق الأمم المتحدة (١)

كما اتخذت إسرائيل تجاه الدول العربية منذ إبرام الهدنة سياسة صارمة تقوم على أساس الردع الحاسم والرد العسكري العنيف على أي حادث تافه من قبيل أعمال التسلل عبر خطوط الهدنة .

وكان بن جوريون ورئيس أركانه موشى ديان حريصين على إظهار القوة العسكرية لإسرائيل وتوتير الموقف على خطوط الهدنة بقصد حمل الدول العربية على قبول إسرائيل والاعتراف بها وبقوتها والتخلي عن أي تفكير في قتالها ففضلا عن الهجمات العسكرية على القرى العربية بما لا يتناسب مع ما يرتكب من حوادث (٢) ، دأبت إسرائيل على القيام بمناورات قرب خطوط الهدنة . وقد صرح ديان بأن مثل هذه التصرفات ضرورية ليس من أجل حمل الدول العربية على فرض سيطرتها التامة على حدودها فحسب ، وإنما لوضع سكان إسرائيل وجيشها في حالة عالية من التوتر كذلك وإلا كف هؤلاء السكان عن أن يكونوا شعبا مقاتلا منظما .

ولقد أجبرت السياسة الإسرائيلية هذه الحكام العرب على مهادنة إسرائيل وعدم التفكير في شن أي هجوم على إسرائيل كما أجبرتهم على قمع القوى المنادية بتحرير الأراضي الفلسطينية من العدو الصهيوني أو حتى المطالبة بالإصلاح الداخلي ومقاومة الفساد أو المطالبة بالديمقراطية !!

وبهذا خرجت الجيوش العربية المنظمة من الصراع العربي / الإسرائيلي . فكل الحكام العرب انشغلوا بسياستهم الداخلية عن القضية الفلسطينية حتى الرئيس جمال

---

(١) د. محمد حسين هيكل " مذكرات في السياسة المصرية " ج ٣ / ص ٤٤ دار المعارف

(٢) كما حدث في أكتوبر ١٩٥٣ عندما قامت قوة إسرائيلية بقيادة آريل شارون بالهجوم على قرية " قبية " الأردنية انتقاما لمقتل امرأة وطفليها وهدمت عدة منازل وقتلت أكثر من ٥٠ وأصابت ١٥ من سكان القرية .

عبد الناصر الذي يعده مريدوه العدو الأكبر لإسرائيل والمدافع الأول عن الحقوق الفلسطينية اعترف في وقت مبكر جدا (في مؤتمر باندونج ١٩٥٥) [١] بقرارات الأمم المتحدة عامي : ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ بشأن تقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية ، كما أنه لم يسع لمواجهة إسرائيل عسكريا لذا لم يشن حربا هجومية وقائية واحدة ضد إسرائيل رغم علمه – يقينا – بعزم إسرائيل على شن حرب وشيكة على مصر (حدث هذا في ٥٦ ، ٦٧) ، وبعد جلاء العدوان الثلاثي وتوقيع اتفاقيته تأكد اعتراف عبد الناصر – الرسمي – بإسرائيل وبحقها في الوجود ، وعليه فإنه لم يطلق رصاصة واحدة نحوها لمدة إحدى عشرة سنة (من ٥٦ – ٦٧) رغم الاستفزازات الإسرائيلية المتكررة ، التي وصلت إلى حد قيامها باحتلال منطقة " العوجا " و" الكونتيلا " المصريتين ووصل عدد القتلى المصريين من جراء هذه الغارات إلى ١٤٧ جنديا مصريا [٢] غير الجرحى . وتفاديا للمواجهة المباشرة مع إسرائيل وحلفائها من الغرب أبدى الرئيس عبد الناصر استعداده لقبول المساعي التي تبذلها تلك الدول من أجل التوصل إلى سلام مع إسرائيل وحرص على أن تظل خطوط الهدنة المصرية الإسرائيلية هادئة [٣]

وعلى الرغم من مؤتمرات القمة العربية فإن وحدة الصف التي استهدفها عبد الناصر كانت لا تخفي الانقسامات العربية وتعارض سياسات الدول التقدمية والمحافظة . واستخدمت القضية الفلسطينية كقميص عثمان يلوح به المزايدون من السوريين والعراقيين والفلسطينيين ، وكان عبد الناصر واضحا في شرح الموقف تجاه إسرائيل ووضع الحكومات والمنظمات العربية أمام حقائق الموقف موضحا أن

([١]) تمكن عبد الناصر من إدراج الصراع العربي الإسرائيلي في جدول أعمال مؤتمر باندونج ، وجعل البيان الختامي يتناول نصا يدعو إلى تطبيق قرار الأمم المتحدة على فلسطين ، وتحقيق حل سلمي للقضية الفلسطينية ، وهو ما يعني الاعتراف الصريح بحق إسرائيل في الوجود على الأراضي الفلسطينية وفقا لقرارات الأمم المتحدة لسنة ١٩٤٧ ، ١٩٤٨

([٢]) في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ اخترقت إسرائيل حدود الهدنة وشنت عدوانها على قطاع غزة ، وراح ضحيته ٣٨ قتيلا ، ٣١ جريحا ، وفي نهاية أغسطس شنت هجومها على قطاع غزة ، وأسفر الحادث عن مقتل ٣٩ شخصا ، وفي الشهر التالي احتلت إسرائيل منطقة العوجة المنزوعة السلاح ، وفي أكتوبر ١٩٥٥ احتلت القوات الإسرائيلية الكونتلا ، وفي الشهر التالي شنت هجوما عنيفا من قاعدة العوجة أودى بحياة ٧٠ شخصا .انظر د. لطيفة محمد سالم " أزمة السويس " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٢٩ .

([٣]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٤٧

العرب غير مستعدين للمواجهة مع إسرائيل . بل عليهم أن يحشدوا طاقاتهم ويدعموا قواتهم بالتدريب المتواصل والأسلحة الحديثة خلال سنوات طويلة .

وكان الفكر السائد لدى العناصر الفلسطينية الراديكالية هو دفع الدول العربية إلى الحرب وتصعيد أعمال المقاومة ضد إسرائيل بما يؤدي إلى تفجير الموقف . وفي المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مايو ١٩٦٥ اتهم السوريون عبد الناصر بالتستر خلف قوات الطوارئ الدولية لتجنب الحرب مع إسرائيل ، وردد الأردن نفس النغمة .(١)

ولم يعد أمام الفلسطينيين لكي يحرروا أرضهم و يستعيدوا حقوقهم إلا المقاومة . بعدما يئسوا من مواجهة حكام العرب لإسرائيل . فأي دولة تحت الاحتلال لابد لها لكي تتحرر أن تسلك طريقي : المقاومة الميدانية ، والمفاوضة السياسية ، فالمقاومة تزرع والسياسة تحصد ، ولا غنى لأحدهما عن الآخر وللمقاومة أنواع منها : مقاومة مسلحة لا تفرق بين محارب ومدني ، ولا بين طائرة حربية وأخرى مدنية بل إنها تعمد إلى خطف المدنيين للمساومة بهم على إطلاق سراح المعتقلين ، ومنها مقاومة مسلحة تستهدف قوات الاحتلال وأسلحته ومنشآته ، وتتجنب إيذاء المدنيين ومصالحهم ، وهناك صورة ثالثة للمقاومة وهي غير مسلحة تسمى " العصيان المدني " ويقصد به مقاطعة المحتل ومنتجاته ، والتظاهر السلمي ضده .

وإذا كان النوع الأول من المقاومة لا تقره الشرائع السماوية ولا المنظمات الدولية ولا يحقق تقدما في سبيل استرداد الحقوق المغتصبة بل تفقد الحقوق المشروعة مصداقيتها فإن النوعين الآخرين يعدان مقاومة مشروعة نص عليها ميثاق الأمم المتحدة وأثبتت فاعليتها وحققت نتائج ملموسة .

ولقد جربت المقاومة الفلسطينية أنواع المقاومة الثلاث كما جربت المفاوضات السلمية وفي هذا الكتاب رصد لأشهر حركات المقاومة الفلسطينية وممارساتها والدور الذي قامت به منذ نشأتها حتى الآن وأوجه الاختلاف بينها .

وجاء الكتاب في أربعة فصول :

---

(١) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٦١

الفصل الأول : يبحث أثر الحرب الباردة على الصراع العربي الإسرائيلي ، ومدى نجاح كل من الدول العربية وإسرائيل في استغلال هذه الحرب لخدمة أهدافها التي تتمثل في التحرر بالنسبة للعرب والتوسع بالنسبة لإسرائيل .

والتي نجحت فيها إسرائيل في الرهان على الحصان الأمريكي الطموح ، بينما فشلت دول المواجهة في الرهان على المهر السوفييتي الجموح . وعندما انتهى السباق بخسارة العرب سعى العرب إلى الهرولة خلف الحصان الأمريكي لعلهم يستردون شيئا من خسارتهم الفادحة .

الفصل الثاني : يبحث في تاريخ حركة التحرر الوطني الفلسطيني (فتح) نشأتها ، وأهم محطاتها ، وعلاقتها بالأردن ، وحقيقة أيلول الأسود الذي اضطرها إلى الانتقال إلى لبنان ، وجنايتها على لبنان ، وجناية لبنان عليها حتى خروجها من لبنان عام ٨٢ إلى تونس ، ثم نشوب الانتفاضة الفلسطينية ، الأولى والثانية ، ودوافع حركة فتح للدخول في تسوية سلمية مع إسرائيل والنتائج التي توصلت إليها هذه المفاوضات .

الفصل الثالث : يبحث الانتفاضة : منطلقاتها وأهدافها ووسائلها ، وأثر الانتفاضة على إسرائيل والمجتمع الدولي ، ومتى تم عسكرة الانتفاضة ، وبداية الصراع بين فتح وحماس .

الفصل الرابع : يبحث مسيرة التسوية السلمية بين إسرائيل وفلسطين ابتداء من مؤتمر مدريد وانتهاء بمؤتمر أنابوليس : دوافعها وأهم مراحلها ، وموقف المقاومة منها ، واختلاف الفصائل الفلسطينية حولها . مع عرض مفصل لاتفاقية أوسلو وصدى الاتفاقية على كافة الأصعدة مع بيان حساب المكاسب والخسائر لهذه الاتفاقية وما أعقبها من اتفاقيات ، مع تغطية كاملة لمؤتمر أنابوليس للسلام وموقف كافة الدول العربية والغربية والفصائل الفلسطينية قبل وبعد وأثناء المؤتمر .

الفصل الرابع : يبحث نشأة حركة حماس ومنطلقاتها ومسيرتها حتى نجاحها في الفوز بالأغلبية البرلمانية التي مكنتها من تشكيل الحكومة ، وموقف إسرائيل

والغرب من هذه الحكومة ، وقصة اختطاف الجندي الإسرائيلي والنتائج التي ترتبت على ذلك . إلى سيطرة حماس على قطاع غزة وأثر ذلك على الصراع الداخلي والخارجي .

ولقد اجتهدت في التأريخ لحركات المقاومة الفلسطينية ألا أنحاز لفصيل على حساب آخر إنما كان الانحياز للمبادئ وحقوق الشعب الفلسطيني لا للأشخاص والفصائل .

والله أسأل أن يساهم هذا الكتاب في رأب الصدع الفلسطيني وتوحيد الكلمة وتقريب وجهات النظر بين فتح وحماس ، وتبصير الشعوب العربية بالحقائق والوثائق الخاصة بمسيرة المقاومة الفلسطينية .

محمد يونس هاشم

خريف ٢٠٠٧

القاهرة

الفصل الأول

الحرب الباردة والصراع العربي الإسرائيلي

من نتائج الحرب العالمية الثانية انحسار نفوذ الاستعمار القديم (انجلترا – فرنسا – إيطاليا) **وبداية سطوع نجم الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى خيّرة – هكذا كانت تبدو حينئذ – تسعى لإنهاء الاستعمار القديم وتحرير شعوب الشرق الأوسط عن طريق الضغط على المستعمرين لتوقيع اتفاقيات جلاء عن هذه الدول ، مع السعي الحثيث لتسوية سياسية سلمية للصراع ، كل هذا ، لإبعاد خطر الشيوعية عن المنطقة ، والسيطرة على البترول : تنقيبا ، واستخراجا ، ومواصلات ، وفوائد أموال لذا عملت على ربط دول الشرق بها والدوران في فلكها ، مستخدمة قوة السياسة بديلا عن سياسة القوة .**

عبد الناصر والسياسة الأمريكية

إن تنظيم الضباط الأحرار الذي كان يتزعمه جمال عبد الناصر كان تنظيما مصريا وطنيا خالصاً نشأ بدوافع مصرية ، وبنوايا وطنية صادقة ، وأن غالبية الضباط الأحرار لم تكن تعرف لا وقتها وربما إلى الآن هذه الصفقة التي عقدها عبد الناصر مع المخابرات الأمريكية ، وأن جمال عبد الناصر لم يكن عميلا أمريكيا بل كان حليفا أمريكيا ، تلاقت أفكاره مع أفكارها ، وجعل فلسفته تلقى عطف أمريكا وتأييدها .

إن هذه الصلة التي بدت صحية وضرورية ، وحققت نتائج باهرة مثل : النجاح المدهش في سهولته انقلاب ٢٣ يوليو ، ومثل شل القوات البريطانية ومنعها من التدخل ، ثم إجبار بريطانيا العظمى على قبول الانسحاب من السودان ، ثم خلع

محمد نجيب وتثبيت عبد الناصر ثم إحباط الغزو البريطاني الفرنسي الإسرائيلي (العدوان الثلاثي) وطرح عبد الناصر زعيما للقومية العربية ، بل والمساعدة في تحرير الوطن العربي من الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي [1]

لقد كان من أهم أهداف السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ، والتي تعاون عبد الناصر معها في تطبيقها :

١- تصفية الاستعمار القديم (انجلترا ، وفرنسا ، والإيطالي) .

٢- ضمان سلامة وبقاء إسرائيل حامية المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط

٣- مقاومة النفوذ السوفييت من الزحف على منطقة الشرق الأوسط ، ونشر أيدلوجيته (الشيوعية) .

ولقد نجح التحالف الأمريكي / الناصري في تحقيق هذه الأهداف الثلاثة ، حتى انقلب عبد الناصر على الهدف الثالث وقام بعقد صفقة الأسلحة التشيكية . وولى وجهه شطر الاتحاد السوفييتي ، ظنا منه أن الاتحاد السوفييتي يمكن أن يكون حليفا استراتيجيا يعتمد عليه لمقاومة السياسة الأمريكية الداعمة لإسرائيل ، وهو لا يدري الوفاق بين الروس والأمريكان حول وجوب توفير سلامة وبقاء إسرائيل ،وأن الاتحاد السوفييتي يمكن أن يساعد في تقديم بعض السلاح الدفاعي ، وأن الاتحاد السوفييتي ممكن أن يشاغب أمريكا أو على أقصى تقدير يضع بعض العقبات في سبيل إتمام المشروع الأمريكي يساوم بها للحصول على بعض المكاسب أو يحصل على جزء من الكعكة ، لكنه ليس على استعداد أن يقف في وجه الإمبراطورية الأمريكية . ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .[2]

ونتيجة لرفض مصر عبد الناصر سياسة الأحلاف الأمريكية ،وإتمام صفقة الأسلحة التشيكية ، وإدخال السوفييت كطرف فاعل في المنطقة ، ومحاولة تقليص النفوذ الأمريكي من المنطقة انحازت أمريكا لإسرائيل انحيازا كاملا وأمدتها بجميع

([1]) انظر محمد جلال كشك " ثورة يوليو الأمريكية " الزهراء للإعلام العربي ص ٢٢، ٢٣

([2]) لمزيد من التفاصيل حول علاقة عبد الناصر بأمريكا انظر " دروس سياسية من التجربة الناصرية " للمؤلف .

أسباب القوة العسكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والعلمية ، والتكنولوجية .. وذلك حتى تضمن تفوقها على أعدائها من العرب وعلى رأسهم جمال عبد الناصر عدو أمريكا وحليف السوفييت .

فقد كان نيكسون رئيس الولايات المتحدة السابق " يميل إلى النظر إلى قضايا الشرق الأوسط من زاوية المنافسة العريضة بين الولايات المتحدة والسوفييت . ولعل آراءه تبلورت أثناء أزمة السويس عندما خَلُص إلى الرأي القائل إن سياسة أيزنهاور في وقف التحرك البريطاني الفرنسي ضد عبد الناصر كانت سيئة التوجيه . وكان في اعتقاده أنه لا يسعَ المرء أن يُضْعِف الأصدقاء ، وأن يساعد الخصوم الذين يعتمدون على تأييد السوفييت وأدت حقائق عام ١٩٦٩ بكيسنجر إلى المطالبة بتقديم عون قوي لإسرائيل إلى أن يحين الوقت الذي يقرر فيه العرب الانفصال عن موسكو " (١)

وكانت نصيحة الرئيس الأمريكي إيزنهاور وهو على فراش الموت لنيكسون عندما ذهب لزيارته هو وكيسنجر في مستشفى " والتر ريد " العسكري هي : " ألا تتورط أمريكا في نزاع الشرق الأوسط بعد أن تنكرت مصر (عبد الناصر) لموقف أيزنهاور ونسبت الفضل في وقف العدوان (العدوان الثلاثي على مصر) إلى الاتحاد السوفيتي " (٢)

ويتعجب كيسنجر في مذكراته من موقف عبد الناصر من السياسة الأمريكية فيقول : " كيف اعتقد عبد الناصر أن نيكسون يمكن أن يتحدى المعارضة الداخلية والرفض الإسرائيلي والتباعد السوفيتي المتحفظ وكل ذلك من أجل تأييد الحد الأقصى لأهداف دولة (مصر) (٣) رفضت العلاقات الدبلوماسية معنا وظلت سياستها الخارجية غير ودية في أساسها ، وفي الحقيقة أن عبد الناصر سعى إلى

---

(1) وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٧٩

(2) هنري كيسنجر " مذكرات كيسنجر " ترجمة وتعليق موسى صبري كتاب اليوم ص ٥٤

(3) في موضع آخر من مذكراته ذكر كيسنجر هدف عبد الناصر من الاتصالات الدبلوماسية مع امريكا فقال : " وقد أصر عبد الناصر على الانسحاب غير المشروط من جميع الأراضي المحتلة ولكنه لم يوضح على الإطلاق ما هو الحافز لدى إسرائيل للانسحاب في مقابل عروضه الغامضة بإنهاء حالة الحرب . كما أنه لم يذكر سابقة واحدة على تسوية سلمية ترتكز فقط على الانسحاب غير المشروط للمنتصر من الأراضي التي احتلها . " نفسه ص ٤٦

التعامل معنا عن طريق الابتزاز غير أنه لم يكن يملك شيئا يهددنا به ، وقد أصر محمود فوزي (مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية) في هدوء بناء على تعليمات عبد الناصر على أن يحصل على شيء مقابل لا شيء ، التأييد الأمريكي ضد إسرائيل ، والتأييد السوفييتي ضد الولايات المتحدة الأمريكية وقيادة الحركات الثورية في العالم الثالث والسياسة الخارجية لا تسير على هذا النحو " [1]

كان هذا موقف السياسة الأمريكية فماذا عن موقف الرأي العام الأمريكي في تلك الفترة (١٩٥٦- ١٩٦٩) ؟ لقد كان الرأي العام الأمريكي " ممالئا لإسرائيل جدا ، ولم يبرح ينظر إلى الدولة اليهودية وكأنها البطل داود وهو يواجه جوليات العربي العدواني الممالئ السوفييت " [2]

عبد الناصر يعدل من سياسته تجاه أمريكا

وكانت نتيجة سياسة عبد الناصر الذي " لا يرى في المستقبل إلا أن يكون قائدا للعرب المتطرفين الذين يخلطون بين العبارات البليغة والإنجازات " على حد تعبير كيسنجر [3] أن كبا به جواد السوفيت وبددت شعاراتِه العنترية ريحُ الهزيمة الساحقة وأضاعت قوميتُه العربية العربَ فبدلا من تحرير فلسطين من العدو الصهيوني أضاع سيناء ، والضفة الغربية ، وقطاع غزة ، والقدس الشريف ، ومرتفعات الجولان مما حدا بالرئيس جمال عبد الناصر زعيم جبهة الرفض للسياسة الأمريكية أن يعدل موقفة من الولايات المتحدة الأمريكية ويسعى لطلب ودها ومساعدتها . تماما كما سيفعل العرب جميعا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أواخر ثمانينات القرن الماضي .

وفي لقاء نيكسون يوم ٨ إبريل ١٩٦٩ تحدث الملك حسين (ملك الأردن) أيضا بالنيابة عن عبد الناصر مؤكدا على الالتزام بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وقال

([1]) كيسنجر " مذكرات كيسنجر " ترجمة وتعليق موسى صبري كتاب اليوم ص ٦٩
([2]) وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٨١
([3]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٩٢

الملك الحسين باسم عبد الناصر : **أنهما مستعدان لتوقيع أي وثيقة مع إسرائيل باستثناء أن تكون في شكل معاهدة** " [1]

واضطر عبد الناصر إلى إعلان تراجعه عن مواقفه المشددة تجاه أمريكا في حديث إلى الصحافة الأمريكية اعتذر فيه عن اتهامه أمريكا بالاشتراك في عدوان ١٩٦٧ وفي حديث آخر لمجلة " تايم " **أعلن فيه أنه يقبل تسوية مع إسرائيل وأنه يعترف بإسرائيل مقابل الانسحاب الكامل (من الأراضي التي احتلتها بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧) وعودة اللاجئين الفلسطينيين** " [2]

وفي خلال إقامة سيسكو (مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط) في القاهرة (من ١٠ إلى ١٤ إبريل عام ١٩٧٠) دعا عبد الناصر بصورة أساسية إلى محاولة التعامل مع الولايات المتحدة باعتبارها وسيطا أمينا صحيح أن عبد الناصر لم يكن لديه إلا قلة من الأسباب التي تدعوه إلى أن يرجو الشيء الكثير من الولايات المتحدة ، ولكنه كان يعاني من خسائر فادحة في مواصلة القتال مع إسرائيل وكان اعتماده على الاتحاد السوفييتي يتزايد ولعل اتخاذ موقف إيجابي من الأمريكيين يحول دون إرسال شحنات جديدة من طائرات الفانتوم إلى إسرائيل [3] .

في عيد العمال أول مايو ١٩٧٠ ألقى عبد الناصر خطابا وجه فيه رسالة مفتوحة إلى الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون قال فيها : " **إن احنا نقبل قرار مجلس الأمن (رقم ٢٤٢) إن احنا نقبل تنفيذ كل ما جاء فى قرار مجلس الأمن، ونقبل تنفيذ كل ترتيبات السلام التى نص عليها قرار مجلس الأمن، ولكن على إسرائيل أن تنسحب من جميع الأراضى المحتلة كما نص على هذا قرار مجلس الأمن** ، وعلى إسرائيل أن تنفذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني كما

([1]) كيسنجر " مذكرات كيسنجر " ترجمة وتعليق موسى صبري كتاب اليوم ص ٧٠

([2]) نفسه ص ٧٣

([3]) وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٩٦

نص على هذا قرار مجلس الأمن... **من عشر سنين، احنا كان عندنا غلطة ان احنا لم نقدر التقدير الصحيح فى الماضى، لم نستعد كما استعد العدو، ولكن احنا قلنا نحن فعلاً كنا نريد السلام ولكن العدو كان يريد التوسع**... نتوجه من هنا بنداء إلى الرئيس الأمريكى "ريتشارد نيكسون" .. أقول إننا برغم كل ما حدث لم نغلق الباب نهائياً مع الولايات المتحدة الأمريكية برغم الإساءات الكتيرة اللى وجهت إلينا، ورغم القنابل والنابلم و"الفانتوم"، قبل أسابيع قليلة قابلت "سيسكو" – مساعد وزير الخارجية الأمريكية – وقابلته من منطلق أننا نريد أن تكون وجهة نظرنا معروفة بوضوح لدى الولايات المتحدة الأمريكية.. إننى أتوجه إلى الرئيس "نيكسون" وأقول له إن الولايات المتحدة الأمريكية على وشك أن تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الأمة العربي بخطوة أخرى على طريق تأكيد التفوق العسكرى لصالح إسرائيل سوف تفرض على الأمة العربية موقفاً لا رجعة فيه.. موقف يتعين علينا أن نستنتج منه ما هو ضرورى؛ وذلك سوف يؤثر على كل علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالأمة العربية لعشرات السنين، وربما مئات السنين، إننى أقول له – وهو يعرف أننى أعنى ما أقول – إن الأمة العربية لن تستسلم، ولن تفرط، وهى تريد سلاماً حقيقياً؛ ولكنها تؤمن أن السلام لا يقوم على غير العدل. أريد أن أقول إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد السلام فعليها أن تأمر إسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ..

والحل الثانى: إذا لم يكن فى طاقة أمريكا أن تأمر إسرائيل .. نطلب طلباً واحداً هو بالتأكيد فى طاقة أمريكا؛ ذلك الطلب هو أن تكف عن أى دعم جديد لإسرائيل طالما هى تحتل أراضينا العربية؛ أى دعم سياسى أو دعم عسكرى أو دعم اقتصادى.

إننى أقول للرئيس "نيكسون": إن هناك لحظة فاصلة قادمة فى العلاقات العربية – الأمريكية؛ إما أن نكرس القطيعة إلى الأبد، وإما أن تكون بداية أخرى جادة ومحددة. إن التطورات القادمة لن تمس العلاقات العربية – الأمريكية وحدها؛ وإنما

سوف تكون لها تأثيرات خطيرة أوسع من ذلك وأبعد. إننا طلبنا وسوف نطلب كل معونة من أصدقائنا؛ من أصدقاء التقدم والسلام والحرية؛ ذلك لأن معركتنا هي معركة التقدم والسلام والحرية. إن تصميمنا على تحرير أراضينا هو الحق الشرعي الأول لأي أمة تعرف لكرامتها قيمة.. إنني أتوجه بهذا كله إلى الرئيس "نيكسون" لأن اللحظة دقيقة، ولأن العواقب بالغة الخطورة، ورغم عدم وجود علاقات دبلوماسية بين بلدينا فإنه لا شيء يمنعنا من توجيه نداء آخر وأخير من أجل السلام في الشرق الأوسط ... إن على الرئيس "نيكسون" أن يطل بنظرة على ما يجري في إسرائيل نفسها لكي يرى الصورة على حقيقتها. إن هناك أصواتاً كثيرة -حتى في إسرائيل نفسها - بدأت تحذر من الطريق الوعر والخطر الذي تنزلق فيه الجماعة العسكرية الحاكمة في إسرائيل، والذي تريد أن تجر إليه معها الشرق الأوسط كله، وربما ما هو أكبر من الشرق الأوسط . هذا هو النداء الذي أوجهه إلى الرئيس الأمريكي "نيكسون" [1]

قد ألقى عبد الناصر هذا الخطاب لكي يفتح الباب أمام تفاهم مصري أمريكي بعد أن يئس تماما من الموقف السوفييتي ، وبعد أن اقتنع أن أوراق اللعبة في يد أمريكا [2]

سجلت زيارة سيسكو وخطاب عبد الناصر وتصريحاته للصحف الأمريكية نقطة التحول في جانب من جوانب الدبلوماسية الأمريكية وجاءت الخطوة التالية من جانب الاتحاد السوفيتي ففي ٢ يونيو اجتمع دوبرينين (سفير الاتحاد السوفيتي لدى أمريكا) بروجرز (وزير خارجية أمريكا) وسيسكو وادَّعى دوبرينين في هذا الاجتماع أن **الاتحاد السوفيتي ظفر من عبد الناصر بتنازلين مهمين أولهما أن مصر توافق على السيطرة على نشاط الفدائيين الذين ينطلقون من الأراضي المصرية إذا ما سرى وقف إطلاق النار . وثانيهما أن مصر توافق على إنهاء حالة الحرب بالتوقيع على اتفاقية "** [3]

---

(1) من خطبة الرئيس عبد الناصر ١٩٧٠/٥/١ نقلا عن موقع عبد الناصر على الإنترنت .

(2) موسى صبري تعليقا على " مذكرات كيسنجر " كتاب اليوم ص ٥٤

(3) وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٩٧

وفي ١٩ يونيو ١٩٧٠ تلقت مصر من وزير الخارجية الأمريكي (روجرز) كتابا يشير إلى خطاب عبد الناصر ويتضمن مبادرة على الأسس التالية :

١- موافقة مصر وإسرائيل على وقف إطلاق النار على الأقل لفترة محددة .

٢- موافقة البلدين (والأردن) على بيان يتضمنه تقرير مقدم من السفير يارنج إلى سكرتير عام الأمم المتحدة .

أ- أنها وقد قبلت وأبدت استعدادها لتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بكل أجزائه فإنها ستقوم بتعيين ممثلين في المناقشة التي ستجري تحت رعايتي وفقا للإجراءات وفي الأماكن والأزمنة التي اقترحها آخذا في الاعتبار رغبات كل طرف .

ب- أن الغرض من المناقشات المشار إليها هو التوصل لاتفاق على إقرار السلام العادل والدائم فيها على أساس : **الاعتراف المتبادل بالسيادة والسلامة الإقليمية والاستقلال السياسي – والانسحاب الإسرائيلي من أراض احتلت في نزاع ١٩٦٧ وذلك وفقا للقرار ٢٤٢ .**

ج- ولتسهيل مهمتي في تنشيط الاتفاق حسبما نص عليه القرار ٢٤٢ فإن الأطراف سوف تراعي بدقة قرارات مجلس الأمن بوقف القتال وذلك منذ أول يوليو حتى أول أكتوبر على الأقل ." [1]

ولقد قبل عبد الناصر مبادرة روجرز المؤرخة في ١٩ يونيو بغير شرط وذلك بُعَيْد عودته من موسكو في ٢٢ يوليو ، وفي ٢٦ يوليو قبلها الأردن بدوره " [2]

وكانت القوات المصرية قد تمكنت بجهد خارق قبل موعد سريان وقف إطلاق النار في الساعة الواحدة من صباح ٨ أغسطس ١٩٧٠ من استكمال تجهيز المواقع الضرورية لشبكة الصواريخ واكتشفت إسرائيل أنها أصبحت تواجه شبكة كاملة من مواقع صواريخ الدفاع الجوي . واتهمت إسرائيل مصر بمخالفة اتفاق وقف إطلاق النار وأعلنت رفضها إجراء أية اتصالات مع يانج فانهارت مبادرة روجرز .

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٧٨

([2]) وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٩٨

وإن كان وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل قد استمر حتى أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أعلنت سوريا والعراق رفض المبادرة الأمريكية كما عارضتها منظمة التحرير الفلسطينية وشنت هجوما على عبد الناصر فأمر بوقف إذاعاتها من مصر وسارت التظاهرات في بيروت وعمان متهمة الزعيم المصري بالخيانة . [1]

كان عبد الناصر قبل موته قد وصل إلى حقيقة مفادها أن إسرائيل لن تتنازل عن الأراضي العربية في تسوية سلمية مع العرب ما دامت خرجت من المعركة معهم بانتصار ساحق "كيف نذهب نحن إلى مائدة المفاوضات وهناك سيناء المحتلة والضفة الغربية المحتلة والقدس المحتلة وغزة المحتلة والجولان المحتلة ؟! كل هذه الأرض أرض عربية احتلتها إسرائيل، واغتصبتها إسرائيل فى سنة ١٩٦٧.. كيف نذهب ونكون على مائدة المفاوضات على قدم المساواة ؟

إننا حينما نذهب إلى هذه المفاوضات ونجلس على مائدة المفاوضات لن تكون هذه المائدة بالنسبة لنا مائدة مفاوضات، وإنما مائدة الاستسلام؛ لأن عدونا حينما يتكلم إنما يتكلم من منطق القوة، والغريب أن الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد هذا الكلام " [2]

السادات قرار الحرب وخيار السلام

بعد موت جمال عبد الناصر وتولي أنور السادات حكم مصر تغيرت السياسة المصرية تجاه الولايات المتحدة فقد كان السادات لا يثق في الاتحاد السوفييتي ويردد أن ٩٩% من أوراق اللعبة السياسية في يد الولايات المتحدة الأمريكية وقد سعى إلى إقامة اتصال سري مباشر مع البيت الأبيض الأمريكي . ولكن السادات فوجئ أن طريق التسوية السلمية مسدودا بعد نجاح إسرائيل في هزيمة العرب وتدمير قوتهم والاستيلاء على الأراضي العربية بالقوة ولا توجد سابقة واحدة على

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٨٠
([2]) من خطبة الرئيس عبد الناصر ١٩٧٠/٥/١ نقلا عن موقع عبد الناصر على الإنترنت .

تسوية سلمية ترتكز فقط على الانسحاب غير المشروط للمنتصر من الأراضي التي احتلها لذا اضطر السادات لاتخاذ قرار الحرب .

كانت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ هي التي قضت على غرور قادة إسرائيلي ودعتهم للتفكير جديا في تسوية سلمية بعد رفضهم الدائم لها اعتمادا على قوتهم وضعف العرب .

وأثناء حرب أكتوبر المجيدة وجه السادات من مجلس الشعب الدعوة لعقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط تشارك فيه الدول الخمس المتمتعة بعضوية مجلس الأمن الدائمة .

وفي ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ليصبح هو والقرار رقم ٢٤٢ أساس التسوية الشاملة بين الأطراف العربية وإسرائيل . وينص القرار على دعوة الأطراف إلى وقف كل أعمال القتال والنشاط الحربي فورا خلال ١٢ ساعة على الأكثر وذلك في المواقع التي احتلتها يوم ٢٢ أكتوبر وبدء تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بكل أجزائه فور وقف إطلاق النار على أن تبدأ فورا المفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الرعاية المناسبة بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط .(١)

مؤتمر جنيف للسلام

واستجابة للاقتراح الذي أعلنه السادات خلال الحرب وافق كيسنجر على عقد مؤتمر جنيف برئاسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ وحضر المؤتمر وزراء خارجية مصر والأردن وإسرائيل وسكرتير عام الأمم المتحدة **أما سوريا فقد امتنعت عن حضور المؤتمر** ، وأما منظمة التحرير الفلسطينية – التي كانت مصر تطالب بمشاركتها – فإنها لم تدع إلى المؤتمر على أن يقوم أعضاء المؤتمر ببحث مسألة التمثيل الفلسطيني وبعد إلقاء الوفود كلماتهم الافتتاحية انفض مؤتمر جنيف ولم يعقد مرة أخرى فقد كان كيسنجر حريصا على

---

(١) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٩٠

العمل خارج نطاقه واستبعاد الاتحاد السوفيتي من عملية السلام . واتباع إستراتيجية مفادها التصدي للصراع العربي الإسرائيلي من خلال خطوات متتالية دون تحديد ماهية الحل النهائي ، وقد تجاوب السادات مع هذا الاختبار في لقائه الأول معه وتم توقيع اتفاقيتي الفصل بين القوات على الجبهة المصرية تنفيذا لهذه الإستراتيجية ، وفي حين وافق السادات على الاتفاقية الثانية التي تشكل بطابعها السياسي خطوة كبيرة على الطريق **فإن سوريا رفضت السير فيه بعد عقد اتفاقها العسكري بالفصل بين قواتها وقوات إسرائيل في الجولان . أما السادات فقد سار في الطريق حتى النهاية** . [1]

معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية

عقد مؤتمر كامب ديفيد في الفترة من ٥ إلى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ وتقدمت مصر بمشروعها القائم على أساس توقيع معاهدات سلام تشمل التنفيذ الكامل للقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ وانسحاب إسرائيل من كافة الأراضي العربية المحتلة مع ترتيبات أمنية وإقامة علاقات سلام ووضع جدول زمني لتنفيذ الالتزامات المتبادلة . ودعا المشروع المصري الأطراف العربية الأخرى للانضمام في إطار مؤتمر جنيف .

كما تضمن المشروع أحكاما عن تسوية المسألة الفلسطينية تتضمن فترة انتقالية وممارسة الشعب الفلسطيني حقه في تقرير المصير قبل انتهاء تلك الفترة ، كما تتضمن أحكاما بشان القدس على أساس انسحاب إسرائيل وتشكيل مجلس بلدي مشترك وضمان حرية العبادة والوصول لأماكنها ، وأحكاما بشأن تمكين اللاجئين من العودة أو التعويض . [2]

نجحت خطة كيسنجر في التعامل مع النزاع العربي الإسرائيلي بسياسة الخطة خطوة وإقامة السلام على مراحل ، ولكن ظل نجاحها قاصرا على مصر وإسرائيل بسبب تبني سوريا والأردن ومنظمة التحرير لمبدأ لا تسوية سلمية مع إسرائيل قبل انسحابها الكامل دون شرط أو قيد من الأراضي العربية المحتلة ولقد شجع

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٩٦
([2]) نفسه ص ٩٦

الاتحاد السوفيتي هذه السياسة – وربما هو الذي أملاها على حلفائه العرب – حتى يضمن تبعية هذه الدول له . إذ لو حُل الصراع العربي الإسرائيلي سلميا بمبادرة أمريكية لانعدمت حاجة هذه الدول للتحالف معه إذ أن لجوءها إليه كان لمعاونتها في الحصول على حقوقها المشروعة ونكاية في أمريكا حليفة إسرائيل .

ولقد تمكنت مصر من توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية في ٢٦ مارس ١٩٧٩وقد نصت المعاهدة على ممارسة مصر لسيادتها الكاملة حتى حدودها الدولية (مع فلسطين تحت الانتداب) وانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء واستخدام مطارات رفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض المدنية وحدها وحرية الملاحة في قناة السويس وفقا لاتفاقية القسطنطينية وفي مضيق تيران وخليج العقبة كممرات مائية دولية وإقامة طريق سريع بين سيناء والأردن بالقرب من إيلات مع ضمانات لحرية المرور بين مصر والأردن ومرابطة قوات عسكرية وضع الاتفاق تفاصيلها ومواقعها . وبعد توقيع المعاهدة وتمام الانسحاب المرحلي تقام العلاقات الطبيعية بين مصر وإسرائيل .

أما بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة فقد تضمن اتفاق كامب ديفيد خطة للتسوية على مراحل : الأولى مرحلة انتقالية تمتد خمس سنوات تنقل فيها إلى سلطة فلسطينية منتخبة سلطات ومسئوليات حكم ذاتي كامل مع وضع ترتيبات أمنية وأخرى لعودة النازحين الفلسطينيين أثناء ١٩٦٧، وفي المرحلة الثانية تجرى مفاوضات بين ممثلي الفلسطينيين وإسرائيل ومصر للاتفاق على الوضع النهائي ، ومفاوضات أخرى لعقد معاهدة سلام إسرائيلية أردنية تشارك فيها نفس الأطراف عدا مصر وتجرى هذه المفاوضات – بنوعيها – في موعد لا يتعدى بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية وعلى أساس القرار ٢٤٢ .[1]

جبهة الرفض العربية

إن منظمات الفلسطينية بدعم من الاتحاد السوفيتي والحكام العرب الراديكاليين رفضت الاشتراك في مباحثات السلام المصرية الإسرائيلية بالرعاية الأمريكية بل وشكلوا جبهة للصمود والتصدي من ليبيا والجزائر والعراق واليمن الديمقراطية وسوريا ومنظمة التحرير ومقاطعة نظام السادات سياسيا .

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٠٦ ، ١٠٧

وعقب توقيع اتفاقات كامب ديفيد وقّع ٩٦ من عُمَد والقادة الفلسطينيين في اجتماع عقدوه في القدس أول أكتوبر على بيان أعلنوا فيه الرفض القاطع للاتفاقات التي اعتبروها متعارضة مع كل قرارات القمم العربية وقرارات الأمم المتحدة ومنافية لحقوق الشعب الفلسطيني " حيث إن الخطة التي تتضمنها بشأن المسألة الفلسطينية تؤدي إلى تثبيت الاحتلال الإسرائيلي ، كما أن الاتفاقات في حد ذاتها تعتبر صلحا منفردا بين مصر وإسرائيل " .

كما رفض المجلس الوطني الفلسطيني اتفاقات كامب ديفيد ودعا إلى تكتل الفلسطينيين والعرب لمقاومته ومواصلة النضال على الساحة الدولية لتثبيت المكاسب التي تحققت بالاعتراف دوليا بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وبمنظمة التحرير وقد وقفت الدول العربية إلى جانب منظمة التحرير معلنة معارضتها لرحلة السادات إلى القدس ، ثم لاتفاقات كامب ديفيد عقب توقيعها . فعقد مؤتمر قمة عربية في طرابلس في ديسمبر ١٩٧٧ بدعوة من العقيد معمر القذافي حضرته سوريا والجزائر والعراق واليمن الديمقراطية ومنظمة التحرير وليبيا وقام بدراسة الأوضاع العربية بعد زيارة القدس واعتبر هذه الزيارة خرقا خطيرا لمبادئ وأهداف النضال العربي ضد العدو الصهيوني وتبديدا لحقوق الشعب الفلسطيني وخروجا على الوحدة العربية ومخالفة خطيرة لميثاق الجامعة العربية وقرارات القمم العربية وانسحابا من جانب مصر من جبهة النضال ضد العدو الصهيوني . وقرر تجميد العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة المصرية وعدم التعامل معها على المستويين العربي والدولي ومقاطعة اجتماعات الجامعة العربية التي تعقد في مصر

ثم عقد مؤتمر قمة جبهة الصمود والتصدي من الجزائر وليبيا واليمن الجنوبية ومنظمة التحرير في دمشق ١٩٧٨ حيث قرر قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع مصر وتشجيع القوى التقدية والوطنية في مصر للإطاحة بنظام السادات ونقل مقر الجامعة العربية من القاهرة وتحويل جبهة الصمود والتصدي إلى قاعدة للنضال العربي ، ورفض أية مساومة من قبل أي طرف عربي على القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني وتأييد نضاله تحت قيادة منظمة التحرير .

وكانت الدعوة الصريحة إلى الإطاحة بحكومة السادات كفيلة بالقضاء على أي أمل في المصالحة العربية كما كان الرفض القاطع لاتفاقات كامب ديفيد يحكم على الحكم الذاتي التي تتضمنها بالفشل .[1]

تراجع جبهة الرفض عن مواقفها

العجيب أن الدول التي رفضت اتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية / الإسرائيلية قد تراجعت عن مواقفها هذه ،وعقدت منظمة التحرير اتفاقية إعلان مبادئ مع إسرائيل في أسلو ١٩٩٣ ، كما عقدت الأردن معاهدة سلام مع إسرائيل في عام ١٩٩٤ . وافقت سوريا على اتفاقية سلام مع إسرائيل عام ٢٠٠٠ ولكن إسرائيل تراجعت عنها في اللحظة الأخيرة . هذا عن دول المواجهة أما ليبيا فقد قد أعلنت في ديسمبر ٢٠٠٣ الماضي بشكل مفاجئ عن امتلاكها برنامجا نوويا سريا وأعربت عن استعدادها التخلي عن برامج أسلحة الدمار الشامل وقدمت تفاصيله للوكالة الدولية للطاقة الذرية . كما أن معمر القذافي استقبل وفدا من اليهود الإيطاليين، الذين عاشوا في ليبيا سابقا، لإجراء محادثات بشأن إمكانية دفع تعويضات عن ممتلكات اليهود الليبيين الذين طردوا من البلاد في أعقاب حرب ٦٧ بالشرق الأوسط . وقد وصفت الخطوة بأنها تحول كبير آخر في سياسة ليبيا.

ونتيجة لهذه السياسة الليبية فقد أنهى الاتحاد الأوروبي العقوبات الاقتصادية التي كان قد فرضها على ليبيا واستمرت ١٢ عاما بسبب قضية لوكربي ، كما رفع الحظر الذي كان مفروضا على الأسلحة كرد فعل على تخلي ليبيا عن برنامجها لأسلحة الدمار الشامل وعدد من الخطوات الأخرى التي وصفت بالايجابية نحو الغرب والولايات المتحدة. [2]

وقد وافقت البلاد العربية بالإجماع على مبادرة السلام السعودية التي تقدم بها الأمير عبد الله لمؤتمر القمة العربي المنعقد في بيروت في ٢٨-٣-٢٠٠٢ . ولقد

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٠٩

([2]) نقلا عن وكالة الأنباء العالمية BBC بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠٠٤

صادق المؤتمر بالإجماع على المبادرة السعودية، التي أصبحت بعد تلك المصادقة مبادرة السلام العربية وهي تلخصت في الشروط التالية :

١- الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك الجولان السوري، وحتى خط الرابع من يونيو ١٩٦٧، والأراضي التي مازالت محتلة في جنوب لبنان.

٢- التوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، يتفق عليه وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة.

٣- قبول قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ ٤ يونيو ١٩٦٧ في الضفة الغربية وقطاع غزة تكون عاصمتها القدس الشرقية .

٤- عندئذٍ تقوم الدول العربية بما يلي:

أ- اعتبار النزاع العربي -الإسرائيلي منتهياً، والدخول في اتفاقية سلام بينها وبين إسرائيل مع تحقيق الأمن لجميع دول المنطقة.

ب- إنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل في إطار هذا السلام الشامل .

ج- ضمان رفض كل أشكال التوطين الفلسطيني الذي يتنافى والوضع الخاص بالبلدان العربية.

د- يدعو المجلس المجتمع الدولي بكل دوله ومنظماته إلى دعم المبادرة.

هـ- يطلب المجلس من رئاسته تشكيل لجنة خاصة من عدد من الدول الأعضاء والأمين العام، لإجراء الاتصالات اللازمة لهذه المبادرة، والعمل على تأكيد دعمها على كافة المستويات في مقدمتها مجلس الأمن والأمم المتحدة .

أمريكا وحل المنازعات الإقليمية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي

وفي الفترة ما بين منتصف الثمانينات إلى آخر التسعينات – قبل الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١- عادت السياسة الأمريكية سيرتها الأولى إلى العمل على التسوية ، وإنهاء الصراع في الشرق الأوسط ، بعدما انهار الاتحاد السوفيتي وانسحب من الصراع ، ودخل العالم في مرحلة التحول القروي الحضاري للعالم الذي يفرض ضرورة العمل بجهد مشترك لإطفاء أوار النزعات العدائية . وذلك بمعيار الحلول

الوسط ، كبديل لمعيار الحلول النهائية لهذا الطرف أو ذاك ، الذي كان مهيمنا في عصر الاستقطاب الدولي والحرب الباردة .

وأصبح هذا يعني توفير الظروف الملائمة قدر الإمكان ، لتنظيم مفاوضات تسوية بين أطراف الصراعات . وقاد هذا المسعى الذي اتخذ مسارات متعددة ، داخل الأمم المتحدة وخارجها ، وعلى الأخص في أمريكا وأوربا واليابان بعد الانهيار السوفييتي إلى بناء قوة دولية مركزية تضبط الفلتان ، وتنزع فتائل " القنابل الصراعية " في " عالم القرية " الجديد . (1)

سنت القوة الدولية المركزية الجديدة التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها دستورا لحركتها أهم مبادئه :

١- تجريم استخدام القوة المسلحة للأطراف المتصارعة في حل المنازعات الإقليمية .

٢- مشروعية استخدام كل الوسائل لجلب الأطراف المتصارعة إلى مائدة المفاوضات المباشرة للوصول إلى حل وسط . وذلك ابتداء من الاقتناع الدبلوماسي ، إلى ليّ الأذرع ، إلى التلويح بالعون الاقتصادي الحال أو المؤجل ، إلى الحصار ، إلى تجفيف الموارد المالية ، إلى استخدام القوة المسلحة الرادعة تحت راية الأمم المتحدة الفضفاضة ، أو تحت ذريعة حق الدفاع عن النفس إزاء عدوان قائم أو مرتقب .

٣- استغلال كل الظروف القاسية ، المحلية والإقليمية التي بات يعاني منها كل طرف بالنزاع في صراعه مع الطرف الآخر ، وذلك للضغط من أجل تجاوز " الحل النهائي " النابع من فوهة البندقية ، إلى الحل الوسط التفاوضي على أساس التعايش بين العداء .

وهكذا راحت تتبدى ظاهرة جديدة في " العالم – القرية " منذ منتصف الثمانينات ، وبلغت أوجها في أوائل التسعينات مع حرب الخليج العربية – الدولية . ونعني بهذه

---

(1) لطفي الخولي " العرب وإسرائيل " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٤

الظاهرة بروز ما أصبح يعرف باسم " إرادة المجتمع الدولي " التي تفرض بجماع القوة المتاحة ، العسكرية ، والسياسية ، والاقتصادية قرارات الحلول الوسطى على جميع أطراف الصراعات الإقليمية ، نلمس ذلك في كمبوديا ، وجنوب أفريقيا ، والصراع العربي الإسرائيلي ، والصومال ، والصراع العرقي الديني فيما كان يسمى بيوغوسلافيا .

صحيح أن كل هذه الصراعات الإقليمية كان لها امتداداتها الدولية ، بدرجة أو بأخرى ، غير أن الاهتمام الدولي لم يكن – أبدا – قبل دوامة المتغيرات العاصفة منذ منتصف الثمانينات موحد الأهداف الوسائل . وإنما كان متضاربا ومتصادما نتيجة واقع الاستقطاب الدولي وتحالفاته مع هذا الطرف أو ذاك في ميادين الصراعات الإقليمية ، هذا فضلا عن أن " الدور الدولي " في الصراع الإقليمي كان ينشط – أساسا– في حالة الحرب أو التوتر الصدامي للصراع ، في حين كان يصيبه الفتور عندما تبرز بين آن وآخر ، ولوقت محدود للغاية حالة تبدو فيها بارقة أمل لتسوية سياسية سلمية للصراع .

السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط بعد حرب الخليج الثانية

إذا ألقينا الضوء على مسار الصراع العربي الإسرائيلي ، وبالذات في بُعْده الفلسطيني ، بعد حرب الخليج عام ١٩٩١ ، سوف نلاحظ – على وجه التحديد – ذلك التناغم في الحركة ، والضغوط غير المسبوقة بين الولايات المتحدة " العضو الأقوى " في الأسرة الدولية الحاكمة للقرية العالمية الراهنة وبين الاتحاد السوفييتي " العضو الضعيف المنهار " في الأسرة ، ليس فقط على مجمل الأطراف ، بل أساسا وبصورة مركزة ، على الطرف الذي ارتبط تاريخيا بالقوة الأمريكية أو بالقوة السوفييتية في عصر الاستقطاب (الحرب الباردة) .

بالنسبة للولايات المتحدة وإسرائيل نرصد على سبيل المثال عناوين الوقائع التالية :

١- إجبار إسرائيل على عدم الرد العسكري على إطلاق الصورايخ العراقية ضدها خلال حرب الخليج الثانية .

٢- تجميد ضمانات القروض المطلوبة إسرائيليا بقيمة عشرة مليارات من الدولار حتى تتعهد إسرائيل بعدم إنفاقها على إنشاء مزيد من المستوطنات في الأرض الفلسطينية والسورية المحتلة .

٣- سحق معارضة الليكود وحكومته ضد الاشتراك في مؤتمر مدريد وإجبارها على المشاركة بوفد يرأسه اسحق شامير بنفسه .

٤- الإطاحة من خلال التدخل شبه المرئي في انتخابات الكنيست في عام ١٩٩٢ بالليكود ودفع حزب العمل الإسرائيلي الذي كان قد أعلن برنامجه الجديد الذي يؤيد التسوية السلمية مع الفلسطينيين إلى تولي السلطة .

٥- إدانة التقرير الأمريكي السنوي الصادر عن وزارة الخارجية عن انتهاك حقوق الإنسان لإسرائيل في استخدامها للقوة المفرطة وغير المبررة ضد الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة .

٦- دفع رابين للعدول عن موقفه بعدم المشاركة في احتفالات البيت الأبيض بتوقيع إعلان المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي بهدف قطع الطريق على ياسر عرفات للمشاركة وتعامل السلطات الأمريكية - علنا - مع كل منهما على قدم المساواة .

بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، ومنظمة التحرير الفلسطينية نرصد على سبيل المثال أيضا عناوين الوقائع التالية :

١- التوقف عن توريد السلاح لمنظمة التحرير الفلسطينية إلا إذا تم دفع الثمن كاملا وبالعملة الصعبة قبل الشحن ، ثم التوقف نهائيا عن توريد السلاح .

٢- العمل المشترك مع الولايات المتحدة لإلغاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار الصهيونية حركة عنصرية .

٣- إيقاف تدريب الكوادر العسكرية الفلسطينية في كل المعاهد السوفيتية .

٤- إغلاق دائرة تبادل المعلومات السوفييتية الفلسطينية حول ما كان يعرف بينهما باسم خطط الإرهاب الإسرائيلي .

٥- الضغط على منظمة التحرير للموافقة على المشاركة في مؤتمر مدريد من خلال وفد مشترك مع الأردن ، وليس بوفد مستقل . (١)

---

(١) لطفي الخولي " العرب وإسرائيل " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٢- ١٥ بتصرف يسير .

والذي أدى إلى هذا التناغم والتعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفييتي هو انكسار ظهر اقتصاد الاتحاد السوفيتي ، نتيجة سياسته الاشتراكية الفاشلة التي آمن بها دهرا ثم ارتد عنها كفرا . وتبنى " البيريسترويكا " والتي تتمثل فكرتها الأساسية في إضفاء طابع إنساني على الاشتراكية ، ودمج الاشتراكية بالديمقراطية وخلق مجتمع يكون فيه الإنسان " مقياس كل شيء " . إن الاشتراكية مجتمع الجماهير العاملة ومن أجل الجماهير العاملة . وعندما نعني أننا نريد إشاعة الديمقراطية والإنسانية في الاشتراكية ونؤكد " بعدها الإنساني " ، والمهمة الرئيسية هي إعادة بناء علاقات الملكية وإنهاء حالة اغتراب الناس . (1)

يقول فاديم ميدفديف : " إن ميولا واتجاهات سلبية بدأت تبرز بوضوح متزايد في مسار تطورنا منذ نهاية السبعينات فقد فقدت الاشتراكية أفضليتها على الرأسمالية في معدلات النمو الاقتصادي ، وبدأ التخلف يظهر في ميادين جديدة من التكنولوجيا ، ولم تجد كافة البلدان الاشتراكية بالطبع نفسها في نفس الوضع ، ولكن إذا نظرنا إلى اللوحة بكاملها رأينا أنها تتسم بتزايد المصاعب ، وتباطؤ التطور .

لقد حان الوقت – الآن – الذي أصبحت فيه الحاجة ملحة إلى تغيرات عميقة على تجديد المجتمع الاشتراكي السوفيتي .. يبدو علينا أن نعود على منابع الفهم اللينيني للتعايش السلمي ، عن طريق تطهيره من تشوهات وترسيبات الفترة اللاحقة (يقصد فترة الحرب الباردة) .

فاليوم إذ تتجسد القيم الإنسانية العامة بشكل أكثر حيوية ولاسيما في مجال ضمان بقاء الجنس البشري ، تتقدم هذه القيم بالذات على غيرها من القيم قاطبة في العلاقات الدولية لتشكل نواة التفكير السياسي " . (2)

---

(1) فاديم ميدفديف هو عضو المكتب السياسي وسكرتارية المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، والفقرة من الخطاب الذي ألقاه في الكونفرنس العلمي الدولي حول " القضايا الآنية لتطور الاشتراكية اليوم " الذي انعقد في موسكو في أوائل أكتوبر ١٩٨٨ . نقلا عن كتاب " البيريسترويكا ، مفهوم جديد للاشتراكية " ترجمة : حمدي عبد الجواد دار الثقافة الجيدة

(2) نفسه .



الفصل الثاني

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

العرب والقضية الفلسطينية

كان القرار الجائر الذي أصدرته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية هو أفضل الحلول المطروحة حينئذ بسبب ضعف العرب وتشتتهم وقوة عدوهم وتماسكه وتواطؤ القوى العظمى مع إسرائيل وفشل كل الجهود الدبلوماسية في التوصل لأفضل منه وكان الواجب العربي يحتم – إذا خلصت النوايا – أن تقام دولة فلسطين على ما تبقى من أراضي فلسطينية وهو ما كان يمثل ٤٢,٨٨ % وفقا لقرار التقسيم ، ويسعى العرب جاهدين في دعم هذه الدولة عسكريا وسياسيا واقتصاديا لتكون نداً لدولة إسرائيل .لكن رغبة الملوك العرب (فاروق ، وعبد الله) في توسيع ممالكهم علي حساب الأراضي الفلسطينية وعامل الوصاية على الشعب الفلسطيني قد قضى على إقامة دولة فلسطينية ولو أن الشعب الفلسطيني تمكن من إدارة شئونه بنفسه لتغير وجه التاريخ في هذه المنطقة على الإطلاق ولكان الفلسطينيون يعيشون الآن على حوالي ٤٣ % من أراضي فلسطين بدلا من فشلهم في الحصول على ٢٢% فقط من هذه الأرض الآن !!

ولقد أجبر الجيشُ الإسرائيلي المسلح بأحدث الأسلحة الغربية وتأييد أمريكا ودول الغرب الحكامَ العرب على مهادنة إسرائيل وعدم التفكير في شن أي هجوم على إسرائيل وقد جاءت الحروب الكلامية التي شنها العرب على إسرائيل وأمريكا بديلا عن التفكير في حرب حقيقية وبهذا خرجت الجيوش العربية المنظمة من الصراع

العربي / الإسرائيلي . وتفاديا للمواجهة المباشرة مع إسرائيل وحلفائها من الغرب أبدى الرئيس عبد الناصر استعداده لقبول المساعي التي تبذلها تلك الدول من أجل التوصل إلى سلام مع إسرائيل وحرص على أن تظل خطوط الهدنة المصرية الإسرائيلية هادئة (1)

وقد اتبع عبد الناصر منذ حرب السويس سياسة المحافظة على الحدود مع إسرائيل ، وصرح عبد الناصر لصحيفة الصاندي تايمز اللندنية بأن سياسته هي بناء القوة الاقتصادية للعالم العربي ورفع مستوى المعيشة فيه إلى أن يجيء الوقت الذي يكون قد وصل إلى التطور تتيح له ممارسة ضغط كاف على الإسرائيليين يحملهم على تفهم عدالة الموقف العربي (2)

وكان الفكر السائد لدى العناصر الفلسطينية الراديكالية هو دفع الدول العربية إلى الحرب وتصعيد أعمال المقاومة ضد إسرائيل بما يؤدي إلى تفجير الموقف . وفي المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مايو ١٩٦٥ اتهم السوريون عبد الناصر بالتستر خلف قوات الطوارئ الدولية لتجنب الحرب مع إسرائيل ، وردد الأردن نفس النغمة .(3)

وبعد أن سحقت إسرائيل الجيوش العربية في الخامس من يونيو ١٩٦٧ واحتلت كل شبر في فلسطين إلى جانب صحراء سيناء ومرتفعات الجولان . وصدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ وقبول مصر له ظلت القضية الفلسطينية تعامل كمشكلة لاجئين فقد كان الشاغل الأول للدول العربية التي احتلت أجزاء من أراضيها أن تزيل آثار العدوان ، ولم يكن الفلسطينيون ليقبلوا أن تتقلص قضيتهم لتصبح مشكلة لاجئين ، كما أن مصر عندما قبلت القرار رقم ٢٤٢ ، فإنما كان ذلك راجعا إلى ما حصلت عليه من " آثر جولدبرج " المندوب الأمريكي لدى مجلس الأمن وغيره من المندوبين من تأكيدات بأن القرار

---

(1) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٤٧
(2) نفسه ص ٦٠
(3) نفسه ص ٦١

يتعلق بنزاع ١٩٦٧ وحده ، حيث إن القضية الفلسطينية لم تكن مطروحة على المجلس [1]

وأحس الراديكاليين العرب أن القضية الفلسطينية التي كانت تتصدر اهتمام عبد الناصر قد تراجعت لتصبح قضية هامشية . ولما كان لا حرب إلا بدون مصر فقد راحت الفصائل الفلسطينية وفي مقدمتها منظمة التحرير الفلسطينية تعلن الحرب على قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ، وتتهم عبد الناصر الذي قبله بخيانة القضية الفلسطينية وتكثف من نشاطها لإشعال المنطقة وجرها إلى الحرب .

وكان هذا هو رد حسنين هيكل المتحدث الرسمي باسم عبد الناصر على المقاومة الفلسطينية " في معارك يونيو فإن الميزان مال كثيراً لصالح إسرائيل وبالتالي فإن تعديل هذا الميزان على الأقل شرط ضروري لحل سياسي يمكن أن يكون مقبولاً.. بمعنى أن يرتضيه الجانب العربي، ولا يقوى الجانب الإسرائيلي على رفضه. ومن ناحية أخرى، **فإن الحرب الشعبية، المتمثلة اليوم في نشاط قوى المقاومة الفلسطينية داخل فلسطين لا تستطيع ولا يمكن لأحد أن يطلب منها تحقيق نتيجة حاسمة في الصراع .**

والذين يتصورون أن في استطاعة المقاومة الثورية الفلسطينية أن تحقق ما حققته المقاومة الثورية الجزائرية مثلاً يظلمون أبطال المقاومة الفلسطينية فضلاً عن ظلمهم لمجرى النضال العربي العام .

أي أن هذه المقاومة ليست بديلاً عن المواجهة المسلحة.. إذا جاء دورها.

أي جيش في مواجهة جيش.. وأسطول فى مواجهة أسطول.. وطيران فى مواجهة طيران.

وهنا مسئولية مصر باعتبارها الأقدر عربياً على دفع جيش حديث إلى ساحة المعركة.

([1]) نفسه ص ١٣٤

ومهما يكن من أمر هزيمة يونيو فإن الجيش المصري بالذات يبقى الأمل في المواجهة إذا كان هناك أمل في المواجهة.

وبالنسبة للأوضاع القائمة الآن في العالم العربي، فإن المقاومة الفلسطينية محددة، باعتبارات يصعب تجاهلها :

١ – إن التوازن البشرى بين قوات المقاومة، وبين عدوها في الأرض المحتلة، ليس هو التوازن القائم الآن في فيتنام، وليس هو التوازن الذي كان قائماً، في الجزائر مثلاً.

في فيتنام، شمالاً، وجنوباً، قرابة أربعين مليوناً من الفيتناميين، والعدو أمامهم نصف مليون جندي أمريكي. في الجزائر عشرة ملايين عربي، وكان العدو أمامهم أربعمائة ألف جندي فرنسي .

وفى فلسطين، داخل الأرض المحتلة، فإن العرب أقل من مليون، والعدو أكثر من مليونين لديه منهم ربع مليون تحت السلاح.

٢ – إن طبيعة الأرض الفلسطينية ليست هي طبيعة الأرض الفيتنامية، بغاباتها الكثيفة، وليست هي طبيعة الأرض الجزائرية، بجبالها الوعرة، وهناك كانت الغابات والجبال مخابئ طبيعية للمقاومة وفى فلسطين، فإن السهول مكشوفة، والتلال ليست متسعة، خصوصاً رقعة الأرض الفلسطينية المحصورة والضيقة، ومع استخدام الهليوكوبتر والتوسع في استخدامها.

٣ – إن من حول فيتنام ملاجئ لا يستطيع عدوها أن يصل إليها، كالصين مثلاً، وكفيتنام الشمالية، وكان الحال قريباً من ذلك في الجزائر مع وجود تونس والمغرب من حولها، وليبيا ومصر بالقرب منها، ولكن المقاومة الفلسطينية لا تملك مثل هذا الملجأ الآمن، الذي تستطيع أن تستعد منه، ولا يستطيع عدوها أن يصل إليه، لأن العدو على استعداد لأن يصوب إلى أي مكان في العالم العربي، كما أن العالم

العربي في الوقت الراهن مضروب، لم يستعد قوته بعد.. ذلك فضلاً عن عوامل أخرى . (1)

لذا نهج عبد الناصر نهجا واقعيا في التعامل مع القضية الفلسطينية يتناسب مع الوضع المتردي الذي جلبته هزيمة يونيو فقد دعا – عن طريق الصحافة الناصرية – إلى إقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع اللذان لا يمثلان إلا نسبة ٢٢,٦ % فقط من الأراضي الفلسطينية وفقا لإعلان الهدنة ١٩٤٩ . وبعد أن كان عبد الناصر يتخذ من القضية الفلسطينية ذريعة للمزايدة على منافسيه من الحكام العرب في القومية العربية راح أقطاب الناصرية يروجون لفكرة دولة فلسطينية ، ويهيئون العقل العربي لقبولها بعد أن روجوا لسنوات طويلة لفكرة أن عبد الناصر – لا الشعب الفلسطيني – هو الذي عليه المعول في إعادة الحقوق الفلسطينية كاملة للفلسطينيين بعد إلقاء إسرائيل ومن وراء إسرائيل في البحر !!

كتب أحمد بهاء الدين – القطب الناصري الكبير – في مجلة المصور يوم ١٢ أكتوبر ١٩٦٧ يقترح قيام دولة فلسطين على الأراضي المحتلة في يونيو ١٩٦٧ !! وألف كتابا بعنوان " اقتراح دولة فلسطين " كان تاريخ طبعته الأولى يناير ١٩٦٨ جاء في مقدمته " الاقتراح الذي طرحته ما قصدت به تقديم " برشانة " كل القضية بقدر ما قصدت به فتح باب الجدل حول قضية تجمَّد الجدل حولها – مع الأسف – من زمن بعيد وقفل فيها باب الاجتهاد . حتى بات العقل العربي يقبل ما هو شاذ أو غير منطقي ولا طبيعي بمجرد اعتياد النظر عليه أو لمجرد أن الظروف الشاذة أوجدته في وقت من الأوقات ، ولا أقول إن مصلحة ما قد ترتبت على أساسه حتى أصبح هذا المنظر طبيعيا ، وأصبح يندهش لو رأى الآخر يعتدل ويقف على قدميه ، رافعا رأسه إلى أعلى .

نعم إن الوضع بالنسبة للشعب الفلسطيني طيلة السبعة عشر عاما الماضية كان مقلوبا رأسا على عقب ، لا أقل من ذلك . أصبح الشعب الفلسطيني في المؤخرة لا

---

(1) محمد حسنين هيكل " بصراحة " جريدة الأهرام بتاريخ ١٩ / ١ / ١٩٦٨

في المقدمة بالنسبة لقضيته . خلت الساحة منه . شتته الصهيونيون ، ثم زاده العرب تشتيتا ، حاولوا طمس شخصيته وإنهاء قضيته ثم تركوا لنا إنجاز بقية المهمة .

إن اقتراح إقامة دولة فلسطينية ليس أكثر من هذا . ليس أكثر من المطالبة بإعادة الأمور إلى نصابها . ليس أكثر من المطالبة بأن يعود شعب فلسطين ، بأهله وقدراته وأرضه ، إلى الوجود وإلى مكان الطليعة في هذه القضية بالذات .

وهذا لا يعني أن قضية فلسطين هي قضية العرب جميعا وأنها أحد أحجار الزاوية في بناء وحدتهم – بدوره – يقتضي إقصاء الفلسطيني عن قضيته كما كان حادثا في معظم التسعة عشر عاما الماضية ؟ (١) . فقط أحب أن أشكر كل الذين تفضلوا وساهموا في مناقشة القضية بالسلب أو الإيجاب . فما نريد أن نكسبه هو المناقشة وإعمال الفكر واعتياد عدم النكوص على النظر إلى قضايانا في عيوبها تحت شعارات ثبت عجزها مثل " الخوف من البلبلة " أو ما إلى ذلك .

لقد خسر العرب الكثير جدا في محاولة " التدثر " بأغطية من عدم التفكير في جرأة وشجاعة ، يوماً بعد يوم . إلى أن أصبح الرأي العام العربي في ظروف كثيرة يبدو أشبه بالجسم الذي تعود التدثر والتحصن بالأغطية حتى ضعفت مناعته وأصبحت أي لفحة هواء تصبيه بالعطب " (٢)

لقد عانى العرب كثيرا من اتخاذهم لبعض المواقف غير المدروسة وغير الناضجة ، فقد رفضوا قرار التقسيم الذي أقرته الأمم المتحدة والذي أكد على ضرورة إقامة دولتين في فلسطين ، وعلى الرغم مما في هذا القرار من إجحاف بحقوق الشعب الفلسطيني فقد كان وما زال أفضل ما عُرِض عليهم أو سيُعْرَض عليهم في المستقبل ، فالعرب يرفضون ما يعرضه العالم عليهم ليعودوا فيقبلونه بعد فوات الأوان ليرفضه الطرف الآخر ، ويعرض عليهم أقل مما رفضوه في السابق فيعودون إلى دوامة الرفض والقبول لينخفض سقف طموحاتهم إلى أقل من الحد الأدنى ، وهكذا

([1]) خمس عشرة سنة منها في عهد الثورة وأربعة في العهد الملكي .

([2]) أحمد بهاء الدين " اقتراح دولة فلسطين " دار الآداب الطبعة الأولى يناير ١٩٦٨ ص ٦ـ ٨

يتكرر السيناريو المزعج ، ولعل السبب في ذلك هو قناعة الطرف الأقوى بين التنظيمات الفلسطينية بأنه صاحب القول الفصل دون اعتبار لرأي الشعب وطليعته المثقفة ، ولأن زعيم كل تنظيم يحاول اختصار التنظيم والشعب وكافة مؤسساته في شخصه الكريم باعتباره القائد الفذ الذي لا يخطئ. " (1)

وبعد أن يئس الفلسطينيون من الحكام العرب أن يحققوا لهم كل ما يطمحون إليه قرروا تحريك القضية عن طريق مقاومة المحتل الصهيوني . وفي هذا الفصل رصد لأهم حركات المقاومة الفلسطينية وعلاقتها بالدول العربية وأثرها على القضية الفلسطينية .

نشأة وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية

منذ إنشاء جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥ قررت الدول العربية المؤسسة لها أن يكون لفلسطين مندوب يمثلها في الجامعة على الرغم من كون فلسطين تحت الانتداب البريطاني آنذاك . وقد ظلت فلسطين ممثلة في الجامعة العربية حتى بعد نكبة ١٩٤٨، حيث تعاقب على تمثيلها في الجامعة موسى العلمي ، وأحمد حلمي عبد الباقي ، وأحمد الشقيري .

كانت منظمة فتح الفلسطينية قد تشكلت منذ عام ١٩٦٢ من عناصر شابة غادرت غزة بعد قيام إسرائيل ، من أمثال ياسر عرفات ، وصلاح خلف ، وخليل الوزير ، وتمكنوا من السيطرة على اتحاد الطلبة الفلسطينيين في الجامعات المصرية ، ثم نقلوا نشاطهم إلى الكويت ، وأصدروا صحيفة ثورية في بيروت باسم " فلسطيننا " وانضم إليهم فاروق القدومي ، وخالد الحسن وآخرون .

وكانت منظمة فتح تؤمن بالقومية العربية وبتحرير فلسطين (من النهر إلى البحر) طريقا إلى الوحدة العربية وبدأت عملياتها المسلحة ضد إسرائيل (2)

---

(1) د. محمد أيوب " حول وثيقة الأسرى " شبكة أفق العرب .

(2) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٣٤، ١٣٥

ومن جهة أخرى ، اتجه تفكير جمال عبد الناصر إلى ضرورة إحياء الكيان الفلسطيني من خلال منظمة تتولى تمثيله في إطار الجامعة العربية ، وتمكن في مؤتمر القمة العربي الأول الذي انعقد في القاهرة بتاريخ ١٩٦٤/١/١٣ من إقناع الملوك والرؤساء العرب بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة أحمد الشقيري .

وكانت منظمة فتح تتشكك في حقيقة الدور الذي تلعبه منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة الشقيري ، وترى أن الغرض من إنشائها هو امتصاص المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي . لذا فإن منظمة فتح بدأت هجماتها ضد إسرائيل في عام ١٩٦٥ ، وكانت منشوراتها تؤكد سعيها إلى خلق التوتر بين الدول العربية وإسرائيل بقصد دفع العرب إلى مواجهة الدولة اليهودية في حرب تحرير على نمط الثورة الجزائرية .

وكان هذا الخط يتفق مع سياسة سوريا وحزب البعث الحاكم فيها والذي كانت قيادته تتهم عبد الناصر بالتستر وراء قوات الطوارئ الدولية . أما عبد الناصر فقد كان يتبع سياسة التهدئة خلال مرحلة مؤقتة حتى يتفادى إعطاء إسرائيل المبرر للعدوان في الوقت الذي كانت فيه قواته بعيدة في اليمن . ولكن الموقف ما لبث أن تطور منذ تولي جناح صلاح جديد حكم سوريا في فبراير ١٩٦٦ ووجد عبد الناصر نفسه منساقا إلى اتخاذ موقف أكثر راديكالية [١]

ونتيجة لمزايدة عبد الناصر لحزب البعث السوري ومنظمة فتح على القومية العربية والعداء لإسرائيل وأمريكا حدثت كارثة الخامس من يونيو ١٩٦٧ لتعيد عبد الناصر إلى سياسة المهادنة مرة أخرى رغبة في استرداد أراضيه المحتلة .

أما عن منظمة التحرير فقد قام أحمد الشقيري بجولة زار خلالها الدول العربية واتصل بأبناء فلسطين فيها ، وأثناء جولته تم وضع مشروع الميثاق والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتقرر عقد مؤتمر فلسطيني عام واختار الشقيري اللجان التحضيرية للمؤتمر في جميع البلاد العربية المضيفة للفلسطينيين .

---

(١) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٣٥

المؤتمر الفلسطيني الأول (القدس ٢٨ /٥ /١٩٦٤) :

قام بافتتاح المؤتمر الملك حسين وألقى فيه خطاباً ، وقد تفرعت عن المؤتمر تسع لجان وخرج المؤتمر بالعديد من القرارات أهمها إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية حيث نص القرار على التالي :

إيماناً بحق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المقدس فلسطين ، وتأكيداً لحتمية معركة تحرير الجزء المغتصب منه وعزمه وإصراره على إبراز كيانه الثوري الفعال وتعبئة طاقاته وإمكانياته وقواه المادية والعسكرية والروحية ، وتحقيقاً لأمنية أصيلة من أماني الأمة العربية ممثلة في قرارات جامعة الدول العربية ومؤتمر القمة العربي الأول .

نعلن بعد الاتكال على الله باسم المؤتمر العربي الفلسطيني الأول المنعقد بمدينة القدس في ١٩٦٤/٥/٢٨ الآتي :

١- قيام منظمة التحرير الفلسطينية قيادة معبئة لقوى الشعب العربي الفلسطيني لخوض معركة التحرير، ودرعاً لحقوق شعب فلسطين وأمانيه ، وطريقاً للنصر .

٢- المصادقة على الميثاق القومي لمنظمة التحرير الفلسطينية وعدد بنوده ٢٩ بنداً .

٣- المصادقة على النظام الأساسي وعدد بنوده ٣١ بنداً واللائحة الداخلية للمجلس الوطني والصندوق القومي الفلسطيني .

٤- انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية وتكليفه باختيار أعضاء اللجنة التنفيذية وعددهم ١٥ عضواً .

٥- يصبح المؤتمر بكامل أعضائه ، الـ ٣٩٧ عضواً " المجلس الوطني الأول لمنظمة التحرير الفلسطينية " .

رؤساء منظمة التحرير

أحمد الشقيري : أول رئيس لمنظمة التحرير ، لقد انتخب لثلاث دورات متتالية من ١٩٦٤/٥/٢٨ إلى ١٩٦٨/٧/١٧ .

يحيى حمودة : خلف أحمد الشقيري في رئاسة منظمة التحرير ، وانتخب لدورة واحدة من (١٧ / ٧ / ١٩٦٨ - ٤ / ٢ / ١٩٦٩) .

ياسر عرفات : وهو ما ارتبط اسم منظمة التحرير به لأكثر من ٣٦ سنة متتالية ابتداءً من (٤ / ٢ / ١٩٦٨ إلى وفاته يوم ١١ / ١١ / ٢٠٠٤) .

محمود عباس : وقد انتخب بإجماع أعضاء اللجنة المركزية من المستقلين ومن ممثلي الفصائل الأخرى ، وهكذا لم يحجم أحد من أي اتجاه عن انتخاب محمود عباس لرئاسة اللجنة التحرير الفلسطينية يوم (١٢ / ١١ / ٢٠٠٤ -) [1]

محطات مهمة في تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية

١- الصدام مع بعض الجهات في لبنان ، بعد هذه الصدامات تم عقد " اتفاقية القاهرة " في ٢ / ١١ / ١٩٦٩ حيث نظمت العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة اللبنانية وكانت أول اتفاقية تعقدها حكومة عربية مع المقاومة الفلسطينية.

٢- انضمام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى عضوية المجلس الوطني واللجنة التنفيذية في الدورة السادسة للمجلس (١-٦ / ٩ / ١٩٦٩) **كما أعلنت المنظمة رفضها للحلول السلمية وقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .**

٣- تفجر الصدام بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية عام ١٩٧٠، الذي استدعى عقد مؤتمر عربي استثنائي في القاهرة (٢٦-٢٧ / ٩ / ١٩٧٠) الذي توصل إلى عقد اتفاقيتي القاهرة وعمان لتنظيم العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية .

٤- تجدد الصدام بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية في تموز ١٩٧١، مما أدى إلى خروج قوات الثورة الفلسطينية من الأردن إلى لبنان .

٥- طرحت منظمة التحرير الفلسطينية **مشروع الدولة الديمقراطية العلمانية وتم إقراره من قبل المجلس الوطني الفلسطيني في دورتيه السابعة والثامنة .**

---

(1) مركز المعلومات الوطني الفلسطيني .

٦- ازدياد حدة الصراع بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية نتيجة طرح الملك حسين مشروع المملكة العربية المتحدة حيث رأت المنظمة في هذا المشروع ما يناقض أهداف الشعب الفلسطيني وقد تم عقد دورة استثنائية للمجلس الوطني الذي رفض هذا المشروع بشكل تام .

إرهاصات أيلول الأسود

واسمحوا لي أن نقف وقفة متأنية مع أحداث أيلول الأسود لما لها من دلالة كاشفة عن الصراع العربي الإسرائيلي ، والصراع العربي / العربي ، كما أنها توضح لنا بجلاء صفحة شديدة الخطورة في بيان إشكالية العلاقة بين منظمات المقاومة العربية ، والحكومات العربية .

ومنذ تولى ياسر عرفات قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في فبراير ١٩٦٩ تمكن من تكثيف نشاطها في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي ، وكانت المنظمة تشن هجماتها على إسرائيل من الأراضي الأردنية بعد أن قدَّر الملك حسين أن من مصلحته ممارسة الضغوط على إسرائيل أملاً في استعادة الضفة الغربية . وكان لمعركة الكرامة التي خاضها رجال المنظمة ضد القوات الإسرائيلية في مارس ١٩٦٨ أثر كبير في رفع معنويات الفلسطينيين وازدياد ثقة المنظمة في جدوى عملياتها العسكرية فقامت بعدة عمليات جريئة ، وضاعفت تدريب جيش التحرير الفلسطيني وتسليحه .

وأصدرت منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٨ الميثاق الوطني متضمنا **العزم على النضال الوطني والكفاح المسلح باعتباره الطريق الوحيد لتحرير فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني !! واعتبر الميثاق تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ باطلا** ، وكذا تصريح بلفور ، وصك الانتداب . كما اعتبر الصهيونية وليدة الإمبريالية العالمية [1] ومن حق الشعب الفلسطيني تحرير وطنه

([1]) لمزيد من التفصيل حول علاقة إسرائيل بالإمبريالية العالمية انظر " اليهود والصليبيون الجدد " و " حقيقة اليهود وأوهام العرب " و " العرب والمخطط الصهيوني " للمؤلف .

وسوف تقوم منظمة التحرير التي تمثل الثورة الفلسطينية بمسئوليتها في استعادة وطنه وتحريره .

وكانت منظمة التحرير تدعو إلى التعاون مع الدول العربية وعدم التورط في خلافاتها ، لكن هذا المنطق الحكيم لم تكن كل الفصائل الفلسطينية تؤمن به ، فالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش وأحمد جبريل (الذي انفصل عنها فيما بعد) كانت على صلة وثيقة بحزب البعث السوري ، وترى في الإطاحة بأنظمة الحكم العربية واستبدال أنظمة راديكالية بها . كما كانت الجبهة الديمقراطية الشعبية بقيادة نايف حواتمة تدين بأيديولوجية متطرفة .

وأخذت أعمال المقاومة ضد إسرائيل أبعادا خطيرة عندما قامت الجبهتان بعمليات خطف الطائرات وما لجأت إليه إسرائيل من الرد عليها بعمليات انتقامية في الأراضي اللبنانية والأردنية مما حدا بالملك حسين بقيامه بحرب شعواء ضد المنظمات الفلسطينية وإنهاء وجودها في الأردن وقد أسفرت المعارك الشرسة (فيما سمي بأيلول الأسود) عن مقتل أكثر من ثلاثة آلاف وإصابة أكثر من ١١ ألف شخص . [١]

الجبهة الشعبية وخطف الطائرات

لقد أسهمت " الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين " في إشعال الموقف المعادي للأنظمة العربية ، وأسهمت بشكل رئيسي في استفزاز النظام الأردني ، وفي وضع المنظمات الأخرى وخاصة منظمة فتح تحت نيران التفريط ، **وتعثرت العمليات داخل إسرائيل بعد أن أصبحت حماية المقاومة من داخل الأردن المسئولية الأولى للجميع** فقد اختارت الجبهة الشعبية طريقها الخاص لتصعيد المعركة بعيدا عن قبضة الملك حسين ، وقامت في يوم ٦ سبتمبر بخطف طائرة بوينج أمريكية كبيرة هبطت في القاهرة ثم نسفت بعد إخلائها من الركاب .

---

(١) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٣٦

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد خطفت بعد أيام طائرتين واحدة أمريكية والأخرى سويسرية تبعتها ثالثة بريطانية وهبط الجميع في مطار مهجور بالأردن أطلقوا عليه اسم مطار الثورة ، وطلبت الجبهة من حكومات انجلترا وإسرائيل وسويسرا وألمانيا الغربية إطلاق سراح الفدائيين المعتقلين قبل الإفراج عن الركاب ، ولكن جميع الحكومات رفضت الخضوع .

ورغم أن منظمة التحرير والحكومات العربية قد أدانت هذا الأسلوب إلا أن أحدا لم يستطع أن يتدخل لإنقاذ الركاب الذين اضطرت الجبهة للإفراج عنهم بعد أربعة أيام عقب نسف الطائرات الثلاث .

وكان هذا الحادث هو أكثر الحوادث استفزازا للملك حسين (ملك الأردن) الذي لم يقبل أن يصل الاعتداء على مملكته إلى هذا الحد بإقامة (دولة داخل دولة) ، وارتكبت الجبهة الشعبية بهذه الحوادث أخطاءً تاريخية **فهي أعمال بعيدة تماما عن مقاومة العدو ، مثيرة لعداوة الشعوب والرأي العام العالمي .**

وكانت الجبهة الشعبية قد بدأت أسلوب خطف الطائرات منذ يوليو ١٩٦٨ عندما خطفت طائرة بوينج إسرائيلية كانت في طريقها من روما إلى تل أبيب ، وأجبرت بوساطة المسلحين الفلسطينيين على الهبوط في الجزائر حيث بقي ١٢ راكبا إسرائيليا في الحجز لمدة شهرين قبل أن إطلاق سراحهم . وبعد خمسة شهور استولى الفدائيون الفلسطينيون على طائرة بوينج إسرائيلية أخرى في مطار أثينا حيث قتل أحد الركاب قبل أن يعتقل البوليس اليوناني المختطفين . ورد الإسرائيليون على ذلك بتدمير ١٣ طائرة عربية فوق أرض مطار بيروت .

ومع ذلك لم تتوقف الجبهة الشعبية عن انتهاج هذا الأسلوب فقد هجم مجموعة من أفرادها في مطار زيورخ على طائرة إسرائيلية فجرحوا ستة من الركاب وأفراد الطاقم ، وقتل أحد الفلسطينيين واعتقل البوليس السويسري الباقين وذلك في فبراير ١٩٦٩ .

ولم تفلح محاولات ياسر عرفات في وقف هذه العمليات التي كانت تشوه وجه المقاومة وتسيء إلى أهدافها النبيلة ، وقد أثارت هذه الحوادث المتكررة غضب الدول العربية ، ومنظمة فتح وغيرها ، وخلقت موجة من الرفض العالمي لهذا

الأسلوب الذي يعرض المدنيين للخطر ، ويفتعل أحداثا مثيرة في دول يحرص العرب على كسب الرأي العام فيها وليس تنفيره وإجباره على اتخاذ موقف العداء.

لكن الجبهة الشعبية أرادت أن تثبت استقلالية سياستها فخطفت طائرة يونانية لم تفرج عنها إلا بعد أن أفرجت الحكومة اليونانية عن سبعة من الفدائيين الفلسطينيين المعتقلين .

تاريخ طويل في خطف الطائرات لا يمكن تدوينه ضمن النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية .

ولو كان خطف الطائرات سبيلا لتحرير الأرض لكان الفيتناميين خطفوا كل الطائرات الأمريكية ، ولم يواصلوا النضال الشاق في حرب مريرة أكثر من ثلاثين عاما .

وكان المصريون بدلا من خوض المعارك وتكبد آلاف الشهداء كانوا قد لجئوا إلى هذا الحل السهل ، لكن الشعوب تتحرر ليس بمغامرات بعض الفصائل غير المسئولة إنما بإعداد الجيوش ووضع الخطط وتضافر الجهود وحسن إدارة المعركة .

نعود إلى الجبهة الشعبية كان حادثها الأخير هو الفرصة النادرة للملك حسين فأصدر يوم ١٦ سبتمبر قرارا بتعيين اللواء محمد داود رئيسا لوزارة عسكرية أعلنت الأحكام العرفية ، وطلب من أمين الشبلي (رئيس لجنة الجامعة العربية) بسرعة تنفيذ الاتفاقية التي تنص على خروج الفدائيين من المدن وعدم حملهم السلاح .

ولكن اللجنة المركزية المشكلة من ١١ منظمة فلسطينية رفضت تنفيذ الاتفاقية متخذة من التعيين الوزاري دليلا على أن الملك حسين سادر في خطته لضرب المقاومة الفلسطينية ، وأصدرت اللجنة التنفيذية بيانا بذلك .

وقائع أيلول الأسود

وفي يوم ١٧ سبتمبر أصدر الملك حسين الأوامر لقواته المسلحة بالهجوم على معسكرات الفلسطينيين ومراكز تدريبهم وقواعد المقاومة ومخابئها ، وتحركت قوات البادية تدمر كل شيء وتقتل كل فلسطيني .

وتحركت القوات السورية إلى بلدة (الرمثا) على الحدود الأردنية لإنقاذ المقاومة الفلسطينية ، وأبلغت الولايات المتحدة الأمريكية سوريا عن طريق حليفها الاتحاد السوفيتي أنها لن تسمح بدخول القوات السورية إلى الأردن ، وأنها سوف تحمي نظام الملك حسين .

وأرسل جمال عبد الناصر الفريق محمد أحمد صادق رئيس الأركان إلى عمان ليبصر الملك حسين بأخطار تصفية المقاومة ، وليقنعه أن الحرب الأهلية لن تكون إلا في صالح إسرائيل .

وأصر الملك حسين على تحرير إرادة حكومته من كل هذه الضغوط ، رافضا تصرفات المقاومة الفلسطينية .

ظل الموقف يتدهور بطريقة مفجعة ، وساد الظلام في الأردن ، وتحول شهر سبتمبر إلى شهر كئيب حزين أسود ، وقد سُمي في التاريخ بأيلول الأسود **فقد تجاوز عدد الذين سقطوا قتلى برصاص السلطة الأردنية عدد الفدائيين الذين استشهدوا في عملياتهم داخل إسرائيل والأرض المحتلة ، وفي كافة المعارك ! إذ بلغ عدد القتلى حوالي ثلاثة آلاف شخص وإصابة أكثر من ١١ ألف شخص !!!**

وصل رئيس سوريا نور الدين الأتاسي إلى القاهرة في يوم ٢١ سبتمبر وهو يحمل معه الرغبة في دخول الأردن ، ولكن عبد الناصر حذره من الموقف الأمريكي ، ومن الخطوات غير المحسوبة .

ويضطر عبد الناصر للدعوة إلى مؤتمر قمة عربية في القاهرة لحل هذه الكارثة التي تجلل رؤساء العرب بالعار ، **المقاومة الفلسطينية الفصيل الوحيد الذي يوجه ضربات موجعة لإسرائيل بعدما دمرت الجيوش العربية وشلت حركتها تذبح علنا برصاص العرب ، وكل القيادات عاجزة عن حمايتها !!!**

تتوافد الملوك والرؤساء العرب إلى فندق هيلتون على نيل مصر ، والمذبحة مازالت مستمرة في الأردن ، وأحرار العالم يحتجون في مظاهرات صاخبة . الملك

حسين لم يحضر ويرسل محمد داود رئيس الوزراء مندوبا عنه ، ويرسل مؤتمر القمة العربية جعفر نميري مندوبا عنه على رأس وفد إلى عمان يوم ٢٢ سبتمبر ، ولم ينجح الوفد في وقف إطلاق النار ، فقد كان أسلوب العملية يدل على أنها عملية حربية شاملة وأن الملك حسين كان مبيت النية لها من قبل للقضاء على المقاومة الفلسطينية التي كانت تسعى إلى تقوية مركزها في الأردن ملوحة بقدرتها على احتلال العاصمة الأردنية في ساعتين لأن نصف الجيش الأردني سوف ينضم إليها إذا حدثت بين الطرفين معركة على حد قول ياسر عرفات لأعضاء لجنة الجامعة العربية !! وكان عبد الناصر على أشد الحذر من انزلاق الأمور إلى تدخل أمريكي إسرائيلي مشترك ، ولذا فقد صارح السوريين عندما أظهروا رغبتهم في دفع قواتهم للأردن بأن مصر لن ترسل أي قوات لسوريا أو الأردن في حالة تدخل أمريكا ، وأوضحت التقارير الواردة من واشنطن ونيويورك أن الأمريكيين قد أخذوا الأمر على محمل الجد ، وأن نيكسون قد يرسل إلى الأردن قوات أمريكية في أية لحظة ، كما أن قادة الاتحاد السوفيتي قد طالبوا – كعادتهم دائما – عبد الناصر بضبط النفس .

وكان محمد داود الذي عينه الملك حسين رئيسا لوزارة عسكرية قد أرسل إلى الملك حسين استقالته لأن ابنته المتزوجة في بيروت حضرت إليه أثناء انعقاد المؤتمر القمة العربية في القاهرة ، وتمثيله للأردن وطالبته بألا يكون مخلب القط الذي يضرب الفدائيين ، ولأن معمر القذافي واجهه بمسئوليته في خيانة القضية العربية . فاستقال وحصل على الجنسية الليبية !!

وعندما استجاب الملك حسين لرغبة عبد الناصر وحضر المؤتمر يوم ٢٥ سبتمبر دخل القاعة يحمل مسدسه وكذلك ياسر عرفات الذي استطاع الوفد المفوض من مؤتمر القمة بتهريبه من الأردن ، وأراد الملك فيصل ترطيب الجو فقال يجدر بنا أولا نزع سلاح المتحاربين .

وتوصل المؤتمر يوم ٢٧ سبتمبر إلى اتفاق وقعه الملك حسين وياسر عرفات ويقضي بالآتي :

أولا : الوقف الفوري لإطلاق النار .

ثانيا : انسحاب الجيش الأردني والفدائيين من كافة المدن قبل مغرب نفس اليوم .

تكليف لجنة برئاسة الباهي الأدغم – رئيس وزراء تونس آنذاك – تسافر إلى الأردن يوم ٢٨ سبتمبر لتشرف على إجراءات التنفيذ .

ومن ذلك التاريخ أصبح واضحا أن الأردن لم تعد أرضا صالحة للفدائيين ، ولم تعد نقطة الانطلاق إلى داخل الأرض المحتلة .

ولاشك أن عدم تنسيق الإستراتيجية العربية بين كافة الأنظمة ، والقوى السياسية ، وعجز المقاومة الفلسطينية عن توحيد فصائلها بما يجعل لها سياسة واحدة كان من الأسباب الرئيسية التي أتاحت للنظام الأردني أن ينجح ، ولعل ما قاله **معمر القذافي أثناء المؤتمر من أن الملك حسين مجنون يقتل شعبه ، وأن على المجتمعين أن يرسلوا من يقبض عليه ويدخله المستشفى فرد عليه الملك فيصل – فيما يرويه هيكل في كتابه الطريق إلى رمضان – ربما كنا جميعا مجانين ، وهنا يتدخل عبد الناصر في الحوار قائلا : " أحيانا عندما نرى ما يحدث في العالم العربي فإني أعتقد أن ذلك قد يكون صحيحا يا صاحب الجلالة ، ولذا فإني أقترح أن ننتدب طبيبا للكشف علينا دورياً ، ومعرفة المجنون فينا " !!!**

ولعل هذا الحوار الذي خرج عن حده المعتاد بين الرؤساء والملوك يعطي إحساسا بمدى سخونة الموقف داخل قاعة الاجتماع ، يدفع إلى التساؤل في نفس الوقت :

هل هو جنون فرد الذي فجر هذه المأساة ، أم خيانة طبقة ونظام ؟

مهما حاولنا تعليق الخطايا في رقاب المتهمين ، إن الشهداء لن يعودوا للحياة ، ووصمة العار لن تمحوها الأيام من جبهة النظام الأردني ، ولا من حياة بعض الذين لجئوا إلى الاستفزاز وحده من بين فصائل المقاومة الفلسطينية .

ضاعت الفرصة إلى الأبد في أن يعد يتهدد الخطر أحد داخل إسرائيل من هذا الاتجاه [1]

نعود إلى القوات السورية المتوجهة لغزو الأردن ماذا تم بشأنها ؟ ومن الذي أوقف زحفها ؟

أتدرون من الذي أوقف غزو سوريا للأردن ؟ إنها أمريكا !!

والتاريخ العربي المخزي يقول أن أمريكا طلبت من إسرائيل أن ترسل طيرانها لمواجهة القوات السورية ، وبمجرد تحليق الطيران الإسرائيلي فوق القوات السورية استدارت القوات للخلف وعادت من حيث أتت وهكذا أوقفت إسرائيل حربا مؤكدة بين سورية والأردن !!

وفي ذلك يقول الملك حسين في مقابلة تليفزيونية معه " عندما أصبحت التهديدات تحيط بنا من كل جهة كان الموقف مستحيلا وأخبرتني القيادة العسكرية بحاجتنا إلى مساعدة خارجية وبأن علينا طلبها من أمريكا أو من أي جهة أخرى مستعدة لتقديم مساعدة (يقصد إسرائيل) [2]

ويقول : هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي الأمريكي " علمنا أن الملك مستعد لقبول المساعدة من أي جهة وأنه يفضل تدخل أمريكي مباشر " .

ولقد استطاع مستشارو الرئيس الأمريكي نيكسون أن يقنعوه بطلب المساعدة من إسرائيل " قلنا له سيادة الرئيس نعتقد أن إسرائيل في موقعها أفضل للقيام بذلك فهي قريبة من مسرح العمليات ويمكن استخدام مصادرها بشكل أسرع " [3]

وأبلغت أمريكا الملك حسين أنها ستطلب من إسرائيل مساعدته وكان موقفا حرجا بالنسبة له لكنه لم يجد منه مفر .

([1]) لمزيد من التفاصيل حول أحداث " أيلول الأسود " راجع أحمد حمروش " ثورة يوليو " الجزء الثاني الباب الخامس الفصل الثاني خريف عبد الناصر .

([2]) عمرو الليثي " أورشليم ، شهادة قادة الصراع العربي الإسرائيلي " ص ٢٠٤ .

([3]) نفسه ص ٢٠٥

وتطلب أمريكا من إسرائيل التدخل لمنع الدبابات السورية من الوصول للأردن .

يقول الجنرال مردخاي هود قائد القوات الإسرائيلية : " وصلني الأمر بإرسال طائرات الفانتوم لتحلق فوق الدبابات (السورية) وأعطيت التعليمات بنفسي لقائد السرب ، وقلت له حلِّق فوقهم تأكد أنهم يرونك ويسمعونك بوضوح ، وبعد ذلك قم بهجوم صوري عليهم حتى يفهموا ما نريده (أي يرجعون من حيث أتوا) وهذا ما حدث بالضبط حيث قامت أربع طائرات بعمل مناورة فوق الدبابات بينما كنت أنتظرهم مع سربين رباعيين لنتأكد أنهم غير معرضين للخطر .

وكانت أربع طائرات كافية لإنجاز المهمة " (1)

وقد تركت أحداث أيلول الأسود شرخا في العلاقات الأردنية الفلسطينية وخلفت لدى الفلسطينيين ذكريات أليمة لا تنسى ، وأصبح التعاون بين المنظمة والأردن يشوبه عدم الثقة المتبادل ، الأمر الذي كانت له آثاره السلبية على المحاورات التي بذلت من أجل عملية السلام فيما بعد (2)

ولم يمض سوى شهور قليلة على توقيع الاتفاق الأردني / الفلسطيني حتى تجدد الصدام ثانية بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية في يوليو ١٩٧١، مما أدى إلى خروج قوات المقاومة الفلسطينية من الأردن إلى لبنان لتبدأ المقاومة الفلسطينية صفحة أخرى صراعها العربي الإسرائيلي ، والعربي العربي .

المقاومة الفلسطينية في لبنان

بدأ النزوح الفلسطيني إلى لبنان ابتداء من عام ١٩٤٧ إبان النكبة الفلسطينية ووسط تعاطف عربي جيَّاش استقبل الفلسطينيون الهاربون من مذابح العصابات الصهيونية في البلدان العربية المجاورة لفلسطين بترحاب شديد وثقة في أن هذه الهجرة الاضطرارية لن تكون أكثر من محنة عابرة يعود بعدها الفلسطينيون إلى

---

(1) نفسه ص ٢٠٥، ٢٠٦

(2) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٣٦

مدنهم وقراهم وأرضهم المغتصبة بعد دحر العدو المعتدي ، وكان نصيب لبنان من هؤلاء اللاجئين ١٤٠ ألف فلسطينيي عبروا الحدود على دفعات خلال حرب فلسطين وبعدها مباشرة ، ورحب بهم اللبنانيون وفتحوا لهم بيوتهم ومدارسهم بل إن بشارة الخوري أول رئيس للبنان بعد الاستقلال خرج بنفسه إلى حدود لبنان الجنوبية لاستقبال اللاجئين الفلسطينيين تعبيرا عن مشاعر التأييد والتعاطف والاستعداد للمشاركة والتضحية حتى تمر الأزمة وتنكشف الغمة .

ولقد تعاونت الحكومة اللبنانية مع بعض الهيئات المحلية والدولية على إنشاء عدد من المخيمات كان أكثرها كثافة تلك التي أقيمت على أرض الجنوب اللبناني على اعتبار أن معظم اللاجئين فضّلوا الانتظار بالقرب من حدود بلادهم ، وبدأت حياة اللاجئين تنتظم داخل المخيمات التي أخذت كثافتها السكانية تزداد سنة بعد أخرى ، وفي بيوت هشة من الصفيح لا تفصلها عن بعضها سوى أزقة متربة في الصيف موحلة في الشتاء .

وعندما انطلقت حركة الكفاح المسلح بعد هزيمة ١٩٦٧ تلقّف سكان المخيمات بلهفة هذا الأمل خاصة وأن الحرب الأخيرة كانت قد أسفرت عن إضافة أعداد أخرى من اللاجئين الذين هُجّروا من الضفة الغربية ، وأصبحت الثورة هي الأمل الوحيد لتغيير الوضع البائس بعد أن خمد الأمل القديم الذي عاش طويلا في النفوس انتظارا لحرب عربية تعيد إليهم "الوطن المغتصب " أو تعيدهم إليه .

وكان لابد أن يقع الصدام بين ساكني المخيمات في حالتهم الثورية الجديدة ، وبين الدولة اللبنانية التي استشعرت خطورة الثورة التي تحدث في المخيمات على لبنان ، وقد وقع الصدام بالفعل في عام ١٩٦٩ ، وسرعان ما تدخلت أطراف عربية عدة للتوسط بين الحكومة اللبنانية وبين قيادة الثورة التي كانت مقرها لا يزال في الأردن ، وتمخضت هذه الوساطة عن اتفاقية القاهرة ، والتي أقرت واقعيا بالوجود الفلسطيني المسلح على أرض لبنان ، وإنشاء نقاط للكفاح المسلح داخل المخيمات لضبط الأمن وبتسهيل للمقاتلين عبر حدود لبنان الجنوبية للقيام بعملياتهم الفدائية ،

لكن الصدام الثاني الذي وقع في عام ١٩٧٣ إثر عملية " فردان " الإسرائيلية التي أثارت انتقادات حادة ضد تقاعس السلطة اللبنانية وعجزها ، وقيام الجيش اللبناني بقصف المخيمات في رد فعل متسرع لقمع الأزمة وتحجيم قيادة المقاومة التي انتقلت إلى لبنان في عام ١٩٧١ كان له رد فعل عكسي تماما ، ليس فقط بين الفلسطينيين ، وإنما أيضا بين " حلفائهم " اللبنانيين وقد ظل يتصاعد ويتفاعل حتى كان يوم ١٣ إبريل عام ١٩٧٥ الذي وقع فيه حادث " عين الرمانة " حيث قتل ٢٦ فلسطينيا على أيدي مسلحي حزب الكتائب (المسيحي) فانفجرت الحرب الأهلية !

إن علاقة المقاومة الفلسطينية بلبنان علاقة شائكة ومعقدة ومتداخلة ، ومن الصعب أن نصدر فيها حكما واحدا قاطعا لصالح أحد الأطراف ، فأحيانا تكون المقاومة الفلسطينية هي الجانية وأحيانا تكون الدولة اللبنانية – إن كان ثمة دولة لبنانية بالمعنى الحقيقي للدولة – هي الجانية ، وفي أغلب الأحيان فإنهما – المقاومة الفلسطينية والدولة اللبنانية – يكونان مَجْنِيٌّ عليهما وتكون إسرائيل وعملاؤها وحلفاؤها هم الجناة .

إن المقاومة الفلسطينية بعد تجربتها المريرة مع السلطة في الأردن عام ١٩٧٠ قد أصبحت أسيرة عقدة الخوف من " السلطة " في أي بلد ، بل وفي أي مكان ، ولم تعد المقاومة الفلسطينية تقتصر على الحذر والشك إزاء السلطة وحدها وإنما ساعدت على تكوين " مزاج فلسطيني عام " يفتش عن سوء النية وراء كل عمل أو تصرف ، ويتوقع " الشر " في كل لحظة ويشك في كل شيء وفي أي شخص .

في أواسط السبعينات وقبل أن اندلاع حرب لبنان الأهلية ، كانت الشكوك المتبادلة بين لبنان والمقاومة الفلسطينية قد بلغت من الكثافة حدا يجعل المرء يكاد يشعر بها وراء كل موقف وفي كل تصريح ، ولم يكن الأمر نتيجة الصدمة التي أحدثتها عملية الكوماندوز الإسرائيلية عام ١٩٧٣ ، والتي عرفت فيما بعد بـــ " عملية فردان " فقد تمكنت الكوماندوز الإسرائيلية من النزول على شاطئ بيروت ، مستهدفة قادة منظمة التحرير وأركان منظمة الأيلول الأسود بالأخص .

ونجا عرفات من القتل حيث كان يعمل لوقت متأخر في مقر القيادة ولكنهم قتلوا في ذلك الهجوم ثلاثة من قادة المقاومة حيث يقيمون في منطقة شارع " فردان " غربي العاصمة اللبنانية بمعاونة قادة محليين فيما يقال فاغتالتهم جميعا ، ثم انسحبت مع خيوط الفجر مخلفة وراءها – بالإضافة إلى جثث : كمال ناصر ، ويوسف النجار ، وكمال عدوان – جذوة أزمة لم تلبث أن استعرت نيرانها ، وسط حملة هائلة من الاتهامات المتبادلة ، وسببت أول صدام خطير بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية المسلحة ، وفي غمرة هذا الصدام ونتيجة له ، سقطت عمليا الاتفاقات المعقودة بين الدولة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية [1] فانتشر الوجود الفلسطيني المسلح دون ضابط بينما قام الجيش اللبناني من ناحيته بقصف مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بالطائرات !!

وتطور سوء الظن بين الطرفين من سيئ لأسوأ حتى انفجرت الحرب الأهلية اللبنانية ، فإذا بالثورة الفلسطينية تجد نفسها بدلا من أن تتخذ من لبنان منطلقا لكفاحها المسلح ضد إسرائيل قد تورطت كطرف في القتال الدائر على أرض لبنان

مآسي المقاومة الفلسطينية في لبنان

مذبحة عين الحلوة (١٦ مايو ١٩٨٤)

ومن المآسي التي تعرضت لها المقاومة الفلسطينية في لبنان مذبحة عين الحلوة (١٦ مايو ١٩٨٤) : ففي عشية الانسحاب الإسرائيلي المنتظر من مدينة صيدا في جنوب لبنان، أوعزت إسرائيل إلى أحد عملائها ويُدعى حسين عكر بالتسلل إلى داخل مخيم عين الحلوة الفلسطيني المجاور لصيدا، واندفعت قوات الجيش الإسرائيلي وراءه بقوة ١٥٠٠ جندي و١٥٠ آلية. وراح المهاجمون ينشرون الخراب والقتل في المخيم دون تمييز تحت الأضواء التي وفرتها القنابل المضيئة في سماء المخيم. واستمر القتل والتدمير من منتصف الليل حتى اليوم التالي حيث

---

[1] اهمها " اتفاقية القاهرة " التي وقعت في ٣ نوفمبر ١٩٦٩ ، ووقعها عن لبنان قائد الجيش وعن المقاومة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، ثم أقرها مجلس الوزراء ومجلس النواب اللبنانيين فيما بعد ولكنها – والملاحق المرفقة بها – ظلت سرية ولم تنشر تفاصيلها ، وتلي ذلك في الأهمية اتفاقية " ملكارت " التي وقعت في بيروت عقب الصدام بين الجيش اللبناني والمقاومة في عام ١٩٧٣ ، واعتبرت مكملة لاتفاق القاهرة ، ومفسرة أو موضحة لبعض بنودها .

تصدت القوات الإسرائيلية لمظاهرة احتجاج نظمها أهالي المخيم في الصباح. كما فرضوا حصاراً على المخيم ومنعوا الدخول إليه أو الخروج منه حتى بالنسبة لسيارات الإسعاف وذلك إلى ساعة متأخرة من نهار ذلك اليوم .

وأسفرت المذبحة عن سقوط ١٥ فلسطينياً بين قتيل وجريح بينهم شباب وكهول وأطفال ونساء فضلاً عن تدمير ١٤٠ منزلاً واعتقال ١٥٠ بينهم نساء وأطفال وشيوخ .

مذبحة صابرا وشاتيلا (١٦-١٨ سبتمبر ١٩٨٢)

وقعت هذه المذبحة بمخيم صابرا وشاتيلا الفلسطيني بعد دخول القوات الإسرائيلية الغازية إلى العاصمة اللبنانية ببروت وإحكام سيطرتها على القطاع الغربي منها وقامت المدفعية والطائرات الإسرائيلية بقصف صابرا وشاتيلا ـ رغم خلو المخيم من السلاح والمسلحين ـ ولقد راح ضحية مذبحة صابرا وشاتيلا [١٥٠٠] شهيداً من الفلسطينيين واللبنانيين العزل بينهم الأطفال والنساء.

كما تركت قوات الكتائب وراءها مئات من أشباه الأحياء. كما تعرَّضت بعض النساء للاغتصاب المتكرر.

وتمت المذبحة في غيبة السلاح والمقاتلين عن المخيم وفي ظل الالتزامات الأمريكية المشددة بحماية الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين من المدنيين العزل بعد خروج المقاومة من لبنان.

وكانت مذبحة صابرا وشاتيلا تهدف إلى تحقيق هدفين : الأول الإجهاز على معنويات الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين، والثاني المساهمة في تأجيج نيران العداوات الطائفية بين اللبنانيين أنفسهم.

فتح الإسلام ولبنان

التقارير تفيد أن مجموعة فتح الإسلام انشقت في بادئ الأمر عن تنظيم فتح الانتفاضة، الذي يقوده أبو موسى وأبو خالد العملة من دمشق، وهو تنظيم مقرب من النظام السوري، سبق له وأنشق بدوره عن حركة فتح في أواسط العقد الثامن من القرن الماضي، على خلفية النزاع بين دمشق ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وقاد انشقاق فتح الإسلام شاكر العبسي وهو عضو سابق في حركة فتح، أرسلته الحركة في السبعينات إلى ليبيا للتدرب على الطيران، وعاد بعدها ليظهر في الأردن عام ٢٠٠٢، حيث يُنسب إليه الضلوع باغتيال الدبلوماسي الأمريكي لورنس فولي، وقد صدر بحقه حكم غيابي بالإعدام في هذه القضية.

بعد ذلك ظهر العبسي في دمشق، حيث صدر بحقه حكماً بالسجن بتهمة محاولة إدخال أسلحة إلى الأردن لضرب أهداف إسرائيلية عام ٢٠٠٢، وأطلق سراحه بعد عامين فقط، ليعود فيظهر فجأة في معسكر تابع لتنظيم "فتح الانتفاضة" في بلدة حلوة اللبنانية، الواقعة على الحدود السورية لجهة البقاع الغربي .

ومنذ نهاية العام ٢٠٠٦ قدم " شاكر العبسي" الأردني المقيم في مخيم نهر البارد نفسه على أنه زعيم حركة " فتح الإسلام ".

وكان الظهور الأول لـ"فتح الإسلام" بعد اشتباك في مخيم البداوي في الشمال، في أواخر شهر نوفمبر ٢٠٠٦ بين عناصر من الكفاح المسلح الفلسطيني، وجماعة منشقة عن حركة "فتح الانتفاضة" (أبو موسى) التي دعمتها سوريا عام ١٩٨٣ في وجه الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات .

وفي البيان الأول الذي يحمل اسم "فتح الإسلام" شرح فيه (التنظيم) الأطر العامة لحركته، والتي تقوم على "الجهاد لتحرير فلسطين" من منطلقات إسلامية، شاء وضعها في مواجهة الفكر التقليدي لسائر الفصائل الفلسطينية التي اتهمها بالفساد أو العلمانية، على حد تعبيره. و أكد البيان انفصال حركة فتح الإسلام عن حركة "فتح الانتفاضة .

ولقد استطاع التنظيم السيطرة عناصر على مخيم نهر البارد، القريب من شاطئ البحر، وتبلغ مساحته حوالي الـ ١٠٠٠ متر، أحيط بسواتر من الأسمنت المسلح.

وطرح اسم فتح الإسلام بقوة في ١٢ مارس ٢٠٠٧ لاتهامه في تنفيذ تفجير حافلتي ركاب في منطقة عين علق، في بكفيا شرق بيروت، ذهب ضحيتها ثلاثة

قتلى والعديد من الجرحى ، حيث تم توقيف بعض المشتبهين، واتهم وزير الداخلية اللبناني حسن السبع صراحة الاستخبارات السورية برعاية التنظيم، قائلاً :

" إن الجميع يعرف من هي الجهة التي تقف وراء ما يسمى بــ'فتح الإسلام' أو 'فتح الانتفاضة'، التي هي جزء من الجهاز الاستخباراتي السوري ."

وبدأت المعارك بين الجيش اللبناني وجماعة فتح الإسلام، الأحد ٢٠ مايو ٢٠٠٧ وهي الأعنف منذ انتهاء الحرب الأهلية في لبنان في عام ١٩٩٠. وتسببت حسب تقرير وزير الدفاع اللبناني " إلياس المر " قتل ٢٢٢ مسلحا وأسر ٢٠٢ من عناصر فتح الإسلام في حين خسر الجيش اللبناني ١٦٣ جنديا وضابطا خلال معارك نهر البارد [1]

وتوقف القتال، الذي أدى إلى موجات نزوح خارج المخيم، يوم ٢٢ مايو بهدنة بين الطرفين تسمح لشاحنات الإغاثة بدخول مخيم نهر البارد بطرابلس . وأسفرت المعارك عن قتل بعض قادة "فتح الإسلام" مثل السوري محيي الدين عبد الحي عبود الملقب بــ "أبو يزن" أو أبو مدين الذي كان يتزعم المجموعة التي نفذت جريمة عين علق في المتن الشمالي، واللبناني صدام الحاج ديب المطلوب إلى القضاء الألماني بتهمة الاشتراك في محاولة تفجير القطارين، كما ذكرت المصادر الأمنية اللبنانية لوسائل الإعلام .

ويذكر أن بعض المخيمات الفلسطينية تشهد انتشاراً لتنظيمات متشددة أخرى، سبق وأن اشتبكت مع الجيش اللبناني ومع حركة فتح في مناسبات عدة، وأبرزها تنظيم "جند الشام"، المتمركز في مخيم عين الحلوة، قرب مدينة صيدا الجنوبية، والذي يتردد انه عقد اتفاقاً تنسيقياً مع فتح الإسلام.

موقف الدول والمنظمات من تنظيم " فتح الإسلام "

يعد تنظيم فتح الإسلام تنظيما لقيطا تتبرأ كل الدول والتنظيمات منه بل تحاول الدول والمنظمات أن تتهم خصومها بدعم هذا التنظيم ، ودونك رأي المتهمين بانتساب تنظيم فتح الإسلام لهم .

([1]) قناة الجزيرة الفضائية في ٤ / ٩ / ٢٠٠٧

فالقيادات الفلسطينية تنفي أن تكون الجماعة قد حظيت بأي غطاء فلسطيني في المخيمات، حيث أكد أمين سر حركة فتح في لبنان، سلطان أبو العينين، أن نسبة الفلسطينيين في هذه الجماعة لا يتجاوز خمسة في المائة . وكشف عباس زكي، ممثل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان أن فصائل المنظمة وفي مقدمتها حركة فتح، تعيد ترتيب تشكيلاتها في مخيمات لبنان للتصدي لظاهرة تنظيم "فتح الإسلام" المتشدد، واضعاً تلك الجهود في سياق حماية السلم الأهلي اللبناني .

واعتبر زكي موضوع السلاح الفلسطيني الموجود خارج المخيمات " شأناً سيادياً لبنانيا " ورفض في الوقت عينه تحويل المخيمات إلى ملاجئ للمطلوبين .

ورفض ممثل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بلبنان في حديث لموقع CNN بالعربية اعتبار المخيمات الفلسطينية "ثغرة في جدار السلم الأهلي" مؤكداً عزم الفلسطينيين الموجودين في لبنان العيش بنفس الطريقة التي يعيشون فيها في سوريا والأردن .

وقال زكي : " هناك ما يسمى 'فتح الإسلام' ونحن بصدد محاولة محاصرتهم اجتماعياً وشعبياً بهدف إشعارهم بأنهم ليسوا وحدهم على الساحة ... لدينا وجودنا ونحن سننظم هذا الوجود وسنأخذ احتياطات خاصة ."

وفي حين اتهم وزير الداخلية اللبناني الاستخبارات السورية برعاية التنظيم نفت سوريا بحزم هذه الاتهامات ، مؤكدة أن المجموعة تنتمي إلى تنظيم القاعدة، حيث قال وزير الداخلية السوري، اللواء بسام عبد المجيد، إن 'فتح الإسلام" أحد تنظيمات القاعدة التي تخطط لأعمال إرهابية في سوريا".

وقد وجد هذا الرأي على ما يبدو صداه لدى بعض الأوساط الأمريكية، نظراً للخلفية الفكرية للجماعة ولشخصية زعيمها شاكر العبسي ودوره في اغتيال الدبلوماسي الأمريكي لورنس فولي في الأردن عام ٢٠٠٢.

وعزز من شبهة انتساب تنظيم فتح الإسلام للقاعدة لجوء التنظيم إلى استخدام أدبيات القاعدة وشعاراتها وأساليبها الإعلامية، وقد دأب على بث بياناته باستخدام مواقع إلكترونية، غالباً ما تبث بيانات وأشرطة لتنظيمات متشددة، بالتزامن مع

تحذير القائد السابق للقوات الدولية العاملة في جنوب لبنان من إمكانية قيام "القاعدة" باستهداف قواته .

وقد أشارت العديد من التقارير إلى ارتباط هذه الجماعة، بجماعة قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، خاصة أثناء حقبة قيادة أبو مصعب الزرقاوي، حيث كانت تشرف على إمداده بمقاتلين لبنانيين وفلسطينيين .

ولم يصدر عن تنظيم القاعدة ما يؤكد صلته بجماعة فتح الإسلام، على غرار ما حدث مع التنظيمات المتشددة المغربية.

كما أن الجماعة تجنبت الإشارة إلى ما إذا كانت بحق تابعة للقاعدة.

وفي حين تعتبر السلطة اللبنانية تنظيم فتح الإسلام دليلاً على التورط السوري في الشأن الداخلي، من باب زعزعة الأمن.تعتبرها المعارضة دليلاً على وجود تطرف سني في لبنان مرتبط بتنظيم" القاعدة"، ازدادت قوته مع حالة "الشحن المذهبي" الذي تعيشه هذه الطائفة بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري، وتراخي القبضة الأمنية المركزية للدولة تجاه تلك الظواهر في مواجهة النفوذ الشيعي المسلح لحزب الله.

وبين إصرار الحكومة اللبنانية على دور الأمن السوري في إخراج شاكر العبسي السريع من السجن، و"تسريبه" عبر الحدود باتجاه لبنان مع عناصره المتشددة، وبين اتهام المعارضة للحكومة، بغض الطرف عن بعض الظواهر السنية المتشددة في مواجهة النفوذ المسلح للشيعة، يدفع الأمن اللبناني الداخلي الفاتورة الأكبر .

المقاومة الفلسطينية والجنوب اللبناني

ويمكن أن نميز مراحل أربع مر بها الجنوب اللبناني :

المرحلة الأولى : هي المرحلة التي سبقت دخول المقاومة الفلسطينية المسلحة إلى لبنان ، كان الفلسطينيون موجودون " كلاجئين " يعيش معظمهم داخا المخيمات

البائسة ، وكان هناك نوع من وحدة الحال تربطهم مع اللبنانيين من أهل الجنوب الذين كانوا هم أيضا من التخلف والاستغلال والفقر .

في تلك المرحلة وفي الوقت الذي كانت إسرائيل فيه تبني آلتها العسكرية الهائلة ، كان لبنان يتبنى السياسة التي يعبر عنها القول المأثور " إن قوة لبنان في ضعفه " وظلت الأطماع الإسرائيلية – وفقا لهذه السياسة – في الجنوب اللبناني خطرا مستبعداً ، وإن كان يحوّم باستمرار في الأفق .

ظل الجنوب اللبناني يعيش في تلك المرحلة حياة آمنة مستقرة حتى كانت الحرب سنة ١٩٦٧التي زلزلت هذا الاستقرار ، وأشاعت الخوف والفزع والدمار .

المرحلة الثانية : وهي التي أعقبت حرب ١٩٦٧ ، وشهدت صدام المقاومة الفلسطينية مع السلطة في الأردن عام ١٩٧٠ ، وانتقالها إلى لبنان عام ١٩٧١ ، وتتجلى أهمية هذه المرحلة في أنها شهدت أول أزمة حكم في لبنان بسبب انقسام اللبنانيين حول المقاومة الفلسطينية ودورها ، وما إذا كان يتعين تركها للعمل انطلاقا من الأراضي اللبنانية ، كما أن هذه المرحلة شهدت مولد أول اتفاق رسمي بين الدولة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية (اتفاق القاهرة) ، كما شهدت تصعيد " العربدة الإسرائيلية " في لبنان الذي كان للجنوب النصيب الأكبر من الاعتداءات : قصف ، وغزوات الكوماندوز ، وعمليات الإنزال البحري ، والتحليق الجوي ..

كما شهدت هذه المرحلة أول صدام بين الجيش اللبناني والمقاومة عام ١٩٧٣ ، والتي عرفت فيما بعد بـــ " عملية فردان " ، والتي ترتب عليها توثيق التحالف بين المقاومة الفلسطينية ، وأحد طرفي الصراع الرئيسيين في لبنان ، وخروج العناصر الفلسطينية المسلحة من المخيمات متجاهلة الاتفاقات مع الدولة اللبنانية وانتشارها في مناطق لبنانية عديدة الأمر الذي أصبح مثار شكوى مرّة خاصة مع ما رافقه من ارتكاب " التجاوزات " من قِبَل الدولة والطرف اللبناني المعادي للوجود الفلسطيني .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة الحرب الأهلية التي أشعل فتيلها مقتل ٢٦ فلسطينيا على أيدي مسلحي حزب الكتائب (المسيحي) ، وعملت الحرب الأهلية على

تعميق الانقسام بين الطوائف المختلفة ، وازداد التفسخ إلى حد إقدام بعض عناصر الميليشيات الكتائبية – مبكرين – على إشهار تعاونهم مع إسرائيل التي لم تتوان – بالطبع – عن انتهاز الفرصة السانحة فبدأت تعمل على ترتيب الأوضاع في الشريط الملاصق لحدودها داخل الأراضي اللبنانية على النحو الذي يلائمها ، وفي طريقها إلى ذلك أخذت تعمل على زيادة حالة الفوضى ، والإبقاء على الفتنة مشتعلة باستمرار ،وفي تلك المرحلة بدا أهالي الجنوب " يتململون " من وجود المسلحين الفلسطينيين وممارساتهم المزعجة وتجاوزاتهم التي زادت عن حدها في خضم الفوضى الشاملة ، وهو شعور أخذ يتنامى تدريجيا خاصة بعد غزو القوات الإسرائيلية للبنان مرتين " بسبب الفلسطينيين " في عملية " الليطاني " عام ١٩٧٨ ـــولا ، ثم بالغزو الشامل عام ١٩٨٢ ، وكان أن غُرست في تلك الفترة البذور التي أثمرت فيما بعد " اضمحلال " التعاطف التقليدي مع المقاومة الفلسطينية ، إلى حد أنه أصبح ممكنا فيما بعد ف الثمانينات أن تقدم حركة أمل الشيعية اللبنانية على محاصرة مخيمات الفلسطينيين وتجويعها وقصفها بالدافع والصواريخ .

المرحلة الرابعة : وهي الأطول زمنا حيث تمتد من نهاية حرب السنتين عام ١٩٧٦وإلى خروج إسرائيل من لبنان عام ٢٠٠٠ وأوضح ملامح هذه المرحلة هي سيطرة إسرائيل وإعلاء كلمتها في الجنوب اللبناني ، ولقد كانت عملية الليطاني التي نفذتها القوات الإسرائيلية في مارس ١٩٧٨ هي مجرد الخطوة الأولى من جانب إسرائيل في سبيل هذه السيطرة ذلك أن هذا الغزو هو الذي مهد لإنشاء " الحزام الأمني " الذي سلمته إسرائيل لعميلها الرائد " سعد حداد " وقواته لكي يتولى – تحت رقابتها وبتوجيهها – مسئولية التصدي لأي عمل يمكن اعتباره تهديدا لأمن الجليل ، من جهة النظر الإسرائيلية ، أو المستعمرات المقامة في شمال إسرائيل .

وظل سعد حداد إلى أن مات في إحدى المستشفيات الإسرائيلية ، ويؤدي هذه المهمة في منطقة تمتد على طول حدود لبنان الجنوبية وبعمق – داخل الأراضي اللبنانية طبعاً – يبلغ متوسط سبعة كم ، ولم يكتف سعد حداد ، الذي خلفه بعد موته

ضابط لبناني منشق آخر هو " أنطوان لحد " بمجرد التصدي ، وإنما كان يعمد إلى تنفيذ التعليمات الإسرائيلية بالمشاركة في قصف المخيمات والمواقع الفلسطينية وكذلك المدن والقرى اللبنانية ، في كل أنحاء الجنوب ، بحجة الرد على عملية فلسطينية أو للتمهيد لغارة أو عملية إسرائيلية أو بافتعال أية ذريعة كالضغط لإرغام الحكومة اللبنانية على دفع رواتب جنوده – والذين كان قسم كبير منهم من جنود الجيش اللبناني النظامي – أو المطالبة بمد منطقته بالتيار الكهربي ... إلى غير ذلك من أسباب ، وظلت المليشيات الحدودية ، التي ارتضت لنفسها أن تكون " جدارا لبنانيا " يحمي إسرائيل على حساب سيادة لبنان وسلامته وحتى بعد خروج المقاومة الفلسطينية عام ١٩٨٢ تقوم بمهمتها في منطقة الحزام الأمني كما حددتها إسرائيل ، وأكدت الأحداث والمعلومات اشتراك رجال هذه الميلشيات في العمليات التي كانت إسرائيل تقوم بها والتي تتوغل خلالها داخل الأراضي اللبنانية ، بل إن سعد حداد قائد الميلشيات الموالية لإسرائيل لم يتورع أن يعلن أنه سيقاوم دخول الجيش اللبناني إلى الجنوب ، وأنه سيتصدى له بالقوة !! (١)

جناية المقاومة الفلسطينية على لبنان

ولقد جنت المقاومة الفلسطينية على لبنان بالآتي :

١- بثقل قضيتها الشائكة ، وبوجودها المسلح الذي لا يتحمله كيان لبنان الهش ولا تركيبته السكانية الطائفية ، وبتحولها إلى " دولة داخل الدولة " بكل المعنى الحرفي للعبارة : دولة لها رعاياها ، وجيشها ، وجهازها الأمني ، وميزانيتها الضخمة ، ولها حتى " السيادة " على بعض المناطق ، وعلى الرغم من أن قيادة المقاومة كانت لا تقر علناً بوجود هذه السيادة أو تدعيها إلا أن أي لبناني عادي – فضلا عن اللبناني الحزبي أو المسئول الحكومي – كان يعرف جيدا معنى أن يطلق على المناطق التي توجد فيها المقاومة المسلحة في الجنوب اللبناني اسم " فتح " .

---

(١) راجع مشكلة الجنوب اللبناني كتاب " لبنان إنهيار أم انتحار " محمود أحمد .

٢- كذلك جنت المقاومة على لبنان عندما لم تبذل الجهد الكافي لتجنب التورط في الصراع بين اللبنانيين .

٣- كذلك جنت المقاومة على لبنان عندما تركت عناصرها متسيبة في الجنوب اللبناني ، وبيروت الغربية خاصة ، فانتهز البعض فرصة هذا التسيب لارتكاب مختلف أنواع الجرائم والموبقات بدءاً من السرقة والاغتصاب واحتلال البيوت ، وانتهاء بتجارة السلاح والكسب غير في أنواع من التجارة المحرمة التي كانت متاحة في لبنان ، ومرورا بأعمال القتل والخطف والتعدي من كل لون .

أما تأثير المقاومة الفلسطينية على السياسة اللبنانية فقد كان كبيرا إذ استقر في أذهان فريق من اللبنانيين – إثر نشوب الحرب الأهلية وتورط الفلسطينيين فيها – قناعة بوجود مؤامرة دولية لتهجير اللبنانيين – خاصة الموارنة- من بلدهم لبنان وإحلال الفلسطينيين محلهم ، باعتبار أن ذلك يمثل الحل الوحيد الباقي لمشكلة الشرق الأوسط .

جناية لبنان على المقاومة الفلسطينية

وكما جنت المقاومة على لبنان جنت لبنان على المقاومة الفلسطينية عندما :

١- نقلت إليها عدوى الانحلال والتفكك التي أفسدت " الثورة " واجتذبت المقاتلين إلى مغريات الحياة الناعمة بعيدا عن النضال والفدائية .

٢- كذلك جنت لبنان على المقاومة بجرها إلى مياه السياسة اللبنانية العكرة ورمالها المتحركة ، وحوّل جانبا كبيرا ورئيسيا من اهتمامها وطاقتها عن الهدف الرئيسي ودفعها دفعا إلى التورط في القتال ، كما فرض عليها ضعف سلطة الدولة أن توجه قدرا لا يستهان به من جهدها العسكري لحماية نفسها من الهجمات المسلحة من جانب فريق من اللبنانيين ، في وقت كان يتعين عليها فيه التصدي باستمرار للاعتداءات الإسرائيلية التي لم تكن تتوقف على المخيمات والمواقع في الجنوب وبيروت .

٣- وجنت لبنان على المقاومة عندما أقام فريق من اللبنانيين اتصالات – تحولت إلى تحالفات – مع العدو الرئيسي للمقاومة وهو إسرائيل ، مما كان لابد وأن يدفع قيادة المقاومة إلى الإمعان في خصومتها لذلك الفريق اللبناني والتورط على نحو أكثر خطورة في الصراع الدائر على أرض لبنان .

٤- جنت لبنان على المقاومة بجعل تغلغل جواسيس إسرائيل إلى مواقع وجود المقاومة وقيادتها بل واختراق صفوفها أيضا أمرا ميسورا في كل وقت ، وقد مكن ذلك أجهزت المخابرات الإسرائيلية من أن تقوم بعمليات ألحقت بالمقاومة أبلغ الضرر ، بدءاً من عملية الفردان عام ١٩٧٣ ، وحتى الغزو الشامل الذي أجبر المقاومة في النهاية – قيادة ومقاتلين – على الخروج من بيروت في عام ١٩٨٢.[١]

مشكلة الجنوب اللبناني

لقد كان جنوب لبنان – ولا يزال هو الضحية الدائمة – في هذه الدراما اللبنانية الرهيبة ، فقد عاش سكانه - المسلمون الشيعة - محملين بأثقال الفقر والجهل والتخلف ، وعاشوا هدفا للمطامع الإسرائيلية في أرضه ومياهه ، ثم جاءت مشكلة الوجود الفلسطيني : اللاجئون الفلسطينيون (ابتداء من سنة ١٩٤٧) ، ثم المقاومة الفلسطينية (١٩٧١) ليتحول الجنوب اللبناني إلى بركان لا يكاد يهدأ حتى يثور فقد استغلت إسرائيل انطلاق العمل الفدائي الفلسطيني من الجنوب اللبناني ذريعة ليس فقط لشن الغارات الدورية بل السعي الدعوب لضم الجنوب فلم يتوقف احتلال إسرائيل سنة ١٩٦٧ في العرقوب على "المزارع" وحدها, فقد امتدت إلى غير منطقة من "العرقوب": إضافة إلى منطقة "مشهد الطير". ويأتي "جبل الروس" في طليعة تلك المواقع من حيث الأهمية العسكرية, بجانبه الشرقي التابع لسوريا وبجانبه الغربي التابع للبنان, والذي يشرف على الجنوب اللبناني حتى البحر. وقد شهد هذا الجبل معارك قاسية بين الجيشين السوري والإسرائيلي خلال معارك الثمانين يوماً التي أعقبت حرب ١٩٧٣.

([١]) لمزيد من التفاصيل حول علاقة لبنان والمقاومة الفلسطينية انظر الفصل الرابع من كتاب " لبنان انهيار أم دمار ؟ " محمود أحمد .

وفي غمرة المواجهة الإسرائيلية السورية سنة ١٩٧٣, اقتطعت إسرائيل في مرتفعات "جبل الشيخ" العديد من المواقع اللبنانية , سنة ١٩٧٥ تقدمت إسرائيل شمالي شرق "كفر شوبا" من جبل "الشميس" الذي يشرف على عموم القطاع الشرقي. وباحتلاله صارت "كفر شوبا" في وضع عسكري بالغ الحرج, وصارت سائر منطقة "العرقوب" و"مرجعيون" تحت التهديد الجدي.هذه الأراضي المقتطعة من "العرقوب" (خارج حالة المزارع)؛ كانت قد تكرّست, أمام الدوريات الإسرائيلية, ميداناً حراً بدءاً من سنة ١٩٧٥.

وهكذا قدر للجنوب أن يظل يعاني من كل أمراض لبنان ويحمل كافة أزمته ، ومرورا بالمشاكل الناجمة عن الطائفية ، والخلافات السياسية ، والتسيب والفساد ن واستشراء الإقطاع السياسي ، والتمدد الفلسطيني ، والفوضى المسلحة ، وغياب الدولة ، وعجزها عن علاج يضع حدا للمأساة ، وانتهاء حتى بالعجز " الدولي " الذي تجلى خصوصا في عدم قدرة قوات الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة والعاملة في جنوب لبنان منذ عام ١٩٧٨ عن درء الأخطار عنه وتوفير ولو حد أدنى من الحماية والأمن لحدوده وسكانه .

موقف منظمة التحرير من التسوية السلمية

كانت منظمة التحرير الفلسطينية تدعو إلى إقامة دولة علمانية ديمقراطية في فلسطين يتمتع فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون بالحقوق والواجبات ، الأمر الذي كانت ترفضه إسرائيل لما يعنيه من القضاء سياسي على الدولة اليهودية ، ثم بدأ موقف المنظمة يتطور بعد الأخذ بفكرة عبر عنها " نايف الحواتمة " عن إنشاء سلطة وطنية على أرض فلسطين .

وقد وافق المجلس الوطني الفلسطيني في اجتماعه يوم ٨ يونيو ١٩٧٤ على الفكرة وقرر إقامة سلطة وطنية على أي جزء يتم تحريره من الأراضي الفلسطينية وهي الفكرة التي طرحها عبد الناصر واتهمته فيها منظمة التحرير الفلسطينية وحزب البعث السوري بالخيانة !

لقد أيقنت منظمة التحرير الفلسطينية بعد طول مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي ابتداء من (١٩٦٥ – ١٩٦٧) في فلسطين ، ومن (١٩٦٧- ١٩٧٠) في الأردن ، ومن (١٩٧٠ – ١٩٨٢) في لبنان ، ومن (١٩٨٢ – ١٩٩٤) في تونس ، أيقنت أن عليها أن تعدل من مسارها وتتخلى عن شعاراتها السابقة التي عرفت باللاءات الثلاثة (لا صلح ، لا اعتراف ، لا مفاوضة) مع إسرائيل ، ووجوب تحرير أرض فلسطين من البحر إلى النهر (أي من البحر المتوسط إلى نهر الأردن) أيقنت أن هذه الشعارات لا تتناسب تماما مع ميزان القوى الإقليمية الذي هو في صالح إسرائيل ، ولا مع ميزان القوى العالمي الذي هو في صالح أمريكا حليفتها ، ولا مع الخلافات العربية / العربية التي مزقت العرب وبددت قوتهم .

لم يحقق لها شيئا بل سببت مشاكل كثيرة لها وللدول العربية التي لجأت إليها فقررت أن تتخذ من العصيان المدني (أطفال الحجارة) وسيلة للوصول إلى تسوية سلمية ،.وكانت تجربة الحرب الإسرائيلية الفلسطينية الشاملة في بيروت قد لقنتهم درسا مرا فقد ظل خلالها الفلسطينيون وحدهم مع عناصر المقاومة الوطنية اللبنانية يقاتلون الغزو الإسرائيلي على امتداد ٨٨ يوما وذلك قبل أن يتم في أجواء توافق دولي عربي إسرائيلي نفي منظمة التحرير وكوادرها من منطقة الصراع العربي الإسرائيلي في المشرق العربي إلى تونس في المغرب العربي ، وتشتيت مقاتليها وفدائيها ما بين اليمن والعراق والجزائر .

وفي الفصل التالي سوف نعرض لنهج منظمة التحرير في استخدام الانتفاضة وسيلة للوصول إلى تسوية سلمية مع إسرائيل .

***

الفصل الثالث
الانتفاضة

البيان الأول لحركة التحرير الوطني الفلسطيني

اتكالا منا على الله ، وإيمانا منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب ، وإيمانا منا بواجب الجهاد المقدس ، وإيمانا منا بالموقف العربي الثائر من المحيط إلى الخليج ، وإيمانا منا بمؤازرة أحرار وشرفاء العالم .. لذلك فقد تحركت أجنحة من القوات الضاربة في ليلة الجمعة ٣١ / ١٢ / ١٩٦٤ وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الأراضي المحتلة ، وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة ، وإننا نحذر العدو من القيام بأية إجراءات ضد المدنيين الآمنين العرب أينما كانوا لأن قواتنا سترد على الاعتداء باعتداءات مماثلة ، وسنعتبر هذه الإجراءات من جرائم الحرب ، كما وإننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان ، لأن قواتنا سترد على هذا العمل بتعرض مصالح الدول للدمار أينما كانت .

عاشت وحدة شعبنا .. وعاش نضاله لاستعادة كرامته ووطنه .

التاريخ ١/ ١/ ١٩٦٥ القيادة العامة لقوات العاصفة (١)

كان هذا هو البلاغ الأول الصادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة التابعة لحركة فتح . أما البيان السياسي الأول الذي أذاعته القيادة العامة لقوات العاصفة فجاء فيه " إن قوات " العاصفة " المنبثقة من إرادة الجماهير الفلسطينية الثائرة لتدرك إدراكا تاما أبعاد المعركة سياسيا وعسكريا وهي تعمل متخطية كل الظروف والعقبات معتمدة على قوتها الذاتية وطاقات شعبنا العربي .. إن الموقف جد لا هزل فيه

(١) وثائق فلسطينية (٦) الصادرة عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني .

فالشهداء قد تساقطوا والدماء قد أريقت فلنرتفع إلى مستوى المسئولية ، مسئولية المعركة الشريفة لأن هذه الانطلاقة ما هي إلا بداية لحرب تحريرية ذات منهج مخطط ومدروس ، ويهمنا في هذه المرحلة التاريخية الحرجة أن نعلن بوضوح تام أن مخططاتنا في الميدان العسكري والسياسي لا تتعارض مع المخطط الفلسطيني العربي الرسميين في المعركة لأن الكفاح من أجل فلسطين يصب في مجرى واحد يبتدئ وينتهي باجتثاث الخطر الصهيوني من على أرضنا .. أما نحن فقد تحركنا من منطلق فلسطيني مرتبط بتربة الوطن وخير ما يدفعنا إيماننا بأن هذا هو الطريق السليم لإخراج قضيتنا من الدوامة التي عاشت فيها معتمدين على أمتنا العربية وكفاحها المشترك والقوى التحررية في العالم ، ولن يوقف هذا الزحف حتى يرفرف علم فلسطين فوق أرضنا الغالية مهما كانت التضحيات " [1]

المقاومة الفلسطينية وحرب العصابات

كانت هذه هي سياسة حركة فتح الفلسطينية – المعلنة – معركة شريفة ضد العدو المحتل لا تتعارض مع الموقفين العربي والفلسطيني الرسميين في المعركة فلا تستهدف مدنيين ولا تقتل أبرياء ولا تخطف طائرات لكن هذا لم يكن هو موقف كل الفصائل الفلسطينية – مع الأسف – فقد راحت بعض الفصائل تنهج طريقا غير شرعي في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي فالجبهة الشعبية الفلسطينية بدأت أسلوب خطف الطائرات منذ يوليو ١٩٦٨ – كما سبق القول – ولم تفلح محاولات ياسر عرفات (رئيس منظمة التحرير الفلسطينية) في وقف هذه العمليات التي كانت تشوه وجه المقاومة وتسيء إلى أهدافها النبيلة ، ولكن هذه الفصائل استمرت في نشاكها وأقدمت على خطف وقتل ١١ رياضياً إسرائيلياً أثناء دورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت في ميونخ عام ١٩٧٢.

والحقيقة أن تبني بعض الفصائل الفلسطينية لأسلوب حرب العاصبات التي تقوم على خطف طائرات مدنية ، واغتيالات لأبرياء ، وعمليات تفجير عشوائية ، هذه العمليات أساءت أيما إساءة – ومازالت – للمقاومة الفلسطينية ، وأعطت إسرائيل

---

(1) نفسه .

المبرر للتمادي في طغيانها ضد الشعوب العربية . وأفقدتها التعاطف الدولي لقضيتها العادلة ، وأظهرتها بمظهر الإرهاب والتطرف بل وعملت على أعطاء مشروعية دولية للممارسات الإسرائيلية الانتقامية ، ولم تحقق أي نجاحات للقضية الفلسطينية بل على العكس أساءت إليها .

الانتفاضة الفلسطينية الأولى

ومن هنا تبدو أهمية الانتفاضة الفلسطينية التي انطلقت في (ديسمبر ١٩٨٧) في أنها تظهر الفلسطينيين بمظهر المناضلين الشرفاء الذين يجمعون إلى جانب شرف الغالية شرف الوسيلة فقد أخذت الانتفاضة شكلا مشروعا للمقاومة وهو العصيان المدني ، الذي يستبدل الإضرابات السلمية بالعمليات الانتحارية التي تستهدف المدنيين ، ويستبدل رشق الجنود بالحجارة بخطف الطائرات المدنية ، وتوجيه الصورايخ على المناطق السكنية .

وقد جاءت النتائج مبهرة للانتفاضة فعلى سبيل المثال ، لم يكن قد انقضى غير ثلاثة أشهر وحسب على اندلاع الانتفاضة الفلسطينية حتى كانت الخسائر الاقتصادية التي منيت بها إسرائيل ، وأعلنتها " نعمة هينج " الناطقة باسم وزارة الاقتصاد ، وقتذاك صدمة مروعة للدولة والمجتمع .

في بيان " هينج " الذي أصدرته في الثالث والعشرين من مارس ١٩٨٨ رصدت الخسائر الآتية :

٣١٢ مليون دولار قيمة الانخفاض في الإنتاج الإسرائيلي ، وخاصة في مجالات الإنشاءات ، ٦٠ مليون دولار قيمة تكاليف قوات الجيش والبوليس الإضافية التي استدعت لمواجهة أعمال الانتفاضة ، وكذلك للضفة الغربية وغزة نتيجة حملة المقاطعة للسلع الإسرائيلية .

ومنذ الأسابيع الأولى للانتفاضة تيقظت القيادات العسكرية لهذا الخطر ، ويعترف الجنرال " دان شمرون " رئيس أركان القوات المسلحة في ذلك الوقت في حديث مع صحيفة " دافار " في الأول من يونيو ١٩٨٨ : " إن هذه الحرب التي يخوضها

الجيش الإسرائيلي ، والواضح أنها سوف تستمر لفترة طويلة في الضفة الغربية وغزة أصعب كثيرا من الحروب التقليدية ، لأن الجندي مؤهل بشكل أساسي لخوض الحروب ضد الجيوش الأخرى . إنني على قناعة بأن استخدام القوة العسكرية لن يسفر عن إخماد الانتفاضة بشكل مطلق إلى إذا أرادت تلك الجماهير الثائرة الهدوء وحدها ، ولأسباب خاصة من جانبها وحدها . باختصار نحن نجلس فوق برميل بارود .

وفي نفس التاريخ يعلن الجنرال المتقاعد " أوري أور " عن تكوين منظمة جديدة باسم "المجلس الإسرائيلي للسلام والأمن " تضم (١٥٠) ضابطا كبيرا من المتقاعدين والاحتياط يدعون إلى ما كان من المحرمات وهو حتمية إنهاء الاحتلال " لأن الاستمرار فيه يلحق ضررا فادحا بأمن إسرائيل ويقضي على كل أمل لتحقيق السلام في المنطقة .

وتتابعت دون توقف الاعترافات والصدمات التي لا سابقة لها في تاريخ المؤسسة العسكرية الإسرائيلية : فرار صغار الضباط والجنود من أداء الخدمة العسكرية في غزة والضفة الغربية ، وتزايدت حالات الانتحار بين الجنود الشباب ، ورفض تنفيذ الأوامر العسكرية في ميدان العمليات ، وتكوين جمعيات مضادة للحرب ضد الانتفاضة في أوساط الشبان الذين أصبحوا على وشك الاستدعاء للخدمة العسكرية على أساس " رفض المشاركة في قمع ومطاردة شعب يريد الاستقلال " .

وحذرت جماعة الأطباء النفسيين في إسرائيل أنه في مناخ الصدام بين الجيش وجماهير الانتفاضة هناك اثنان من كل ثلاثة جنود أصيبا بعاهات نفسية مختلفة ، وصارا يترددون بصورة منتظمة على العيادات النفسية للعلاج ، وأشارت التقارير العسكرية إلى ارتفاع المضطرد في أعداد الجنود الذين يهربون من واقعهم الدموي عن طريق تعاطي المخدرات ، كما ارتفع معدل جرائم العنف بصورة ملحوظة .

وأخذ المجتمع الإسرائيلي يضيق بالحياة غير الآمنة داخل قلعة عسكرية لها قوانينها التي تحد من حركة المواطنين الطبيعية اليومية في " وطن الآباء والأجداد " ، وباتت قطاعات متزايدة منه ترفض سياسات الحكومة سواء أكانت تحت قيادة

الليكود أو العمل التي لا ترى حلا إلا من خلال القمع وفوهة البندقية ، وراح المجتمع يفرز عن هذا الرفض ما سمي بالأجساد السياسية الجديدة خارج دائرتي الحزبين الكبيرين المتداولين للسلطة فظهرت حركة " السلام الآن " ، وحركة " هناك حد " ، وحركة " السيدات المتشحات بالسواد " (أمهات الجنود والضباط القتلى) ، وجماعة المثقفين من أجل السلام مع الشعب الفلسطيني التي أخذت تستقطب – كما لم يحدث من قبل – قطاعات من الرأي العام تناهض سياسات الحكومة وخطر تشجيع المستوطنين والمستوطنات في الأرض المحتلة على أمن إسرائيل وابتزازها للمجتمع واقتصاد الدولة .

أثر الانتفاضة على اسحق رابين

ونستطيع أن نلمس بوضوح آثار الإنهاك الإسرائيلي من جراء الانتفاضة على موقف " اسحق رابين " منذ أن كان وزيرا للدفاع عندما تفجرت الانتفاضة عام ١٩٨٧ حتى عاد في ١٩٩٢ رئيسا لحزب العمل ورئيسا الحكومة .

١- تحدد موقفه الأول في " سحق الانتفاضة بالقبضة الحديدية في غضون أيام محدودة ، قدرها في البداية بأسبوعين ثم امتد بها إلى أربعة أسابيع " ولما لم يحدث ذلك انتقل إلى موقفه الثاني .

٢- اتخذ رابين موقفه الثاني من الانتفاضة قبيل أن يغادر منصبه إلى المعارضة بشهرين ، وصاغه على النحو التالي " إن سياستنا في المرحلة الراهنة تستهدف إنهاك الفلسطينيين وأصابتهم بالتعب والإجهاد إلى الدرجة التي تقعدهم عن مواصلة طريق العنف المدني وتقويض الأمن والنظام والاقتصاد في إسرائيل . وهنا تحول رابين إلى موقفه الثالث .

٣- موقف رابين الثالث الذي اتخذه وهو في المعارضة وفاجأ به مؤيديه ومعارضيه معا هو " لا حل عسكري للانتفاضة ، وأن الحل الوحيد هو الحل السياسي من خلال التفاوض مع الفلسطينيين من سكان المناطق غير المنضويين لمنظمة التحرير وقيادة عرفات " بسبب تورط منظمة التحرير في عمليات إرهابية ضد المدنيين .

وعندما كسب رابين معركة الزعامة في الحزب ضد شيمون بيريز وتمكن حزبه من انتزاع أغالبية محدودة في انتخابات الكنيست عام ١٩٩٢ ضد الليكود على

أساس برنامج الحزب السلامي الجديد ، وتولي السلطة وشارك في توجيه عملية التفاوض مع الفلسطينيين انتقل إلى موقفه الرابع .

٤- ويتمثل موقف رابين الرابع من الانتفاضة في أنه " لا حل سياسي ممكن بدون التفاوض المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية حول التسوية " ورغم ما أشعر به شخصيا من ألم إلا أن هذا هو الطريق الوحيد الأسرع والأجدى لعملية السلام العربية / الإسرائيلية " .

وعلى الجانب الفلسطيني كانت منظمة التحرير على وعي بأن الانتفاضة الجماهيرية في الداخل هي ذروة النضال الفلسطيني ضد إسرائيل في ديسمبر ١٩٨٧ ، وآخر ما بقي في الواقع الراهن والمستقبل المنظور لأجيال الثورة المعاصرة وخاصة بعد نجاح إسرائيل في :

١- طرد المنظمة من لبنان عام ١٩٨٢ .

٢- تسميم آبار وجودها وحركتها في جميع البلاد العربية المحيطة بإسرائيل .

٣- خروج مصر من ساحة المواجهة العسكرية وعقد معاهدة السلام مع إسرائيل .

٤- الانخفاض المتوالي للدعم السياسي والمالي العربيين للمنظمة .

٥- تمزق وضعف الحركات الوطنية الشعبية العربية التي كانت تشكل الحضن الدافئ للمقاومة الفلسطينية .

من هنا ، حرصت المنظمة على إنشاء قيادة ميدانية واحدة للانتفاضة في داخل الأرض المحتلة تتصاعد بأهدافها خطوة خطوة في حدود سقف معين هو حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، والتفاوض من خلال مؤتمر دولي لإقامة دولة فلسطينية مستقلة في قطاع غزة والضفة الغربية عاصمتها القدس ، وتم ذلك في المؤتمر الصحافي الذي عقده " ساري نسيبه " الأستاذ بجامعة بيرزيت بفندق ناشيونال بالاس بالقدس العربية في الرابع عشر من يناير ١٩٨٨ .

وركزت المنظمة على ضرورة عدم الوقوع في الإغراءات التي تنبثق عن كسر الجماهير لحاجز الخوف والرهبة من الاحتلال وقوته ، وتحريم استخدام الأسلحة

العسكرية ، والاكتفاء بأسلحة " العنف المدني " من الحجارة والإضرابات والتظاهرات وحذرت من محاولات حرق المراحل قبل أوانها تحت ضغط الحماس الجماهيري [1]

وهكذا فإن النهج الذي سلكته الانتفاضة وهو العصيان المدني ، وتجنبها أساليب حرب العصابات قد أكسبها احترام العدو قبل الصديق ، وأجبر المجتمع الدولي للإصغاء للقضية الفلسطينية ، وتفهم مطالبها المشروعة ، وإدانة العدوان الإسرائيلي غير المسئول الذي يعمل على قمع الانتفاضة الفلسطينية المسئولة مما دفع الإسرائيليين إلى التخلي عن المشروع الصهيوني الرامي إلى إقامة إسرائيل وطنا لكل يهود العالم على أرض الآباء والأجداد المعروفة باسم فلسطين بعد أن يمحو من الوجود والكتب والجغرافيا الفلسطينيين لتصبح فلسطين أرضا بلا شعب ، لشعب بلا أرض على حد قول هرتزل في مذكراته .

ولم يكتف الإسرائيليون بالتخلي عن المشروع الصهيوني فحسب بل راحوا يسعون جاهدين للوصول إلى حل سلمي للقضية الفلسطينية يتنازلون على إثره عن الضفة الغربية وقطاع غزة .

الإرهاب الإســرائيلي والانتفاضة

مع اندلاع انتفاضة الشعب الفلسطيني في ديسمبر ١٩٨٧ أصبحت سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مواجهة يومية مع حركة عصيان مدني تمتد جغرافياً بمسافة الضفة الغربية وقطاع غزة وتتخذ من الحجارة والعَلَم الفلسطيني رموزاً لمقاومة الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الذي استهدف محو الوجود العربي الفلسطيني. وبحكم طبيعته الاستيطانية الإحلالية لجأ الاستعمار الصهيوني إلى المزيد من الإرهاب، فدخل حلقة مفرغة إذ جاء الرد على المزيد من الإرهاب بالمزيد من الانتفاضة.

---

(1) لطفي الخولي " العرب وإسرائيل " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٨ – ٢٥ بتصرف ..

وبعد اندلاع الانتفاضة بأيام معدودة (في ٢٢ ديسمبر ١٩٨٧) أصدر القضاء العسكري حكماً على حسين أبو خاطر (٢٩ عاماً) من مخيم النعيرات بالسجن لمدة عام بتهمة الاشتراك في مظاهرة (وكانت أقصى عقوبة من قبل شهرين فقط). ولكن المظاهرات تحولت إلى سلوك يومي لمئات الآلاف من الفلسطينيين.

ولقد لجأت سلطات الاحتلال إلى تكثيف آليات العقاب الجماعي من حظر تجوُّل وحصار أمني للبيوت فضلاً عن التوسع في الاعتقالات وأحكام السجن والتعذيب والطَّرْد والإبعاد. لكن الجهود الإسرائيلية لتطوير آلة الإرهاب لتجهت أساساً إلى كيفية قمع حركة الاحتجاج اليومي الجماهيري في شوارع المدن والقرى ومخيمات اللاجئين. ومن هنا يمكن أن نلحظ مأزق فشل معالجة الإرهاب بالمزيد من الإرهاب عندما تلجأ سلطات الاحتلال للرصاص الحي والرصاص البلاستيكي والرصاص المطاطي. وقد بدأت في أغسطس عام ١٩٨٨ في استخدام ذخيرة جديدة تمزج بين المطاط (الغلاف الخارجي للطلقة) والمعدن وهو ما أسفر عن استشهاد ٤٧ فلسطينياً في الخمسة شهور الأولى من استخدام هذه الذخيرة. وفي العام نفسه (١٩٨٨) لجأت السلطات الإسرائيلية إلى طائرات الهليكوبتر بتوسُّع لمطاردة المتظاهرين وإطلاق النار عليهم.

ثم توسع جيش الاحتلال في استخدام قنابل الغاز المسيل للدموع على نحو غير مسبوق وهو ما أسفر عن حالات اختناق بين النساء والصبية والأطفال على نحو خاص. ثم استخدمت سلطات الاحتلال قنابل غازية تدخل في نطاق أدوات الحرب الكيماوية تحتوي على مكونات كيماوية تفضي إلى الاختناق والموت. وخلال عام ١٩٨٨ بدأت في استخدام هذه القنابل (الأمريكية الصنع) في بلدة حلحول واستشهد خمسة فلسطينيين من جرائها في قباطية خلال العام نفسه.

ولكن تكنولوجيا الإرهاب المدعومة أمريكياً أخفقت في قمع الانتفاضة وصبية الحجارة، وقد حاول الإسرائيليون اكتشاف سر الحجارة فقامت ورش الجيش بتطوير مقلاع لقذف الأحجار لاستخدامه ضد المظاهرات الفلسطينية، وبدأ أولى تجاربه في مخيم بلاطة قرب نابلس .

وقد تعمقت أزمة الإرهاب الإسرائيلي، فالمواجهات اليومية مكشوفة أمام أعين العالم. فوجهت آلة الإرهاب جانباً من نشاطها ضد رجال الإعلام وضمن ذلك وسائل الإعلام الأمريكية والغربية الحليفة للمشروع الاستيطاني. وتلقى العديد من الصحفيين والمصورين الضرب على أيدي جنود جيش يزعم قادته أنهم يمثلون الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة. وقد بيَّن أن الجيش الإسرائيلي قد استورد تكتيكات عصابات الموت في أمريكا اللاتينية، إذ قام جنوده (من فرقة المستعربين) والمتخفون في ملابس عربية بقتل الفلسطينيين .

وقد قامت الدولة الصهيونية برفع عدد جنود جيشها في الضفة وغزة بما يزيد عن خمس مرات مقارنةً بالفترة السابقة على الانتفاضة. وبالمقابل فإن ظاهرة محاكمة الجنود والضباط الذين يرفضون أو يتهربون من الخدمة هناك قد طرحت نفسها بقوة على التجمُّع الصهيوني .

وتقدر حصيلة الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي أثناء الانتفاضة (من ١٩٨٧ ــ ١٩٩١) بحوالي ألف شهيد ونحو ٩٠ ألف جريح ومصاب و١٥ ألف معتقل فضلاً عن تدمير ونسف ١٢٢٨ منزلاً واقتلاع ١٤٠ ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية.

ولقد ظلت السياسة الأمريكية تمارس دور الراعي والحامي للإرهاب الصهيوني الإسرائيلي رغم ذلك. ويعكس اتجاه تصويت الولايات المتحدة في مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة الإصرار على الوقوف إلى جانب إسرائيل. وإن كان صمود الانتفاضة في وجه الإرهاب قد عمَّق انقساماً بين الإدارة الأمريكية وبين قطاعات من الرأي العام الأمريكي. [1]

لم تكد تمر عدة شهور على الانتفاضة الفلسطينية الباسلة التي كسبت تعاطف العالم تجاه القضية الفلسطينية ، كما كسبت إدانة الرأي العام العالمي لأعمال العنف والإرهاب الإسرائيلي حتى بدأت القضية الفلسطينية تتحرك نحو إيجاد حل سلمي

([1]) د. عبد الوهاب المسيري (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " المجلد السابع الجزء الثالث الباب الثالث الإرهاب الصهيوني/الإسرائيلي والانتفاضة

لها . لكن للأسف الشديد وكما هي عادة العرب وقادتهم لا ينظرون إلا إلى أنفسهم ولا يعملون إلا لمصلحتهم الشخصية فراحت إيران وسوريا تعملان على عسكرة الانتفاضة وتحويلها من عصيان مدني يتخذ من الحجارة سلاحا ضد الجنود الإسرائيليين إلى عنف وإرهاب يتخذ من العمليات الانتحارية سلاحا ضد المدنيين مما أفقد المقاومة الفلسطينية كثيرا من تعاطف العالم وسلكها في مسك الإرهاب وراحت أجهزة الإعلام الصهيونية تضخم من العمليات الانتحارية التي تستهدف المدنين وتجبه الرأي العالم العالمي ضد الفلسطينيين وتلتمس الأعذار للعدوان الإسرائيلي .

عسكرة الانتفاضة

قصة عسكرة الانتفاضة بدأت في السادس عشر من إبريل ١٩٨٨ على إثر اغتيال الموساد لـــ " أبي جهاد " مسئول القيادة المركزية لمنظمة التحرير عن تسيير شئون الانتفاضة – في تونس – وكان ذلك ضربة موجعة للقيادة الوطنية الموحدة الميدانية ، ترافق معها انفصال حركة حماس (حركة المقاومة الإسلامية) عن القيادة الموحدة ، وأصبح هناك بالتالي قيادتان متضاربتان في العمل والحركة لجماهير الانتفاضة :

أما حركة حماس فقد استمرت في تبني هذه الشعارات – بدعم إيراني سوري – واتخذت من العمليات الانتحارية ضد المدنيين وسيلة لتحقيقها مما أفقد المقاومة شرعيتها وحولها إلى إرهاب في نظر المجتمع الدولي وجر على فلسطين والفلسطينيين الدمار والخراب ، حتى وإن كانت منطق حماس في قتلها للمدنين معاملة إسرائيل بالمثل . والإسلام الذي ينسبون حركتهم إليه لا يحل قتل الأبرياء أبداً . والإسلام لا ينتصر إلا بالتمسك بالحق وليس بأخلاق المعتدين .

نتائج عسكرة الانتفاضة على الشعب الفلسطيني

وليس هناك أي مكسب من عسكرة الانتفاضة إلا لصالح قوى خارجية تعمل على إشعال الجبهة الإسرائيلية إما للوصول إلى تسوية سلمية تعيد إليها أرضها المحتلة

كما هو حال النظام السوري أو لتحقيق أطماع إقليمية كما هو حال إيران التي على استعداد للتحالف مع الشيطان في سبيل تحقيق الهدف المرجو وهو الظهور على القومية العربية ، ودعم إيران لحركة حماس لا يدل على تعاطفها مع العرب في صراعهم مع إسرائيل فهذا التحمس يأتي من منطلق اجتذاب أنظار الشيعة في إيران أولا ، وفي المنطقة العربية ثانيا ، وفي العالم الإسلامي ثالثا ، ومن ثم تتأكد النوايا المذهبية والأيديولوجية التي تكمن وراء السياسات الإيرانية .

والذي يؤكد أن الإيرانيين لا يعملون إلا لأيديولوجيتهم فحسب وإن تعارضت مع أي مصلحة عربية أو بمعنى أدق على حساب المصلحة العربية ما ذكرته وكالة الأنباء الفلسطينية " وفا " أنه في أثناء الحرب الإسرائيلية الفلسطينية في لبنان في يونيو ١٩٨٢ طلب الرئيس العراقي صدام حسين من القيادات الإيرانية في خطابه الشهير إلى الشعب العراقي في ٢٠ يونيو ١٩٨٢ ، وقف إطلاق النار على أن يتم انسحاب القوات العراقية من جميع الأراضي الإيرانية التي سبق للعراق السيطرة منذ بدء الحرب حسب جدول زمني مدته عشرة أيام من ٢١ يونيو حتى ٢٠ يونيو وقد تم انسحاب القوات العراقية طبقا لنفس الجدول الزمني ، وذلك حتى تتمكن القوات العراقية من إرسال الإمدادات إلى الفلسطينيين المقاتلين في لبنان ، ولم تستجب إيران لتلك النداءات بفعل الاتفاق الإيراني السوري الإسرائيلي الذي باركته الولايات المتحدة من أجل القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وحتى إبعاد الفلسطينيين عن لبنان التي كانت آخر معقل النضال الفلسطيني ضد إسرائيل وبذا تكون إيران حلقة في السلسلة التي صيغت بإحكام للقضاء على العنصر الفلسطيني في الصراع العربي الإسرائيلي " (١)

ومن أجل المصالح الخارجية (السورية – الإيرانية) ومصالح بعض الفصائل الفلسطينية ضاعت المصلحة الفلسطينية . لأن هذه القوى عمدت على عسكرة الانتفاضة ووجهتها إلى المدنيين ، مما أثار العدو الإسرائيلي الذي راح يقتل المدنيين الأبرياء **إن عسكرة الانتفاضة لم تكن لتصب في المصلحة الفلسطينية بل هي تصب في مصالح أنظمة استبدادية خارجية فرضت نفسها على الشعب**

(١) نقلا عن بسيوني محمد الخولي " الصراع العراق الإيراني " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٧

الفلسطيني وراحت تعارض كل فرص إحلال السلام لأن قضية شعب فلسطين أصبحت حجة مشروعة لاستمرار سياساتها القمعية لشعوبها من جهة ، ولتحقيق مكاسب إقليمية من جهة أخرى كل ذلك على حساب القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني وللأسف الشديد فإن تشجيع وسائل الإعلام العربية للعمليات الاستشهادية ساهم فى استمرار ذلك ودعمه .

إننا كعرب مازالت تحركنا أهواؤنا وعواطفنا ، وما زلنا نعد المنطق وحسن السياسة والواقعية جبنا وانهزامية وضعف . لقد ترك العرب الفلسطيني وحيدا ليواجه أضخم قوة فى الشرق الأوسط من الناحية المادية والفنية، وجلسوا ليتفرجوا عليهم وهم يحملون إلى القبور وهم فى ريعان الشباب وللأسف فان الفلسطيني ما زال هو المطارد رقم واحد في جميع المطارات والمعابر العربية. أيها العرب كفاكم مزايدة على الفلسطيني وجراحه ويا أيها الفلسطينيون من الأفضل لكم أن تحاولوا إيجاد قيادة واعية ومسئولة تحرص على بناء مجتمع سليم ، يكون أساسا لدولة قوية عندها يمكن أن تحصلوا على حقوقكم ا تتعلمون من إسرائيل عدوكم !! هذا أفضل لكم ألف مرة من أن تخلقوا للعدو حججا لتدمير ما تبقى لكم من مؤسسات أنتم في أمس الحاجة لها ولا يغرنكم المزايدون، ولن يتحرك أي جيش عربي لنجدتكم لأنهم للأسف ليسوا في خدمة الآمن العربي ولكن هذه الجيوش في خدمة الأنظمة العربية المستبدة .

فعسكرة الانتفاضة – إذن – خطأ فادح للقيادة الفلسطينية التي حرَّضت البسطاء والمساكين والجماهير العامة على قتل المدنيين وهي لا تعلم إلى أي مصير مجهول تقود الشعب الفلسطيني. فراحت بلا مسؤولية وبطفولة سياسية تحرض الشعب الفلسطيني من خلال أدوات الإعلام ورموز السلطة على الانتفاضة، فاستشهد من استشهد وجرح من جرح وشوه من شوه من الفلسطينيين الذين لا زال يطاردهم سوء الطالع بسبب قيادتهم الدكتاتورية الفاسدة إداريا وماليا، هذا عدا الكوارث التي حلت بالبيوت والمزارع والاقتصاد الفلسطيني بسبب هذا التخبط الأعمى الذي أوجدته القيادة لشعبها.

لقد أخطأت الفصائل الفلسطينية (حماس – الجهاد الإسلامي) في الدفاع عن قضيتم فقد تبنت تطرفا في الغاية و في الوسيلة جميعا ، فقد رفعت شعارات أكبر بكثير من إمكانياتها وقدراتها فهي تصف إسرائيل بأنها دولة مزعومة لا حق لها في

الوجود ، وأنها تسعى لإلقائها في البحر ، هي ومن ورائها !! كما أن اتخذت من قتل واختطاف الأبرياء وسيلة لتحرير الأرض المحتلة غير عابئة بأثير ذلك على تماسك المجتمع الإسرائيلي المفكك الذي وحدته هذه الشعارات الجوفاء ، وقوته هذه الممارسات الرعناء ، ولا مهتمة بالتأثير السلبي لهذه الممارسات لدى المجتمع الدولي الذي خسر تعاطفه مع قضيته العادلة وكسب عداءه . وكانت النتيجة أن إسرائيل احتلت أراضينا واستمر وصفهم بالضحية أما نحن فضاعت أراضينا واتهمنا نحن بالبربرية والنازية .

وفي ذلك يقول نزار قباني بعد هزيمة العرب في الخامس من يونيو ١٩٦٧

السر في مأساتنا

صراخنا أضخم من أصواتنا

وسيوفنا أطول من قاماتنا

خلاصة القضية توجز في عبارة

لقد لبسنا قشرة الحضارة

والروح جاهلية

بالناي والمزمار

لا يحدث انتصار

كلفنا ارتجالنا

خمسين ألف خيمة جديدة

....

ما دخل اليهود من حدودنا

وإنما تسربوا كالنمل من عيوبنا

بداية الصراع بين فتح وحماس

اشتعل السباق بين منظمة التحرير الفلسطينية (فتح) وحركة حماس فور انقسام القيادة الموحدة إلى قيادتين متضاربتين في فكر والعمل مما أدى إلى الوقوع في

أسر " حرق المراحل " واللجوء إلى استخدام السلاح العسكري ، الأمر الذي تصاعد بالبطش الإسرائيلي إلى درجة رهيبة ، وطال إغلاق كثير من المؤسسات الاقتصادية الفلسطينية وقطع المياه والكهرباء ، وعزل المناطق بعضها عن بعض ، وباختصار باتت الحياة مرهقة للغاية ، ولقمة العيش – بالمعنى الحرفي – مفتقدة والناس تعيش على لحم بطونها الحية ، وغدت الانتفاضة – رغم استمرارها بإيقاع ثقيل وبطئ – تدخل مرحلة الأزمة الطاحنة وتتطلب لاستعادة قوة دفعها ما لا يقل عن أربعمائة إلى ستمائة مليون دولار سنويا . هذا في الوقت الذي كان الدعم والعمق العربيين قد بلغا نقطة الصفر تقريبا .

ويمكن القول أن هذه المرحلة تقابلت – زمنيا – مع مرحلة تفاقم الأزمة السياسية والاقتصادية في إسرائيل في نفس الوقت .

وكانت نقطة التقابل في ذلك الإجراء الباتر ذي الحدين الذي لجأت إليه إسرائيل منذ أواخر عام ١٩٩٢ بسلوكها ما يسمى بسياسة عزل وإغلاق المناطق المحتلة لقطاع غزة والضفة الغربية ، الأمر الذي ضاعف من الأعباء على كل من الإسرائيليين والفلسطينيين في حياتهم اليومية ، على نحو لا يطاق .

عند هذه النقطة في الصراع الضاري المباشر ، لم يعد في قدرة أي من الطرفين الاستمرار في الصدام المميت على هذا النحو ، وكان لا مفر من اختيار الانتحار الجماعي أو الحياة معا . وكان الخيار الصعب ، وربما المؤلم لكنه الوحيد الممكن ، هو تجربة الحياة في كيانين جنبا إلى جنب على نفس الأرض .

ولأن الخيار غير عادي ، كان لا مفر من التفاوض حول أسسه وقواعده من خلال قناة غير عادية ، وكانت " أسلو " البعيدة في المكان والقريبة من الطرفين مفتوحة لهما دون قيود أو إعلام . (١)

وفي الفصل التالي سوف نناقش الدوافع التي حدت بكل من أمريكا ، وإسرائيل ، ومنظمة التحرير إلى اللجوء إلى التسوية السلمية للقضية الفلسطينية .

***

(١) لطفي الخولي " العرب وإسرائيل " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٧ ، ٢٨ .

الفصل الرابع

مباحثات السلام الإسرائيلية ـ الفلسطينية

حرب السلام

في عالم السياسة لا يوجد المطلق : الحق والباطل الذي لا يختلف حوله اثنان لا يوجد في عالم السياسة سوى نسيج متداخلة خيوطه بعضها داخل البعض .. الخير في الشر ، القوة في الضعف .. الأبيض في الأسود .. ففي السياسة لا خير مطلق ، ولا شر مطلق ، إنما ظلال من هذا وذاك في تناغم مثير لتكون الحياة بخيرها وشرها ، بحلوها ومرها كما نحياها ، يخرج الخير من الشر ، وتنطلق القوة من الضعف ، ويشق العدل طريقه من براثن الجور والظلم . [1]

من براثن أسوأ ما تعرض له العالم العربي في حرب الخليج الثانية من تمزق وضعف وانقسام وتشتت وهوان بدا وكأن شعاعا من الأمل قد بزغ ليبشر بعهد جديد ، إذ عادت إلى السطح مرة أخرى فكرة تحقيق سلام في الشرق الأوسط لحل النزاع العربي / الإسرائيلي ، وكانت المبادرة تلك المرة من جانب الولايات المتحدة حيث أطلق جورج بوش – الأب – ووزير خارجيته جميس بيكر مبادرة عرفت بمبادرة بوش / بيكر ، وهي مبادرة وإن لم تكن الوحيدة لحل الصراع في الشرق الأوسط حيث سبقتها مبادرات أخرى متعددة سعيا لحل تلك الأزمة التي اشتهرت من كثرة ما مر بها من مبادرات " بأزمة الفرص الضائعة " ، ولعل من أشهر تلك المبادرات تلك التي قام بها الرئيس المصري الراحل " محمد أنور السادات " عندما قام بزيارته الفريدة الشجاعة إلى القدس في نوفمبر ١٩٧٧ واجتماعه لأول مرة منذ قيام

([1]) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ص ١٢

إسرائيل بقيادتها السياسية من مختلف الاتجاهات والأحزاب في عقر دارهم ووجها لوجه دون وساطة أو وسيط .

وتمخض عن تلك الزيارة توقيع اتفاقيات " كامب دافيد " التي وضعت إطار للسلام في الشرق الأوسط ، وتوقيع معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل ترتب عليها انسحاب إسرائيلي كامل من تراب مصر ، وكان يمكن أن تمتد آثار تلك المبادرة لتشمل دول الطوق في حينه بدلا من إضاعة تلك السنوات الطوال التي طرأت خلالها عوامل كثيرة زادت من تعقيد المشكلة .

كما كانت هناك العديد من الفرص التي أهدرت إلا أن المؤتمر الإقليمي وما ستسفر عنه من محادثات ثنائية بين أطراف الصراع العربي الإسرائيلي والمحادثات متعددة الأطراف بين دول الصراع وأطراف أخرى معنية والتي طرحها الرئيس الأمريكي السابق " جورج بوش الأب " ووزير خارجيته " جميس بيكر " كانت أسعد حظا إذ حظيت بقبول عام من كافة الأطراف وبالتالي فإننا نستطيع القول إن أزمة الخليج بكل أبعادها التي ترتبت عليها ، وإن لم تكن السبب الوحيد ، إلا أنها كانت السبب المباشر لنجاح مبادرة " بوش/ بيكر " في تحقيق محادثات مباشرة للسلام بين إسرائيل والدول العربية المعنية .

كانت هناك العديد من الدوافع المختلفة لدى الأطراف المعنية حفزت كل منها على الدعوة للفكرة أو القبول بها والمشاركة فيها وذلك إما لتحقيق استقرار مصالح سنحت أو حفاظ على مطامح تحققت أو حرصا على استغلال فرصة فريدة قد لا تكرر أو انحناء لريح عاصفة حتى تهدأ وتستقر وتمر دون التعرض لخسائر فادحة قد يصعب إصلاحها فيما بعد .

توفرت كل تلك العوامل والدوافع في ظل مناخ دولي جديد بدا في حينه وكأنه يبشر باتجاه عام لحل النزاعات والصراعات الإقليمية بالطرق السلمية بعد أن انتهى عصر الحرب الباردة والتصادم بين الكتلتين الشرقية والغربية وبعد نبذ الشعارات العنترية واستبعاد طريق السلاح لفرض حل النزاعات والصراعات الإقليمية وهو الطريق الذي لم يحسم شيئا أو حل مشكلة من قبل .[1]

([1]) انظر الفصل الأول من " حرب السلام " للسفير صلاح عابدين دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر

في السابع من شهر مارس ١٩٩١ أي بعد أسبوع واحد فقط من نهاية حرب الخليج وقف الرئيس الأمريكي " جورج بوش الأب " ليلقي كلمة أمام الكونجرس أعرب فيها عن أمله في أن تنطلق قوى السلام من بين أهوال الحرب ، وأعلن عن عزم بلاده على إحياء قرارات الأمم المتحدة بشأن النزاع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية وقراري مجلس الأمن رقمي ٢٤٢ ، ٣٣٨ مع تطبيق مبدأ الأرض مقابل السلام أي مبادلة الأرض العربية المحتلة بالسلام الإسرائيلي المفقود.

كانت كلمة الرئيس بوش بمثابة إشارة البدء للتحرك العملي إذ قام وزير خارجيته " جميس بيكر " وهو من أكفأ من شغل هذا المنصب بأربع جولات مكوكية على مدى سبعين يوما بدأ من السابع من شهر مارس حتى السابع عشر من مايو ١٩٩١ زار خلالها سوريا ، والسعودية ، والأردن ، ودول الخليج ، ومصر ، وإسرائيل ، وتركيا . تم خلالها بلورة وطرح فكرة عقد مؤتمر إقليمي للسلام تدور فيه محادثات مباشرة بين العرب والإسرائيليين على أن يدعو لهذا المؤتمر ويرعاه كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، ويتم خلاله بحث سبل حل الصراع بالتفاوض المباشر بين إسرائيل والدول العربية المجاورة وبين الفلسطينيين من خلال وفد أردني فلسطيني مشترك .

بالإضافة فإن بيكر لم ينس أن يُضَمِّن مباحثاته مع الأطراف المعنية بشأن الدعوة لمؤتمر السلام الجانب الاقتصادي كذلك باعتبار أن الاقتصاد يمكن أن يكون سندا ودعما للسلام إذا ما تم بحث فرص ومجالات التعاون الإقليمي المستقبلي بين دول المنطقة على أن ينضم إليها دول أخرى من خارجها في محادثات متعددة تشارك فيها الأمم المتحدة بممثل له صفة المراقب والمتابع الصامت ، والمجموعة الأوربية بممثل له صفة أكبر من صفة ممثل الأمم المتحدة ، كما يشارك مجلس التعاون الخليجي ودول أخرى في اللجان المتعددة الأطراف التي تقوم ببحث قضايا التعاون الإقليمي .

لم يكن الأمر إذن مجرد السعي للتوصل إلى إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي لبعض الأراضي العربية فقط وإنما امتدت الرؤية

الأمريكية لأبعد من ذلك لتحقيق تعاون إقليمي مستقبلي بين دول المنطقة في مختلف المجالات أسوة بما تحقق بين دول المجموعة الأوربية بعد الحرب العالمية الثانية (1)

في الثامن من شهر أكتوبر ١٩٩١ وبعد الحصول على موافقة الأطراف المعنية وجه كل من الرئيس الأمريكي " جورج بوش " والرئيس السوفييتي " ميخائيل جوربا تشوف " الدعوة إلى كل من إسرائيل وسوريا والأردن ولبنان والفلسطينيين لحضور مؤتمر للسلام يعقد في الثلاثين من أكتوبر ١٩٩١ بالعاصمة الأسبانية " مدريد " وقد جاء في الدعوة لمؤتمر مدريد للسلام أنه بالنسبة للمفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين – الذين هم جزء من الوفد الأردني المشترك – فإنه سيتم على مرحلتين ، تبدأ بمباحثات حول ترتيبات الحكم الذاتي المؤقت بهدف التوصل إلى اتفاق في موعد أقصاه سنة واحدة ، وبحيث يسري العمل به لمدة خمسة أعوام على أن يبدأ من العام الثالث المفاوضات بشأن الوضع الدائم ، وأن هذه المفاوضات بشأن الوضع الدائم بين إسرائيل والدول العربية المشار إليها من قبل ستكون على أساس القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ .

الدوافع الأمريكية لإحياء عملية السلام

حبا الله منطقة الشرق الأوسط ثروات طبيعية ذات أهمية حيوية ، وعلى رأسها البترول الذي يعد الشريان الرئيسي الذي يغذي الولايات المتحدة وحليفاتها من الدول الغربية والصناعية بالجانب الأكبر من حاجاتها لتسيير عجلة الصناعة والرفاهية لشعوبها ، وربما كان فيما ذكره الرئيس الأمريكي الأسبق " ريتشارد نيكسون " في كتابه الأخير " اقتنص الفرصة " Seie The Moment " خير دليل على أهمية تلك المنطقة ، حيث يقول : " **إن المصالح الأمريكية تكمن في الشرق الأوسط ، وأن هذه المصالح تقضي بتدفق بتروله بدقة وانتظام ، وبدون أزمات وبأسعار معقولة** " .

إذن هي منطقة إستراتيجية حيوية ومهمة ، وربما أمكن اعتبارها الخط الأحمر الذي يمكن أن يبدأ منه تهديد مباشر للمصالح الحيوية الأمريكية والغربية في حالة

---

(1) نفسه .

تعرضها للخطر أو القلاقل والاضطرابات ، وهذا هو الأمر الذي جعلها تشكل ركنا أساسيا من أركان السياسة الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن .

انتهت حرب تحرير الكويت من الغزو العراقي لتخرج الولايات المتحدة منها وقد تُوِّجت قطبا أوحد على عرش نظام دولي جديد ، وذلك بعد تدهور الأوضاع في الاتحاد السوفييتي وانهياره وتفتته كما حدث فيما بعد إلى دويلات صغيرة ، وأصبح لزاماً على أمريكا – ولو أدبياً على الأقل – أن تواصل نهجها وشعارها الذي رفعته خلال أزمة الخليج لدحر العدوان تحت عباءة الشرعية الدولية وهو الشعار الذي مكَّنها لأول مرة في التاريخ من حشد ذلك التحالف الدولي الضخم في جبهة واحدة .

أصبح على الولايات المتحدة بحكم وضعها الجديد تطبيق نفس المنهج ، والأخذ بذات المبادئ التي نادت بها إبان أزمة الخليج حتى لا تقع في محاذير المواجهة بازدواجية التعامل مع مبادئ الشرعية الدولية بما قد يفقدها مصداقيتها أمام العالم بصفة عامة ، والشرق الأوسط ودوله العربية بكل ما لها من أهمية وحساسية بصفة خاصة .

وبعد أن كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحمي مصالحها في المنطقة من قبل بتوكيل منها لغيرها نيابة عنها ، أصبحت هي نفسها التي تقوم بهذا الدور بنفسها دون الحاجة إلى وسيط ، وهي لن تستطيع أن تفعل ذلك وتضمن استمراره ما لم يتم التوصل إلى نوع من الاستقرار الذي لن يتوفر بدوره ما لم تتم تسوية شاملة للصراع العربي الإسرائيلي على أن تكون تلك التسوية مقبولة من أطراف الصراع وبرضاها النابع من إرادتها الذاتية ، ذلك أن استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية وانتهاك الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وتصاعد الانتفاضة الفلسطينية وقوة ردود الفعل الإسرائيلي لها ، وتدفق الهجرة اليهودية السوفييتية لإسرائيل التي أخذت في الازدياد في ذلك الوقت مع استمرار قيام إسرائيل بتغيير طبيعة الأرض المحتلة وتركيبة السكان وتوسعها في زرع المستوطنات الإسرائيلية في أي مساحة متاحة ، مع ما يصاحب ذلك من إحساس متزايد بالإحباط العربي .

كل ذلك كان لابد أن يؤدي إلى حروب عربية إسرائيلية إن عاجلا أو آجلا ، وسيكون الخاسر الأكبر فيها أمريكا وحلفاءها ، بل وحتى أصدقاؤها من دول المنطقة الذين سيتعرضون لحرج بالغ وضغوط يصعب عليها تحملها لوقت طويل .

كان على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقوم بالدور المطلوب والمنتظر منها ، ليس من أجل الحق والعدالة والشرعية الدولية فحسب وإنما أيضا حماية لمصالحها الذاتية التي لا يمكن أن تتحقق إلا بعد حسم الصراع العربي الإسرائيلي حتى يسود السلام وتتحول موارد الإقليم البشرية والطبيعية لخدمة السلام ورفاهية الشعوب .

إضافة إلى ما سبق ذكره كان هناك عنصر مهم آخر حفز الولايات المتحدة على الإقدام على التدخل لحل الصراع العربي الإسرائيلي سلميا هذا الحافز هو زوال الأنظمة العربية المعادية للحل السلمي التفاوضي للصراع العربي الإسرائيلي بعد أن تم إسقاط النظام العراقي وتدمير العراق عسكريا واقتصاديا . وشغل دول الرفض بقضايا ومشاكل أمنها وسلامتها كاتهامها بالإرهاب أو التهديد بوضعها على قائمة الدول التي تساند أو تصدر الإرهاب ، أو فتح ملفات قديمة مثل ملف قضية " لوكيربي " بالنسبة لليبيا .

لهذه الأسباب وغيرها لم يكن أمام الولايات المتحدة إبان أزمة الخليج وفي خضمها إلا أن تعلن التزامها القاطع بالسعي والعمل على حل الصراع العربي الإسرائيلي وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية المحتلة في فلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، والأردن فور الانتهاء من تحرير الكويت وذلك من خلال تسوية شاملة وفقا لقواعد ومبادئ الشرعية الدولية مع ضمان من الشركاء الأوربيين على تنفيذ ذلك الالتزام ، وكانت الدعوة لمؤتمر السلام الذي لقي ترحيبا وموافقة من جميع الأطراف المعنية حيث تتقابل وتتفاوض فيه إسرائيل مع كل دولة من الدول العربية المعنية في محادثات مباشرة وجها لوجه ودون وسيط . [1]

الأسباب التي ولدت لدى إسرائيل الرغبة في السلام

إن الجنوح إلى السلام أمر قد يكون مفهوماً بالنسبة للعرب (بعد الهزائم المتكررة) ولكن الأمر بالنسبة للإسرائيليين يحتاج إلى قليل من الشرح والتفسير .

([1]) انظر الفصل الثاني من " حرب السلام " للسفير صلاح عابدين دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر

لقد نعمت إسرائيل بوضع خاص متميز لدى الولايات المتحدة بدعوى أنها واحة الديمقراطية الحقيقية الوحيدة في الشرق الأوسط ، وباعتبارها عصا المصالح الأمريكية والغربية الغليظة التي كانت على أهبة الاستعداد دائما لأن تنهال بها على ظهر من تسول له نفسه الخروج على قواعد اللعبة المسموح بها في المنطقة . بما قد يهدد المصالح الأمريكية الغربية ، ولم يكن غريبا بالتالي أن تغدق عليها في تلك الحقبة بالمساعدات المالية الاقتصادية ، وأن تمتلئ ترساناتها العسكرية بأحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا السلاح الأمريكي المتقدم الذي كانت الولايات المتحدة تضن به حتى على شركائها في حلف الأطلنطي مما جعل إسرائيل حليفتها تتفوق على الدول العربية مجتمعة في المجال العسكري .

ونتيجة أن مصر عبد الناصر رفضت سياسة الأحلاف الأمريكية ، والمفاوضات السلمية مع إسرائيل . فإن حكام إسرائيل لم يجدوا ضرورة للركض وراء السلام، لأن العرب سيطلبون ثمناً : حدوداً أو عودة لاجئين أو كليهما. فإسرائيل لم تكن تريد السلام لا بالتفاوض ولا بغيره، بعد أن نجحت في إقامة الدولة حرباً، لأنها لم تكن مستعدة لدفع ثمن هذا السلام، بل كان التوسع طموحها.

غير أنه ومنذ منتصف السبعينيات ومع الأزمة الاقتصادية التي شهدتها إسرائيل في أعقاب حرب ١٩٧٣، بدأ اهتزاز نموذج الصهيونية العمالية وتعالت الأصوات منادية بتطبيع الاقتصاد الإسرائيلي، الأمر الذي انعكس بطبيعة الحال على السياسة الخارجية الإسرائيلية، باعتبار أن هذه السياسة هي، في التحليل الأخير، دالة في مجموعة من المتغيرات المتعلقة بالقدرات الذاتية للدولة، والظروف الدولية، وإدراك النخبة الحاكمة لهذه القدرات وتلك الظروف .

وتزامن ذلك مع حدوث مجموعة من المتغيرات استوجبت أن تشمل عملية إعادة النظر في نموذج الصهيونية العمالية السياسة الخارجية: فمن ناحية جاء التحدي العربي غير النظامي ليطرح التساؤل حول كفاءة الأداة العسكرية الإسرائيلية في تحقيق الأمن. فإسرائيل في لبنان قامت، لأول مرة في تاريخها، بانسحاب منفرد من أراض احتلتها، والانتفاضة الفلسطينية طرحت الشكوك- في ظل عجز الجيش عن

إخمادها- حول قدرة الأداة العسكرية على مواجهة التحدي غير النظامي وهي التي نجحت بشكل عام في مواجهة التحديات النظامية .

ومنذ ذلك الحين، أو قبل ذلك بقليل، بدت الدبلوماسية الإسرائيلية أكثر كفاءة في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية من الأداة العسكرية. فكان التفاوض والصلح مع مصر ١٩٧٩، وكان اتفاق أوسلو ١٩٩٣، وكان الاتفاق مع الأردن ١٩٩٤... إلخ. والمثير هنا أن هذه الاتفاقات، وبخاصة الاتفاق مع مصر، عكست انتصار منطق الدولة ودرجة من تطبيع السياسة الخارجية الإسرائيلية. فالانسحاب من سيناء، ذات الأهمية التاريخية النسبية من وجهة النظر الصهيونية، والبقاء في الجولان، بل محاولة ضمها فعلياً عام ١٩٨١ بإخضاعها للقانون الإسرائيلي، كان يعني أن الإستراتيجية هزمت الأيديولوجية، وأن منطق الدولة قادر على إزاحة منطق الأيديولوجيا إذا ما تعارضا. ومن ثم أضحت مهمة منطق الأيديولوجيا هي البحث عن صيغة للتعايش مع التطبيع الذي بدا آتياً لا محالة.

وأخيراً فقد جاء انهيار الاتحاد السوفيتي، ثم حرب الخليج التي تحولت فيها إسرائيل من رصيد إستراتيجي إلى عبء إستراتيجي على الولايات المتحدة التي اضطرت للحضور بنفسها للدفاع عن مصالحها الإستراتيجية، ليطرحا التساؤل بشأن كفاءة الدولة الوظيفية ويثيرا قدراً ضئيلاً من الشكوك حول العلاقة التعاقدية. (1)

وكان لابد من نوعية جديدة للعلاقات بين واشنطون وتل أبيب ولو مؤقتا عما كانت عليه من قبل بعد أن قلّت حاجة الولايات المتحدة إليها في المنطقة بل ربما كان إبعادها عن مشاكل المنطقة الساخنة ما يحقق فائدة أكبر مما لو تورطت فيها ما لم يتم التوصل إلى تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي . ولعل أحداث الخليج التي بدأت بغزو العراق للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ خير مثال لذلك إذ طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من تل أبيب عدم التدخل في ذلك النزاع ، بل وصل بها الأمر إلى مطالبتها بعدم الرد على استفزازات الرئيس العراقي صدام حسين الذي وجه صواريخه وأطلقها بالفعل على تل أبيب وبعض المدن الإسرائيلية

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ٤ " البُعد الصهيوني للسياسة الخارجية الإسرائيلية " .

الأخرى ، وذلك ضمانا لاستمرار تأييد العالم العربي لقوات التحالف الدولي والمشاركة في تلك القوات . وبعد انتهاء حرب الخليج فإنه كان من الصعب أن يكون لإسرائيل دور بارز في المخططات والترتيبات التي تعد لأمن المنطقة ودولها الغنية بالبترول مع استمرار وضعها المرفوض من جانب الدول العربية في ذلك الوقت حيث إن مجرد التفكير في دور رئيسي لها بالمنطقة كان كفيلا بإسقاط أي ترتيبات لاحقة . وذلك ما لم يتم التوصل إلى حل وإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي .

كان هناك عامل آخر يستوجب إعادة النظر في نوعية العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ألا وهو حجم ما تقدمه أمريكا من مساعدات مالية واقتصادية ضخمة لتل أبيب الأمر الذي يشكل مع غيره من المساعدات الخاصة عبئا على الاقتصاد الأمريكي المرهق بالفعل بالمشاكل الداخلية مما وصل بأمريكا إلى أن يكون أكبر دولة مَدينة في العالم ، الأمر الذي حدا بالرئيس الأمريكي " بيل كلينتون " أن ينص في برنامجه الانتخابي للرئاسة الأمريكية منافسا للرئيس " بوش " (الأب) عام ١٩٩٢ على أنه سيعطي الاقتصاد والقضايا الداخلية الأمريكية الأولوية الأولى في نشاط إدارته إذا ما فاز بالرئاسة . إضافة إلى ذلك فإن التزامات الولايات المتحدة الجديدة كقطب أوحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي كان لابد وأن يترتب عليه التزامات وأعباء مالية جديدة على الساحة الدولية (١)

وعلى صعيد البيئة الإقليمية، أثبتت خبرة الحروب العربية / الإسرائيلية فشل الحرب في تأمين السلام لإسرائيل وعجزها عن توفير الأمن لها، في حين رأى عدد كبير من أعضاء المؤسسة الصهيونية أن التفاوض مع العرب بضمانات دولية قد يلبي الحاجة إلى الأمن وخصوصاً في ظل تَزايُد إدراكها أنها رغم تَفوُّقها العسكري لم تتمكَّن من فرض استسلام غير مشروط على العرب، بل على العكس فقد تمكَّن العرب من تجاوز العديد من مضاعفات وآثار هذا التفوق. وأثبتت حرب ١٩٧٣ وغزو لبنان ١٩٨٢ ، محدودية القوة الإسرائيلية وعجزها .

---

(١) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ص ٣٤ .

ولعل المقاومة الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة في الضفة والقطاع التي بـدأت منذ الأيام الأولى للاحتلال ، والانتفاضة التي بدأت وشبت بأطفال الحجـارة منـذ الثامن من شهر ديسمبر عام ١٩٨٧ م والتي لم تنطفئ جذوتها بعد بـرغم كثـرة الشهداء الذين يتساقطون كل يوم لخير دليل على أنه لا سياسة العنف ولا سياسـة " تفتيت العظام " بقادرتين على تحقيق الأمن والأطماع التوسعية لإسرائيل . فقد كانت الانتفاضة أقوى ضربة وجِّهت لنظرية الأمن الإسرائيلي والتي أصبح بعدها إنكـار وجود الشعب الفلسطيني غير ممكن. ومن هنا كـان الاعتـراف بهـم بوصـفهم «الفلسطينيين»، كما في صيغة مدريد واتفاقية أوسلو. وبذلك لم تَعُد نظرية الأمـن الإسرائيلي تختص بالأمن الخارجي إذ أصبح الداخل هو الآخر مصدر تهديد، وهو ما لا تستطيع إسرائيل حياله شيئاً فهـي لا تـستطيع أن تحـرك جيوشـها لقمـع الانتفاضة.

وبذلك أسقطت الانتفاضة الدور الوظيفي للجيش الإسرائيلي، ولو مؤقتاً، كما أنها غيَّرت مفهوم الأمن لديها من كونه تهديداً خارجياً إلى كونه هاجساً أمنياً داخليـاً لا يمكن السيطرة عليه مهما بلغت قوة إسرائيل العسكرية من بأس وشدة. ولعل هـذا هو الذي دفع الإسرائيليين بالمطالبة بأن يتزامن توقيع اتفاق أوسـلو مـع إعـلان الفلسطينيين وقف الانتفاضة، وهو ما لم ينجح أبداً .

وأدَّت حرب الخليج الثانية إلى إبراز عدد من الفجوات في مفهوم الأمن القـومي الإسرائيلي، حيث أوضحت أولاً : أن الجيش الإسرائيلي لا يمتلك قـدرة ملائمـة مضادة للتهديدات الصاروخية لاسيما التهديدات القادمة من بُعْـد. وأدى القـصف الصاروخي العراقي ــ رغم محدودية تأثيره المادي ــ للعمـق الإسـرائيلي إلـى انكشاف المؤخرة الإسرائيلية بما فيها من تجمعات سـكانية كثيفـة، وازداد إدراك الخطر الصاروخي في ظل سعي دول المنطقة إلى امتلاك قدرة صاروخية بإمكانها إصابة أهداف إستراتيجية إسرائيلية .

كما أن حرب الخليج من ناحية ثانية أظهرت استحالة قيام الجـيش الإسـرائيلي بتنفيذ مفهومه الأمني التقليدي القائم على نقل الحرب بسرعة إلى أرض الخـصم،

وخصوصاً أن عنصر البُعد الجغرافي قلَّل كثيراً قدرة السلاح الجوي الإسرائيلي على توجيه ضربات عنيفة إلى العراق .

يُضاف إلى ذلك أن عملية تسوية الصراع العربي الإسرائيلي سوف تكون لها انعكاسات إستراتيجية بارزة، حيث يفترض أن تفضي هذه العملية إلى قيام إسرائيل بتقديم تنازلات جغرافية إقليمية وهو ما يعني تآكل العمق الإستراتيجي، والتخلي عن مفهوم الحدود الآمنة بالمعنى الجغرافي، وإقامة تعاون اقتصادي يكفل إقامة شبكة علاقات اقتصادية متداخلة بين جميع دول المنطقة.

والتقديرات الإستراتيجية الإسرائيلية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتدمير القوة العسكرية العراقية تخلُص إلى التهوين من احتمال نشوب حرب عربية شاملة ضد إسرائيل على المستويين القصير والمتوسط (مع عدم استبعادها على المدى الطويل)، مع تحوُّل الدول العربية نحو الشكل السلمي للصراع، وفي ظل التحالف الإستراتيجي الأمريكي الإسرائيلي. ورغم انكماش التهديدات الفعلية واسعة النطاق الماثلة أمام إسرائيل، فإن هناك طائفة واسعة من التهديدات المحتملة والكامنة والمقصورة، فمن ناحية أولى طرأت نوعيات جديدة من التهديد العسكري ليس من اليسير إيجاد حلول عسكرية واضحة لها، بل أصبح من الصعب تشخيصها وما إذا كانت ذات طبيعة دفاعية أم هجومية. وأبرز مثال على ذلك الانتفاضة الفلسطينية، وانتشار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية ووسائل إيصالها وبخاصة الصواريخ البالستية.

ومن ناحية ثانية أدى تطوُّر العملية السلمية وانكماش التهديدات الخارجية واسعة النطاق إلى بدء تبلور "التهديد الداخلي" الناتج عن ضعف التماسك الاجتماعي والتكامل القومي فتفاقمت التناقضات الداخلية الناتجة عن طبيعة التركيب الاجتماعي/السياسي للدولة الصهيونية، وهو ما بلغ أخطر مراحله باغتيال رئيس الوزراء السابق إسحق رابين.(1)

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ٤. " الأمن القومي الإسرائيلي في التسعينيات " .

وهناك عامل نفسي ومعنوي آخر نتج عن طول فترة الصراع فقد سئم الرأي العام العالمي – حينئذ – نغمة إسرائيل المتكررة لتبرير استمرار احتلالهـا للأراضـي العربية تحت مختلف الحجج والذرائع .

لهذه وغيرها أصبح العالم – لطول أمد الصراع – أكثر تفهما وتعاطفا واستعدادا للاستماع إلى وجهة النظر العربية ولأبعاد القضية الفلسطينية والحق العربـي فـي الحصول على سيادته فوق أرضه وتقرير مصيره . (١)

وعليه فلم تَعُد الخيارات السياسية أمام إسرائيل بالاتساع الذي كانت عليه سـابقاً، وهذا ما يفسر مقولة جيمس بيكر "إن إسرائيل الكبرى فكرة ليست واقعية وليـست ممكنة"، لأن تحقيق ذلك الهدف يتطلب أن يكون لدى إسرائيل قوة تمكّنها من فرْض سيطرتها على المنطقة دون دعم خارجي تتحمل الولايات المتحدة تكلفته الـسياسية والمالية وتتحمل معها مزيداً من العداء من قبَل الشعوب العربية.

وفى جانب العوامل العسكرية والسياسية فهناك عوامل اقتصادية دفعت إسـرائيل للسير في سبيل المفاوضات السلمية مع العـرب . فنتيجـة لـتقلص المـساعدات الأمريكية لإسرائيل فإن الأخيرة تطمح في سوق عربية ضخمة أمـام منتجاتهـا ، وإلى سوق شرق أوسطية تتمتع فيها بالريادة ، كما تأمل بأن تقوم تلك السوق على الثروة النفطية (البترو دولار) واليد العاملة الرخيصة من الدول العربيـة غيـر البترولية ، والتكنولوجيا الإسرائيلية .

إضافة إلى ما سبق فإن هناك عمالا آخر لم يغب عن الفكر الإسرائيلي الصهيوني ذلك هو خشيتها من فقدان هويتها اليهودية وتحولها مع الوقت إلى دولـة علمانيـة عربية / إسرائيلية إذا ما سعت إلى تحقيق حلـم " إسـرائيل الكبـرى " وضـمت الأراضي العربية المحتلة وذلك نتيجة لزيادة معدل نمو المواليد بين العرب عنه بين الإسرائيليين .

ويمكننا أن نلخص الأسـباب التي ولّدت لـدى الإسـرائيليين الرغـبة فـي السـلام في الآتي :

---

(١) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ص ٣٥ .

١ ــ لم تأت الانتصارات العسكرية بالسلام للإسرائيليين -رغم أن الآلة العسكرية الإسرائيلية وصلت إلى ذروة مقدرتها الحربية- بل إنها جلبت لها المزيد من الحروب .

٢ ــ منطق جيش الشعب (النظامي والاحتياطي) لم يَعُد ممكناً بالسهولة التي كان عليها سابقاً وذلك بسبب مقتضيات الاقتصاد الإسرائيلي في إطار النظام العالمي الجديد والتكنولوجيا المتقدمة .

٣ ــ لم يَعُد الإسرائيليون قادرين على تحمُل الحرب الدائمة والاستنفار المتواصل، باعتبار أن الحرب الخاطفة الساحقة، أي الحرب بدون تكلفة بشرية واقتصادية عالية، لم تَعُد ممكنة.

٤- بدء ظهور علامات الإرهاق والتذمر بين المستوطنين الصهاينة ويظهر هذا في أزمة الخدمة العسكرية والتكالب على الاستهلاك .

٥ ــ بدء العرب تطوير نظم هجومية ودفاعية، صاروخية عملت على توازن الرعب بينهم وبين إسرائيل .

٦- بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ثم حرب الخليج تحولت إسرائيل من رصيد إستراتيجي إلى عبء إستراتيجي على الولايات المتحدة التي اضطرت للحضور بنفسها للدفاع عن مصالحها الإستراتيجية .

٧- تقليص حجم المساعدات الأمريكية لإسرائيل لصالح القضايا الداخلية الأمريكية والتزامات الولايات المتحدة الجديدة كقطب أوحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بأعباء مالية جديدة على الساحة الدولية .

٨- طموح إسرائيل في سوق عربية ضخمة أمام منتجاتها ، وإلى سوق شرق أوسطية تتمتع فيها بالريادة .

٩- سأم الرأي العام العالمي نغمة إسرائيل المتكررة لتبرير استمرار احتلالها للأراضي العربية تحت مختلف الحجج والذرائع .ورغبته في تسوية سلمية عادلة تعيد للعرب أراضيهم وحق سيادتهم عليها .

١٠- تعارض المصالح الأمريكية في المنطقة مع منطق إسرائيل العدواني المحتل للأراضي العربية وتفهمها للمنطق العربي صاحب الحق في الأرض والسيادة وصاحب أكبر احتياطي من البترول تحتاجه أدوات الإنتاج الأمريكية وأكبر سوق أمام منتجات تلك الأدوات .

١١- اقتناع إسرائيل بأنها لا يمكن أن تبقى إلى الأبد جزيرة معزولة في البحر العربي ، وأن انفتاحها على العالم العربي لا يمكن أن يتم إلا إذا حققت تسوية سلمية بينها وبين جيرانها .

لقد كانت مبادرة مؤتمر السلام التي دعت إليها أمريكا والاتحاد السوفييتي بمثابة فرصة قد لا تكرر ثانية في المستقبل المنظور وذلك إذا ما تحدد الوضع النهائي للمنطقة وتصبح إسرائيل إحدى دولها وإن كان هذا لن يمنعها من أن تبحث عن دور جديد يدخلها مرة أخرى في الإستراتيجية الأمريكية لضمان استمرار التأييد والمساندة والمساعدة الأمريكية لها ، كما لن يمنعها من أن تحاول أن تتقاضى ثمن ذلك السلام الذي تنشده هي الأخرى . وربما كان المقدم الفوري الذي تقاضته بالفعل من الاتحاد السوفيتي مقابل موافقتها على شاركته برعاية صورية في الدعوة لمؤتمر السلام في شكل إعادة العلاقات الدبلوماسية والقنصلية معه ومع باقي دول الكتلة الشرقية بعد قطيعة استمرت ٣٤ عاما . وهي التي أعلن عنها " بوريس بانكين " وزير خارجية الاتحاد السوفيتي خلال زيارته لإسرائيل يوم ١٨ أكتوبر ١٩٩٠ أي قبل مؤتمر مدريد بأسبوعين ، والتي أعلن خلالها أيضا فتح باب الهجرة لليهود السوفييت إلى إسرائيل بلا حدود . مع ضغوط مكثفة أمريكية لتوطين وتسكين أولئك المهاجرين الجدد . [1]

الدوافع الفلسطينية للجنوح للسلام

إن الميثاق الوطني الفلسطيني تبنى الكفاح المسلح وسيلة لتحرير فلسطين ، وكانت التسوية السياسية التي تدعو إليها منظمة التحرير هي إقامة دولة علمانية ديمقراطية

([1]) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ص ٣٨ .

في كافة الأراضي الفلسطينية بحدودها تحت الانتداب البريطاني يتمتع فيها اليهـود والمسلمون والمسيحيون على السواء بالحقوق والواجبات .

وقد بدأت الدعوة إلى إقامة سلطة وطنية في أية أجزاء تتحـرر مـن الاحـتلال الإسرائيلي في بيان أصدره " نايف حواتمة " في فبراير ١٩٧٤ متضمنا هذه الدعوة ومدافعا عن هذه الفكرة ، وقد وافق المجلس الوطني الفلسطيني في ٨ يونيو ١٩٧٤ على فكرة إنشاء سلطة وطنية على أية أجزاء تتحرر من الأراضـي الفلـسطينية باعتبارها خطوة في سبيل إقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، وأدى هذا الموقف إلى فتح الطريق أمام إشراك المنظمة في المساعي السلمية .

وكانت هناك عقبات حالت دون التعامل مع منظمة التحرير كطـرف فـي تلـك المساعي تمثلت في الشروط التي وضعها هنري كيـسنجر (قبـول القـرار ٢٤٢ والاعتراف بوجود إسرائيل كدولة ونبذ العنف والإرهاب) والتزمت بها الحكومـة الأمريكية في الوقت الذي تمسكت المنظمة فيه برفض قبول القرار ٢٤٢ .

فلما قامت الانتفاضة الفلسطينية ثم أعلن الملـك حـسين إنهـاء روابـط الأردن القانونية والإدارية مع الضفة الغربية كان على المنظمة أن تتقدم بحل سياسي مقبول للمسألة الفلسطينية ، واتخذت المنظمة قرارها التـاريخي فـي اجتمـاع المجلـس والوطني الفلسطيني في الجزائر في ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ حيث أعلن المجلس " باسم الله وباسم الشعب العربي الفلسطيني قيام دولة فلسطين علـى التـراب الفلـسطيني بعاصمتها القدس الشريف "

كما تضمنت قرارات المجلس " ضرورة عقد مؤتمر دولي فعال لموضوع الشرق الأوسط وقضيته المحورية المسألة الفلسطينية " تحت رعاية الأمم المتحدة وعلـى أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ (١)

وبعد أن رفضت الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك انتقلت الجمعية إلـى جنيف حيث ألقى عرفات في ١٣ ديسمبر كلمة أكد فيها من جديد قبـول القـرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ ونبذ العنف وأتبع ذلك بمؤتمر صحفي أكد فيه هذه المواقف .

---

(١) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٨٩، ١٩٠

وبدأ الحوار في تونس بين السفير الأمريكي والحكم بلعاوي ممثل المنظمة واستمر ١٨ شهرا ثم توقف عقب حادث التسلل داخل إسرائيل واتهام أبو عباس بتدبيره .

وأدت الانتفاضة الفلسطينية إلى تحريك الموقف الدولي وبذل جهود جديدة لـدفع عملية السلام [١]

لقد تضافرت مجموعة من العوامل أثرت على مجمل الأوضـاع فـي المنطقـة العربية وعلى مقومات مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي، حيث شهد عقد التسعينيات تحولات وتطورات غيَّرت مفاهيم كثيرة كانت راسخة، وقلبـت مـوازين كانـت مستقرة، فقد اختفت الدولة السوفيتية من الخريطة السياسية العالمية، وأدَّى انتهـاء الحرب الباردة إلى فقدان العديد من الدول العربية الفاعلـة حليفهـا الإسـتراتيجي القديم، وإلى انعدام هامش المناورة أمامها، الأمر الذي قلَّص إلى حدٍّ بعيد قـدرتها على شن حرب ضد إسرائيل، ولكنها أدَّت إلى تقوية الموقف الإسرائيلي في الميزان الإستراتيجي، فضلاً عن اتساع نطاق هجرة اليهود السوفييت وبخاصة من العلمـاء وذوي الكفاءات والخبرات، وتنامت العلاقات الروسية الإسـرائيلية حتـى تُوِّجـت بتوقيع اتفاق للتعاون الدفاعي والأمني في ديسمبر ١٩٩٥.

وفي ظل انفراد الولايات المتحدة بالهيمنة في الساحة العالمية، تم توطيد التحالف الإستراتيجي الأمريكي / الإسرائيلي، وامتد إلى مجال أنظمة التسلح الكبرى التـي تعتمد في الأساس على الثورة التكنولوجية، كما أبرزت تلك التطـورات العالميـة علو شـأن الاقتصاد والاتجـاه نحو التكتلات الاقتصادية.

أدى موقف منظمة التحرير المؤيد للرئيس العراقي صدام حسين ورفضها إدانـة غزوه للكويت إلى الإضرار بصورتها العامة على الساحة الدولية فضلا عن تدهور علاقاتها مع السعودية والكويت وبقية دول الخليج وفتور علاقتها مع مصر وبقيـة الدول العربية التي وقفت في وجه العدوان العراقي . وأدى تدهور علاقاتها بـدول الخليج إلى فقدان الموارد المالية الضخمة التي كانت تحصل عليهـا سـواء مـن حكوماتها أو من الجاليات الفلسطينية التي تعمل بها والتي اضطرت أعداد كبيـرة

([١]) نفسه ص ١٩١

منها إلى الرحيل منها في أعقاب الحرب . كما تأثر موقف الأردن لاتخاذه نفس الموقف المؤيد لصدام حسين .

وبعد انتهاء حرب الخليج كان هناك إجماع دولي يؤكد على ضرورة العمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية دعماً للاستقرار في الشرق الأوسط .

وفي هذا السياق جاء خطاب عمار ياسر (1) مبينا دوافعه إلى اللجوء إلى تسوية سلمية مع إسرائيل قال عرفات : " في الأعوام الثمانية والعشرين المجيدة من عمر الثورة ، خضنا معارك كثيرة على كافة المستويات ، وفي مختلف المجالات والجهات ، كم من المعارك الطاحنة التي خاضتها الثورة وعلى جميع الجهات ، وكم من حصار بعد حصار ، وكم من مؤامرة بعد المؤامرة ، ومن غارات إلى غارات أشد وحشية ،ومن عملية اغتيال دنيئة ، إلى المجازر التي ستظل وصمة عار في جبين " إسرائيل " إلى الأبد لكن الراية الفلسطينية لم تسقط ، وجعلت من مجازر هذه المحن والصعاب من جيل الثورة جيلا حاسما ومصمما على النصر .

لقد عصفت المتغيرات الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية المذهلة بعالمنا المعاصر ، وما كان بالأمس حقيقة راسخة صار اليوم من حديث الماضي السحيق ، وامتدت هذه المتغيرات إلى منطقتنا في الشرق الأوسط ، فأصابته الأولى في أزمة وحرب الخليج بضربة كبيرة أصابت الأمة العربية ، فضربت التضامن العربي ، وشلت الموقف العربي من حول فلسطين ، وأضاعت بالتالي فرصة تاريخية ، لتوظيف هذه المتغيرات العالمية للمصلحة القومية الفلسطينية .

ثم جاءت الموجة الثانية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وسيطرة القطب الواحد الأمريكي على مقدرات السياسة الدولية ، وفي هذا الوضع الدولي الجديد ، هناك أخطار حقيقة وواقعية كبيرة تهدد الأمة العربية – شعوبا ودولا – لإبقاء أمتنا في دوامة الصراع الجديد للنظام الدولي الجديد ، فإما أن نكون أو لا نكون خاصة وإن " إسرائيل " والصهيونية العالمية وحلفاءها يقفان بالمرصاد لكل توجه عربي جدي لبناء مصيرنا القومي في ظل المعطيات الدولية الجديد .

---

(1) ألقي هذا الخطاب في الذكرى الثامنة والعشرين لانطلاقه الثورة الفلسطينية ١/ ١ / ١٩٩٣ .

أريد أيها الأخوة أن يكون واضحا لنا جميعا أن المسافة شاسعة بيننا وبين العـــدو على طاولة المفاوضات ، كما هي على أرض الصراع والمعركة .

لقد دخلنا المفاوضات في ظروف عربية ودولية شديدة التعقيد ، وفي ظل شروط مجحفة ، وكانت تستهدف تعطيل المشاركة الفلسطينية ، ولكننـــا بالثقـــة بالـــشعب وبالنفس وبهذه المشاركة الشجاعة ، قفزنا فوق الشروط المجحفة ، التـــي فرضـــها العدو الإسرائيلي ، وقد اتسعت دوائر التأييد العالمي للحق الفلـــسطيني ، وجـــاءت الانتخابات الإسرائيلية لتأتي بحكومة رابين التي أعطتها الإدارة الأمريكية ضمانات القروض العشرة بلايين دولار ، وضمانات التفوق العسكري بجانب الاستمرار في سياسة القبضة الحديدية والطرد والعقوبات الجماعية والجـــرائم المـــستمرة ضـــد مقدساتنا الإسلامية والمسيحية ، وكذلك الاستمرار في مصادرات الأراضي وبنـــاء المستوطنات لتوطين اليهود الجدد على أرضنا .

كما أن سياسة ازدواجية المعايير ، والكيل بمكيالين التي تتحكم بالموقف الأمريكي تجاه الصراع العربي – الإسرائيلي عطلت حتى الآن أية فرصة لإرغـــام العـــدو الإسرائيلي على الالتزام بقرارات الشرعية الدولية ، والعمل علـــى ســـحب قواتـــه المعتدية من الأراضي الفلسطينية والعربية تنفيذا لهذه القرارات الدولية ، والتي على أساسها تمت الدعوة لمؤتمر مدريد للسلام ومن أجل تطبيقها تدور المفاوضات فـــي واشنطن .

إن وفدنا الفلسطيني – وفد منظمة التحرير الفلسطينية –وانطلاقـــا مـــن ثوابتنـــا الوطنية ، التي أقرتها مجالسنا الوطنية والمركزية ، ربط المرونة الفلسطينية ربطا محكما ، لا تنفصم عراه ، بالثوابت الوطنية ، فرفض مقولات العدو و أطروحاته ، لقد تمسك وفدنا بثوابتنا الوطنية وبقرارات الشرعية الدوليـــة وخاصـــة قـــراري مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، باعتبارهما مرجعي عملية السلام منذ بدئها وحتـــى نهايتها وبما يعني الانسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي العربية والفلسطينية بما فيها القدس الشريف ، ومبدأ الأرض مقابل السلام ، والحقوق السياسية المـــشروعة للشعب الفلسطيني ، بما فيها حقنا في العودة ، وتقرير المصير ، وإقامـــة دولتنـــا

المستقلة وعاصمتها القدس الشريف ، وصولا إلى الكونفدرالية الفلسطينية الأردنية ، طبقا للخيار الطوعي والحر للشعبين الشقيقين .[1]

من الانتفاضة إلى التسوية السلمية

في مطلع التسعينات من القرن الماضي أيقنت منظمة التحرير الفلسطينية – بسبب التغيرات الإقليمية والدولية السالف ذكرها – أن عليها أن تعدل من مسارها وتستبدل بالكفاح المسلح تسوية سلمية لذا اتخذت من العصيان المدني (أطفال الحجارة) وسيلة للوصول إلى تسوية سلمية .

وكان مؤتمر مدريد الذي أكد فيه الوفد الفلسطيني تمسكه بما أصدره المجلس الوطني من قرارات في اجتماعه في الجزائر في ديسمبر ١٩٩١ قبيل انعقاد مؤتمر مدريد . وقد تضمنت قرارات المجلس تحديد أهداف منظمة التحرير الفلسطينية في عملية السلام فيما يلي :

أولا : تأمين حق تقرير الشعب الفلسطيني بما يتضمن حقه في الحرية الاستقلال الوطني .

ثانيا : الانسحاب الإسرائيلي التام من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة عام ١٩٦٧ بما فيها القدس .

ثالثا : حل قضية اللاجئين الفلسطينيين وفقا لقرارات الأمم المتحدة وخاصة قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ .

رابعا : أن تشمل أية ترتيبات انتقالية حق الشعب الفلسطيني في السيادة على الأرض والمياه والمصادر الطبيعية وكافة الشئون السياسية والاقتصادية .

خامسا : توفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني تمهيدا لممارسة حق تقرير المصير .

سادسا : توفير الضمانات الكاملة للعمل على إزالة المستوطنات الإسرائيلية القائمة[2]

---

(1) وثائق فلسطينية (٦) مكتب الإعلام والعلاقات الخارجية بالقاهرة .

(2) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٢٢٨

وكان الأساس الذي دخلت به حكومة شامير الإسرائيلية مؤتمر مدريد للسلام هو المطالبة بالسلام لإسرائيل دون التخلي عن الأرض العربية المحتلة مقابل السلام للعرب .. والسلام فقط أي أن العرب يمكنهم إذا تخلوا عن الأرض السليبة أن يضمنوا عدم الاعتداء عليهم من قبل الدولة اليهودية .(1)

مؤتمر مدريد للسلام

ضم مؤتمر مدريد للسلام الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب, والرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف, ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق شامير, ووزراء خارجية الأردن وسوريا ولبنان ومصر, بالإضافة لوفد فلسطيني .

انتهى مهرجان حفل افتتاح مؤتمر مدريد العالمي في الحادي والعشرين من أكتوبر ١٩٩١ ليعقبه مباشرة ونفس العاصمة الأسبانية الجولة الأولى من المباحثات الثنائية بين إسرائيل والأطراف العربية المعنية (الوفد الأردني الفلسطيني المشترك – الوفد السوري – الوفد اللبناني) وغلب على المحادثات في جولتيها الأولى والثانية الطابع الإجرائي وهو أمر طبيعي إلى حد كبير بالنسبة لبداية سلسلة من الجولات في قضية صعبة معقدة مثل القضية التي ستتناولها تلك المحادثات . ولعل أهم ما أثير في الجولة الثانية بصفة خاصة هو ما أبداه الجانب الفلسطيني من إصرار على أن يستقل بمسار ثنائي منفرد مع إسرائيل أسوة بباقي المسارات العربية الأخرى (سوريا – لبنان – الأردن) .

واضطرت إسرائيل لقبول ذلك في الجولة الثالثة (١٤ يناير ١٩٩٢) وهو في واقع الأمر قبول بوجود الشخصية والكيان الفلسطيني واستبعاد لفكرة أن الأردن هو فلسطين كما كانت إسرائيل تروج لعشرات السنين (2)

وبدأت الجولة السادسة من مباحثات السلام في أغسطس ١٩٩٢ والأولى بعد سقوط حكومة شامير (حكمة الليكود اليمينية المتطرفة) وتشكيل حكومة جديدة من حزب العمل برئاسة اسحق رابين وكانت كل الشواهد التي تم رصدها على امتداد

---

(1) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والنشر والطباعة . ٦٣

(2) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والنشر والطباعة . ص ٧٣

الأشهر القليلة السابقة توحي بأن هناك جديدا تستعد له حكومة حزب العمل برئاسة رابين .

لكن الذي أعاق المفاوضات هو رابين بشكوكه المتزايدة وتردده في اتخاذ القرار والذي كان مازال أسيرا للعديد من العُقد اليهودية القديمة كتهديد الوجود الصهيوني ذاته بالتدمير .

ومع تباطؤ محادثات السلام في التوصل إلى تقدم ملموس ازداد اللجوء إلى العنف من جانب الفلسطيني في الأراضي المحتلة قابله على الجانب الآخر الإسرائيلي عنف متبادل ، وكانت منظمة " حماس الفلسطينية " التي ظهرت للوجود بتأييد من إيران لتنافس منظمة التحرير الفلسطينية التي تعد الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني على رأس القوى الوطنية المناهضة لعملية السلام وبمناسبة مرور خمس سنوات على الانتفاضة الفلسطينية قامت حركة " حماس " باختطاف جندي إسرائيلي وطالبت السلطات الإسرائيلية بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين وبذلك تكون إسرائيل قد تجرعت من نفس الكأس الذي أعدته بنفسها عندما شجعت حركة حماس في بدايتها (1)

لم تتمكن الجولات التفاوضية العشر بين الوفدين : الفلسطيني والإسرائيلي والتي امتدت من نوفمبر ١٩٩١ إلى يوليو ١٩٩٣من الوصول إلي إنجازات مهمة, لكنها افتتحت تفاوضا بين الجانب الإسرائيلي والعربي وهذا أكبر ما حققه المؤتمر مدريد.

اتفاقية أوسلو

يعد اتفاق أوسلو منعطفا مهما في مسار القضية الفلسطينية, فقد أنهى النزاع المسلح بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل لفترة من الوقت علي أمل التوصل إلي اتفاق دائم لإقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وغزة وكانت نتيجة هذه السياسة أن وقّع عرفات وإسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي في الثالث عشر من سبتمبر من عام ١٩٩٣ على "إعلان مبادئ"، هو عبارة عن اتفاق سمح للفلسطينيين بممارسة الحكم الذاتي في قطاع غزة ومدينة أريحا بالضفة الغربية

([1]) السفير صلاح عابدين " حرب السلام " دار الحرية للصحافة والنشر والطباعة . ص ٧٣

مقابل اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل . وكان قد سبق هـذا الاتفـاق محادثات سرية تمّت بواسطة نرويجية .

نص إعلان المبادئ (اتفاقية أوسلو)

اشتملت ديباجة الاتفاقية على الآتي " إن حكومـة إسـرائيل ومنظمـة التحريـر الفلسطينية قد وافقتا على أنه قد حان الوقت لوضع حد لعقود المواجهة والنـزاع ، وتبادل الاعتراف بحقوقهما الشرعية والسياسية ، ولتكافحا للعيش في سلام وتعايش وبكرامة وأمن متبادل ولتحققا تسوية سلمية عادلة دائمة وشاملة ومصالحة تاريخية من خلال العملية السياسية المتفق عليها ، وعليه فإن الجانبين قد اتفقا على المبادئ التالية " دونك أهم المبادئ التي اتفق عليها الطرفان : حكومة إسـرائيل ومنظمـة التحرير الفلسطينية .

المادة رقم (١)- هدف المفاوضات :

إن هدف المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية من خلال عملية سلام الشرق الأوسط الجارية هي من بين أشياء أخرى لتأسيس سلطة حكومية ذاتية فلسطينية انتقاليـة ، المجلس المنتخب للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة لمرحلة انتقالية لا تزيد على خمس سنوات تقود إلى تسوية دائمة على أساس قراري مجلس الأمن رقمي ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

المادة رقم (٣) – الانتخابات :

أ- لتمكين الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة من حكـم أنفـسهم حسب مبادئ الديمقراطية فإن انتخابات مباشرة ، حرة ، وسياسية عامة ، سوف يتم إجراؤها لانتخابات " المجلس " تحت إشراف متفق عليه ورقابة دولية بينما سيتولى البوليس الفلسطيني تأمين الأمن العام .

ب- تتم الانتخابات في مدة لا تزيد على تسعة شهور من تاريخ التصديق علـى إعلان المبادئ هذا .

المادة رقم (٤) – الولاية (نطاق السلطة) :

إن نطاق سلطة المجلس سيغطي أرض الضفة الغربية وقطاع غزة ، مـا عـدا القضايا التي سيتم التفاوض عليها في مفاوضات الوضع النهائي . ينظر الجانبـان

إلى الضفة الغربية وقطاع غزة كوحـدة إقليميـة واحـدة ، وأن وحـدة وسـلامة أراضيهما يجب حمايتهما خلال المرحلة الانتقالية .

المادة رقم (٥) المرحلة الانتقالية ومفاوضات الوضع النهائي :

١- سوف تبدأ السنوات الخمس للمرحلة الانتقالية بعد الانسحاب من قطاع غـزة وأريحا .

٢- ستبدأ مفاوضات الوضع النهائي بين الحكومة الإسرائيلية وممثلـي الـشعب الفلسطيني في أسرع وقت ممكن ، ولكن بما لا يتجاوز بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية بين الحكومة الإسرائيلية وممثلي الشعب الفلسطيني .

٣- من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تشمل القضايا المتبقية بما فيها : القدس ، واللاجئون ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، الحدود ، العلاقات والتعاون مـع الجيران الآخرين ، وأية قضايا أخرى ذات فوائد مشتركة .

٤- اتفق الطرفان على أن حصيلة مفاوضات الوضع النهائي يجب ألا تُفَرَغ من مضمونها بالاتفاق الذي يتم التوصل إليه للمرحلة الانتقالية .

المادة رقم (٦) – تحويل السلطات والمسئوليات التمهيدي :

١- عند التصديق على إعلان المبادئ هذا ، والانسحاب من غزة ومنطقة أريحا فسيبدأ تحويل سلطات من الحكومـة العـسكرية الإسـرائيلية وإدارتهـا المدنيـة للفلسطينيين المفوضين لهذه المهمات ، كما هو مبين هنا ، سيكون تحويل السلطات هذا ذا طبيعة تمهيدية إلى حين تنصيب المجلس.

٢- حالا ، وبعد التصديق على إعلان المبادئ هذا ، والانسحاب من قطاع غـزة ومنطقة أريحا ولأغراض تشجيع وترويج التنمية الاقتصادية في الـضفة الغربيـة وقطاع غزة ، فإن السلطات التالية سيتم تحويلها للفلسطينيين (التعلـيم والثقافـة ، الصحة ، الشئون الاجتماعية ، الضرائب المباشرة ، والـسياحة) سـيبدأ الجانـب

الفلسطيني في بناء قوة البوليس الفلسطيني كما يتفق عليه ، إلى جانب تنصيب المجلس فإنه يمكن للطرفين أن يتفاوضا على تحويل سلطات ومسئوليات أخرى كما يتفق عليه .

بعد الاحتفال بتشكيل المجلس فإن الإدارة المدنية سيتم حلها والحكومة العسكرية سيتم سحبها .

المادة رقم (٨) – الأمن والأمن العام :

لضمان الأمن والأمن الداخلي للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة فإن المجلس سيشكل بوليسا قويا بينما ستستمر إسرائيل في تحمل مسئوليات الدفاع ضد التهديدات الخارجية ، وكذلك جميع مسئوليات الأمن للإسرائيليين لأغراض حماية أمنها الداخلي والعام .

المادة رقم (١٣) – إعادة توضيع القوات الإسرائيلية :

١- بعد التصديق على إعلان المبادئ هذا ، وبما لا يتجاوز عشية انتخابات المجلس ، ستقوم إسرائيل بإعادة لتوضيع قواتها في الضفة الغربية وقطاع غزة ، إضافة إلى انسحاب القوات الإسرائيلية المبينة في المادة ١٤ .

المادة رقم (١٤) – الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة ومنطقة أريحا :

ستنسحب إسرائيل من قطاع غزة ومنطقة أريحا كما هو مبين في البروتوكول المرفق رقم ٢ .

المادة رقم (١٥) – القرارات والخلافات .

١- الخلافات الناشئة عن تطبيق أو تفسير إعلان المبادئ هذا ، أو أية اتفاقيات لاحقة متعلقة بالمرحلة الانتقالية سيتم حلها بالمفاوضات من خلال لجنة الارتباط المشتركة التي سيتم تشكيلها .

٢- الخلافات التي لا يمكن حلها بالمفاوضات يمكن حلها من خلال آلية للتسويات يتم الاتفاق عليها بين الطرفين .

المادة رقم (١٧)

١- إن إعلان المبادئ هذا سيدخل حيز التنفيذ بعد شهر من تاريخ التوقيع عليه .

٢- جميع البرتوكولات الملحقة بإعلان المبادئ هذا ومحضر الاجتماع المتفق عليه ذو العلاقة ستعتبر جزءا لا يتجزأ منه .

عمل في واشنطون D.C يوم الاثنين تاريخ ١٣ / ٩ / ١٩٩٣ .

عن حكومة إسرائيل	عن الوفد الفلسطيني
شيمون بيريز	محمود عباس

الشاهدان

الولايات المتحدة الأمريكية	الفيدرالية الروسية
وارين كريستوفر	أندريه كوزريف

المقاومة الفلسطينية تعود لفلسطين

في الرابع من مايو عام ١٩٩٤ منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل تتوصلان إلى اتفاق في القاهرة بشأن التنفيذ المبدئي لاتفاق أوسلو الذي يشمل انسحاب القوات الإسرائيلية من نحو ٦٠ % من قطاع غزة (لم يشمل الاتفاق المستوطنات اليهودية وضواحيها) وبلدة أريحا في الضفة الغربية .

وفي ١١ يوليو عام ١٩٩٤ حقق عرفات انتصارا بعودته إلى غزة لتولي منصبه الجديد كرئيس سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية الجديدة بعد نحو ١٢ عاما من إدارة شئون منظمة التحرير الفلسطينية من تونس . واستقبل عرفات استقبالا جماهيريا رائعا فقد تعلقت به آمال الجماهير في أن ينقذها من الاحتلال العسكري الذي كتم أنفاسهم طوال سبعة وعشرين عاما تدهورت خلالها كافة المرافق والخدمات وتردت فيها الأوضاع الاقتصادية . [١] وفي نفس السنة فاز عرفات بجائزة نوبل للسلام

[١] السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام " دار الشروق ص ٣١٤

بالمشاركة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين وشيمون بيريز، رئيس حزب العمل الإسرائيلي في ذلك الوقت .

في الرابع من نوفمبر عام ١٩٩٥ اغتيل رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق رابين على يد ايجال عامير الطالب اليهودي المتشدد المعارض للانسحاب الإسرائيلي من الضفة الغربية المحتلة. وشمعون بيريس يصبح رئيسا للوزراء . وهو مــا شــكّل انتكاسة لعملية السلام. وواجه عرفات تحدياً ضخماً تمثل في السعي للحفاظ علــى التزام الفلسطينيين والإسرائيليين بما أطلق عليه "سلام الشجعان".

اتفاقية طابا (أوسلو ٢)

وفي الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٩٥ وقع عرفات ورابين اتفــاق طابــا (المعروف أيضا باسم أوسلو ٢) في واشنطن لزيادة المناطق التي تخــضع للحكــم الذاتي الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة والــسماح للفلــسطينيين بــإجراء انتخابات. والتي ركزت على انتخابات المجلس التــشريعي الفلــسطيني، وتكــوين الشرطة الفلسطينية . وبموجب هذه الاتفاقية، ستنقل إسرائيل صلاحيات ومسئوليات من الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية إلى المجلس،وســوف تــستمر إسرائيل في ممارسة صلاحياتها ومسئولياتها، في المجالات التي لم يتم نقلها .

كما ستجري انتخابات سياسية عامة مباشرة وحرة للمجلــس ورئــيس الــسلطة التنفيذية، وفقاً للأحكام المنصوص عليها في بروتوكول الانتخابــات . وجــاء فــي الاتفاقية، أن هذه الانتخابات ستفرز مجلسا تشريعيا يتكون من ٨٢ ممثلا ورئــيس السلطة تنفيذية، وسيتم انتخابهم مباشرة . (أجريت في ٢٠ يناير عام ١٩٩٦)

كما نص الاتفاق على إعادة انتشار القوات العسكرية الإسرائيلية لمواقع عسكرية محددة، بعد تنصيب المجلس، على أن يتم تنفيذ ذلك تدريجياً، بتــزامن مــع تــولي الشرطة الفلسطينية مسؤوليات النظام العام والأمن الداخلي .

حساب الأرباح والخسائر

لقد قام مؤتمر مدريد علي مبدأ أن تتخلي إسرائيل عن الأراضي المحتلة, مقابــل السلام مع جيرانها. وأدي المؤتمر إلي معاهدة سلام بين إســرائيل والأردن عــام

١٩٩٤, وإلي سلسلة محادثات رفيعة المستوي بين إسرائيل وسوريا كادت تسفر عن التوصل لاتفاق سلام عام ٢٠٠٠, إلا أن هذه المحادثات توقفت منذ ذلك الحين; بسبب رفض تل أبيب الانسحاب الكامل من الجولان . ولم يؤد المسار الفلسطيني للمؤتمر إلا لتأسيس السلطة الفلسطينية مع بقاء الاحتلال الإسرائيلي في معظم الأراضي الفلسطينية .

المكاسب

ويمكن رصد عدة مكاسب حققها الفلسطينيون من خلال التسوية السلمية من مؤتمر مدريد إلى اتفاقية طابا :

١- اعتراف إسرائيل بالشعب الفلسطيني وبأن له حقوقا وطنية .

٢- حسم إعلان المبادئ عدد من المسائل الخلافية كارتباط المرحلة الانتقالية بالمرحلة النهائية لتسوية القضية الفلسطينية على أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

٣- إقامة سلطة الحكم الذاتي من خلال انتخابات سياسية يشارك فيها فلسطينيو القدس الشرقية .

٤- امتداد الولاية الإقليمية لسلطة الحكم الذاتي إلى كل الإقليم الفلسطيني دون تجزئة أو تقسيم .

٥- تحديد موضوعات مفاوضات الوضع النهائي للضفة والقطاع دون استثناء القدس والمستوطنات واللاجئين .

٦- الإقرار بسلطة التشريع ، وبانسحاب القوات من قطاع غزة وأريحا ، وإعادة انتشارها في بقية أراضي الضفة الغربية .

٧- سرعة تنفيذ الحكم الذاتي بالتعجيل بنقل السلطة في قطاع غزة ومنطقة أريحا.

٨- النقل المبكر لعدد من السلطات في كل الإقليم الفلسطيني ، ووضع آليات التنسيق والتعاون والمتابعة وتسوية المنازعات .

الخسائر

وفي حساب الخسائر يمكن رصد عدة نقاط سلبية منها :

١- عدم الاتفاق على وقف الاستيطان الإسرائيلي خلال الفترة الانتقالية .

٢- تأجيل البت في أهم المسائل إلى مفاوضات الوضع النهائي مع وجود فجوة واسعة بين موقف الطرفين بشأنها وخاصة القدس ، والمستوطنات ، واللاجئين .

٣- عدم النص على أن يكون الانسحاب الإسرائيلي ضمن موضوعات التفاوض.

٤- القيود الموضوعة على ممارسة الفلسطينيين للسلطة التشريعية .

٥- إرجاء عدد كبير من المسائل للمفاوضات التالية .

٦- ضعف آليات التنسيق والتعاون وما قد يؤدي إليه ذلك من سيطرة إسرائيل على المرافق الحيوية ، ومنها المياه والمواصلات والنقل والاتصالات اللاسلكية وغيرها.

وعلى أية حال ، فلاشك أن المكسب الرئيسي للشعب الفلسطيني من إعلان المبادئ هو ما جاء مكملا لهذا الإعلان من الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير ، والذي أتاح للمنظمة موضع قدم تمارس منه السلطة داخل الأراضي الفلسطينية . [1]

صدى اتفاقية أوسلو بين الفلسطينيين :

جاءت ردود الفعل الفلسطينية متباينة أشد التباين ، ما بين فلسطينيي الداخل عموما ، وما بين فلسطينيي وحركات وفصائل المقاومة في الخارج .. فقد استقبل غالبية الشعب الفلسطيني في غزة والقطاع نبأ الاتفاقية بالاحتفالات الشعبية والرقص في الشوارع وإطلاق الأعيرة النارية ، ورفع الأعلام الفلسطينية فوق الديار وترديد الأهازيج ابتهاجا بتلك المناسبة ، لقد تصوروا أنه بعد رحيل المحتل وتولي الفلسطينيين إدارة شئونهم بأنفسهم فإن رءوس الأموال ستتدفق عليهم من أثرياء

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام " دار الشروق ص ٣٠٠ ، ٣٠١

الفلسطينيين الذين يعيشون في المهجر لاستثمارها في الوطن الأم ، وذلك إضافة إلى دفعات أخرى من الأموال من المنظمات والدول المانحة بما ينهض باقتصاديات البلاد المحررة ويعود إليهم بالرفاهية ، ويخرجهم من قاع الفقر والإذلال النفسي ،ويخلصهم من قرارات سلطة الاحتلال بإبعادهم عن أراضيهم وديارهم وتدمير المنازل وسياسة التجويع والعقاب الجماعي بإغلاق الضفة والقطاع من حين لآخر .

كانت الآمال تصب في بشرى انتهاء ستة وعشرين عاما من الاحتلال بكل ما يمثله لهم من أيام مليئة بالعذاب والسواد الحالك . ينتقلون فيها من مجزرة إلى مذبحة ومن سجن لآخر مهانين مطاردين محتقرين من الجميع يواجهون عمليات إبادة منظمة لهم ، ولبنيتهم الأساسية ، فلا قضاء يدافع عنهم من بطش وغطرسة المحتل ، ولا صناعة أو زراعة تسد رمقهم . وفي هذا المجال قد يكون مخيم الشاطئ بقطاع غزة هو خير نموذج لبؤس الفلسطيني المغبون المقهور على أمره .. كتلة من العشش الصفيح لا تحمي من برد ولا تقي من حرارة الشمس يقطنه أكثر من ستين ألف فلسطيني يعيشون عيشة بعيدة كل البعد عن الآدمية في أدنى صورها . كان هؤلاء وغيرهم يتطلعون إلى حياة أفضل في ظل إدارة وسلطة وطنية تشعر بمشاعرهم وتعمل لصالحهم .

كانت هذه ردود الفعل لفلسطينيي الداخل في غالبيتهم العظمى ، أما بالنسبة لفلسطينيي الخارج ، وفصائل المقاومة فقد كان الأمر يختلف اختلافا جوهريا فقد قابلت اتفاقية أوسلو بالرفض بدءا من التنديد والشجب وانتهاء بالاتهام بالعمالة والخيانة للقضية الفلسطينية ، وعلى رأس هؤلاء كانت الفصائل العشر التي كانت تتخذ من العاصمة السورية دمشق مركزا لقياداتها ومنطلقا لنشاطاتها ، وهذه الفصائل هي (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، القيادة العامة ، فتح الانتفاضة ، فتح المجلس الثوري ، جبهة النضال الفلسطيني ، جبهة التحرير الفلسطينية ، جبهة تحرير الفلسطينية ، الصاعقة ، الجهاد الإسلامي) وذلك إضافة بطبيعة الحال إلى حركة حماس الإسلامية ذات النفوذ الواسع بين أبناء فلسطين ، والتي تقوم من خلال أجنحتها السياسية والاجتماعية بنشاطات إنسانية واجتماعية وثقافية داخل قطاع غزة والضفة الغربية .

مبررات جبهة الرفض الفلسطينية لاتفاقية أوسلو :

اعتبرت فصائل جبهة الرفض أن الاتفاقية ليست سوى خيانة للقضية الفلسطينية ، وأنها تهدف إلى تصفيتها وإلى إسقاط حقوق الشعب الفلسطيني ، ودعت إلى إسقاطها مهما كان الثمن ومواصلة الكفاح المسلح وتصعيد الانتفاضة ضد المحتل الإسرائيلي .

ويمكن تلخيص أهم الأسباب التي استندت إليها جبهة الرفض في الآتي :

١- لم يكن من حق عرفات هو وقلة معدودة من رفاقه أن ينفردوا باتخاذ القرار دون تشاور أو تنسيق مع باقي الأطراف العربية ، الأمر الذي أضعف موقف المفاوض الفلسطيني .

٢- الاتفاقية بهذه الصورة تعد قبولا واعترافا رسميا ونهائيا بإسرائيل وشرعيتها. في مقابل حزمة من الوعود الإسرائيلية يمكن أن ترجع عنها إذا أرادت ذلك .

٣- معظم القضايا الرئيسية لم يتم بحثها أو مناقشتها ، وإنما رُحِّلت للمرحلة النهائية من المفاوضات بعد ثلاث سنوات ، والله أعلم ماذا يمكن أن يحدث خلالها ؟

٤- الاتفاقية تتضمن تعهد فلسطيني بوقف الكفاح المسلح والمقاومة المشروعة ضد الاحتلال قبل أن تتحرر الأراضي العربية المحتلة ، الأمر الذي يجعل السلطة الفلسطينية حارسا أمنيا لسلطة الاحتلال .

٥- الاتفاقية لم تَرْقَ إلى الطموحات والآمال العربية والفلسطينية ، وأنها جعلت من فلسطين كيانا ممسوخا منقوص السيادة مرتبطا بإسرائيل أمنيا وسياسيا واقتصاديا .

٦- الاتفاقية تركت لإسرائيل السيطرة الفعلية الكاملة على المعابر والجسور التي تربط الأرض الفلسطينية بإسرائيل وكل من مصر والأردن . وتلك السيطرة تعني إغلاق الحدود الفلسطينية مع العالم الخارجي ومع الأسواق العربية استيرادا وتصديرا ، وحصار الضفة والقطاع متى شاءت إسرائيل ذلك .

٧- الاتفاقية لم تنص على وقف الاستيطان الإسرائيلي خلال الفترة الانتقاليـة . وهو ما يسمح لإسرائيل خلال تلك الفترة من إحداث تغييرات كبيرة كإقامة أحيـاء إسرائيلية جديدة تخلق واقعا جديدا يصعب من مهمة المفاوضات التالية .

٨- سيطرة إسرائيل على المياه مما يخنق الزراعة الفلسطينية لقلـة ونـدرة مـا تحصل عليه من نصيب من مياهها هي وليست المياه الإسرائيلية .

مواقف الدول العربية من الاتفاقية :

كان **لمصر** دور الصدارة والريادة في تأييد الاتفاق والترحيـب بـه باعتبـار أن الطريق الصعب بدأ تجاوزه بتوقيع اتفاق غزة / أريحا .. كما قامت بـدورها فـي ترطيب الأجواء العربية الساخنة في أعقاب العلم بالاتفاقية وتهدئة الخواطر وإجراء اتصالات على أعلى المستويات لتقريب وجهات النظر بين الدول العربية الرافضة ومنظمة التحرير الفلسطينية .

بالنسبة **للأردن** فقد وقع عليها نبأ توصل منظمة التحرير الفلسطينية إلى اتفاق مع إسرائيل وقع الصاعقة في بداية الأمر لتجاهلها في كل مراحل المحادثات السـرية على الرغم من أن معظم ما تضمنه ذلك الاتفاق يمـس الأردن بـشكل أو بـآخر للروابط الوثيقة التي تربط الشعبين الفلسطيني والأردني ناهيك عن الالتزامات التي سيتحملها الأردن نتيجة لذلك الاتفاق الذي لم تشارك فيه .

كان ذلك موقف الأردن المبدئي إلا أنه بعد اسـتيعاب صـدمة المفاجـأة وبعـد اتصالات متعددة مع الملك حسين قامت بها مصر ودول أخرى عَدّلَت المملكة عن موقفها السابق وأعلن الملك حسين يوم ٤ سبتمبر ١٩٩٣ دعمه الكامل للاتفـاق ، ووصف قرار المنظمة بقبول الاتفاق بالشجاعة والمسئولية تجاه الشعب الفلـسطيني في الأرض المحتلة .

أما **دول مجلس التعاون الخليجي** فقد رحبت بالاتفاق الذي توصلت عليه منظمـة التحرير الفلسطينية باعتباره خطوة مهمة في سبيل التوصل للحـل الـدائم العـادل الشامل كما أعربت عن استعداها لتقديم مساعدات مالية لتنمية ما تم تحريـره مـن الوطن الفلسطيني .

الموقف الدولي من الاتفاقية

إذا تحدثنا عن الموقف الدولي فإن الولايات المتحدة الأمريكية تأتي في المقدمة إذ بادرت بإعلان تأييدها الكامل للاتفاق ، وعملت على طمأنة الدول العربية الأخرى من أن الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي لن يؤثر بشكل أو آخر على مسار المفاوضات لباقي الأطراف ، كما أعلنت الحكومة وبعض المؤسسات الأمريكية عن الاستعداد للمساهمة الجادة في عمليات التنمية في كل من قطاع غزة وأريحا .. نفس التأييد والترحيب لَقِيَه إعلان المبادئ من كل من الدول الأوربية بلا استثناء مع وعد بتقديم الدعم المالي للنهوض بالأراضي التي سيتسلمها الفلسطينيون .

الموقف السوري من اتفاقية أوسلو

بدا النظام السوري في بداية الأمر متحفظا ، لا هو مؤيد ولا هو معارض للاتفاق ، وإن أشارت أجهزة إعلامه الرسمية إلى استياء سوريا من قيام منظمة التحرير الفلسطينية بالتوصل إلى حل منفرد مع إسرائيل دون تنسيق مع باقي الأطراف العربية الأخرى ، إلا أن ذلك الموقف أخذ في التغير بعد اتصالات قام بها الرئيس حسني مبارك والملك حسين وياسر عرفات مع الرئيس حافظ الأسد ، إذ بدأت أجهزة الإعلام السورية التي تفضل سوريا الإفصاح عن موقفها من خلالها إلى الإعراب عن تأييد كل ما يراه الشعب الفلسطيني محققا لآماله وأهدافه ، ومن أن سوريا لن تكون فلسطينية أكثر من الفلسطينيين ، وإن بقيت بعد ذلك تستضيف فصائل المقاومة الفلسطينية المعارضة على أراضيها تمارس نشاطها السياسي والإعلامي كأوراق ضغط على إسرائيل لدفعها إلى إعادة الجولان !! [1]

لقد ضاعفت اتفاقية أوسلو من أزمة النظام السوري فقد أضعفت موقفه التفاوضي حول الجولان المحتل ، وغلت يده عن مشاغبة إسرائيل عن طريق المقاومة الفلسطينية لإجبارها على إعادة الجولان له ، كذا فقد صرفت الاتفاقية الأنظار الإقليمية والدولية عن التحرك السريع والجدي لعلاج قضية الجولان بعدما انتهى من علاج المهمة الأكبر والمشكلة الأعقد القضية الفلسطينية .

([1]) لمزيد من التفاصيل حول العقبات التي واجهتها المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية راجع الفصل التاسع " صدى اتفاقية أوسلو " من كتاب السفير صلاح عابدين " حرب السلام " .

لهذه الأسباب وجد النظام السوري نفسه في مشكلة حقيقية فلا هو يستطيع أن يرفض اتفاقا رحب به الفلسطينيون أصحاب المشكلة الحقيقيين حتى لا يتهم بأنه ملكي أكثر من الملك ، ولا يستطيع أن يعادي الدول العربية والغربية التي أيدت هذا الاتفاق حتى لا يُعْزَل سياسيا عن العالم ، وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يقبل الاتفاق الذي يضر بمصلحته ، ولا يستطيع أن يشن حربا لتحرير الجولان وهو الذي عجز عن أن يطلق رصاصة واحدة تجاه إسرائيل طيلة عشرين عاما ، ولكي يتخلص من هذا المأزق فإنه أوحى إلى بعض صحفه بتأييد الاتفاق ، وطمأن حكام الدول المؤيدة للاتفاقية بأنه ليس ضدها ،وفي ذات الوقت حرَّض المقاومة الفلسطينية التابعة له – حماس والفصائل العشرة – أن تقاوم هذا الاتفاق بكل وسيلة وأن تسعى لإفشاله بالإقدام على عمليات فدائية في فلسطين تستهدف الإسرائيليين : عسكريين ومدنيين ؛ حتى تضع السلطة الفلسطينية في مأزق فهي لا تستطيع أن تستنكر هذه العمليات حتى لا تتهم بالعمالة لإسرائيل ، كما لا تستطيع دفع اتهام إسرائيل لها بالضلوع في هذه العمليات. مما يترتب عليه عرقلة المفاوضات بل تراجع المكاسب التي حققها الاتفاق . وهذا ما تم بالضبط فيما بعد فقد شنت المقاومة الفلسطينية هجمات عنيفة على إسرائيل توقفت على أثرها مسيرة السلام .

فسوريا العاجزة عن مواجهة إسرائيل تتخذ كلا من المقاومة الفلسطينية واللبنانية كوكيلين عنها في صراعها مع إسرائيل وهي لا تتوانى في التضحية بمستقبل هذين البلدين المنكوبين في سبيل الوصول إلى تسوية مرضية لها مع إسرائيل حول الجولان ، وإن كان الخطاب المعلن للنظام السوري هو دعم المقاومة العربية (فلسطينية ولبنانية) للحصول على حقوقهما المشروعة من منطلقات قومية عربية تحمل سوريا لواءها بعدما تخلت عنها مصر بعد جمال عبد الناصر !! [1]

ويوجه إبراهيم نافع عدة أسئلة للنظام السوري في هذا الصدد فيقول :

" هل ستذهبون إلى المؤتمر الدولي في المفاوضات المباشرة مع إسرائيل لاستعادة الجولان دون تفريط في الأرض والسيادة ؟

([1]) لمزيد من التفاصيل حول علاقة سوريا بكل من المقامة الفلسطينية والقوى اللبنانية راجع " إسرائيل وحزب الله ولبنان " للمؤلف دار الإبداع للصحافة والنشر .

هل ستعفون الأشقاء الأردنيين والفلسطينيين من مؤامراتكم المعتادة لإفساد أي جهد مشترك للتقارب بينهم ولاسترداد الأرض المحتلة بالقوات الإسرائيلية ؟

هل ستتوقفون عن ممارسة ألعابكم الشيطانية لشق الجبهة الفلسطينية ، واستقطاب بعض فصائلها للخروج على القيادة الشرعية تحت أية مسميات تستهدف عرقلة جهود الحل العادل ؟

ثم بعد عشر سنوات رجعتم لبعض أراضي لبنان . ألم يحن الوقت بعد لترفعوا أيديكم عن لبنان الذي تمزق بفضل الوجود السوري المزمن فيه شر ممزق ؟

ألم تقتنعوا بعد بأن وجودكم في لبنان قد أسهم في تعقيد مشكلاته ، وتعميق الفرقة والتجزئة فيه بعد أن سمحتم بإدخال النفوذ الإيراني إليه حتى أصبح أحد مشاكله المتفجرة الآن ؟

ألم يحن الوقت بعد لكي تتركوا للبنانيين أنفسهم حق اتخاذ القرار المستقل في إعادة وحدة أراضيه ، وفي التفاوض من أجل التسوية الشاملة لاستعادة جنوبه المحتل ؟

أم ماذا تريدون بالضبط ؟

وكل ما سبق سوف يحدث يوما ما بالضرورة لأنه حتمية تاريخية لا يمكن تأجيلها إلى الأبد ولأن الصمت العربي عن سياستكم التخريبية لن يطول أكثر مما طال ."(1)

عقبات في مسيرة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية

كانت المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية بكل المقاييس صعبة وشاقة للجانب الفلسطيني بصفة خاصة ، ومر عرفات ورفاقه فيما بين أوسلو ١ و أوسلو ٢ بفترة عصيبة هي الجحيم ذاته في ظل أجواء معاكسة تدعو إلى اليأس والإحباط نتيجة لوقوع المفاوض الفلسطيني تحت ضغوط متلاحقة من كل جانب ، الأمر الذي ترتب عليه تأخير إنجاز اتفاق طابا أو (أوسلو ٢) لتوسيع الحكم الفلسطيني الذاتي التي استغرقت ما يربو على أربعة عشر أسبوعا من الصعود والهبوط ، ثم قبول

---

(1) إبراهيم نافع " آفاق التسعينات " مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٨ ص ٢٠٠

الفلسطينيين لاتفاقية تضمنت مواد لم يكونوا ليرضوا عنها أو ليوافقوا عليها في ظل الظروف العادية .

ويمكن إجمال هذه الصعاب التي لاقاها الوفد الفلسطيني فيما يلي :

١- رغبة عناصر المعارضة الفلسطينية سواء الفصائل المعارضة الفلسطينية أو الحركات الإسلامية كحركتي : حماس والجهاد ، في إفشال المفاوضات وإسقاط مسيرة السلام ، وهي التنظيمات الأكثر تنظيما والأعلى صوتا والأكثر تأثيرا في الشعب الفلسطيني . والتي تتلقى جميعا دعمها وتوجيها من سوريا وإيران وترفع شعارات عفا عليها الزمن .

٢- كان المعارضون للتوصل إلى سلام يبذلون أقصى ما في وسعهم لتهديد أو تدمير مسيرة السلام بالقيام بعمليات إرهابية أو مقاومة انتحارية ، ودائما أبدا في الوقت غير المناسب عندما تلوح في الأفق بوادر نجاح في المفاوضات لتبعثر ما تم التوصل غليه من تفاهم ما .

٣- كان الجانب الفلسطيني وهو الأضعف الأكثر تأثيرا بتلك العمليات التي يبدو من توقيتها وأسلوبها وكأنما هناك نوع من التنسيق والتنظيم بين الإرهاب الإسرائيلي والتطرف الفلسطيني بهدف مشترك ألا وهو إسقاط عملية السلام وتدميرها إذ كانت السلطة الفلسطينية هي التي تتحمل عبء كل عملية إذا قام بها فلسطينيون ، حيث تحملها إسرائيل مسئولية وقوعها ، إما إذا قام إسرائيليون متطرفون فإن المعارضة الفلسطينية لا تتوانى عن توجيه سهامها للسلطة الفلسطينية والمفاوض الفلسطيني لقتل عملية السلام التي لم تحقق سلاما في رأيهم .

وفيما يلي نماذج لبعض أحداث العنف التي وقعت خلال عامي ١٩٩٤ ، ١٩٩٥ :

- في فجر يوم ٢٥ فبراير ١٩٩٤ سمحت القوات الإسرائيلية التي تقوم على حراسة الحرم الإبراهيمي بدخول المستوطن اليهودي المعروف بتطرفه باروخ جولدشتاين إلى الحرم الشريف وهو يحمل بندقيته الآلية وعدداً من خزائن الذخيرة المجهزة.

وعلى الفور شرع جولدشتاين في حصد المصلين داخل المسجد. وأسفرت المذبحة عن استشهاد ٦٠ فلسطينياً فضلاً عن إصابة عشرات آخرين بجراح، وذلك قبل أن يتمكن من تبقّى على قيد الحياة من السيطرة عليه وقتله.

ومع ذلك فإن تعامل الجنود الإسرائيليين والمستوطنين المسلحين مع ردود الفعل التلقائية الفورية إزاء المذبحة التي تمثلت في المظاهرات الفلسطينية اتسمت باستخدام الرصاص الحي بشكل مكثف، وفي غضون أقل من ٢٤ ساعة على المذبحة سقط ٥٣ شهيداً فلسطينياً أيضاً في مناطق متفرقة ومنها الخليل نفسها. ونكاية في الفلسطينيين ، واستفزازا لشعورهم سمحت إسرائيل بتحويل بيت جولدشتاين الذي قتله المصلون إلى متحف ومزار يهودي .

– في ٦ أبريل ١٩٩٤ فجَّر عنصر من حماس نفسه في أوتوبيس إسرائيلي مما أدى إلى مصرع ٨ إسرائيليين ، وبعد أسبوع واحد تم تفجير أوتوبيس آخر بنفس الأسلوب مما أسفر عن مصرع ٥ إسرائيليين .

– في ١٤ أكتوبر ١٩٩٤ تم اختطاف جندي إسرائيلي واغتياله هو وأحد أفراد قوات الكوماندوز الإسرائيلية أثناء محاولة إنقاذه ، إضافة إلى قتل بعض العناصر الفلسطينية التي كانت تحتجز الرهينة المختطفة ، وبعدها بخمسة أيام قام فلسطيني بعملية فدائية لتفجير أوتوبيس بأحد شوارع تل أبيب في أعنف انفجار منذ ١٩٧٨ مما أسفرت عن قتل ٢٢ إسرائيليا .

– في ٤ يناير ١٩٩٥ قامت القوات الإسرائيلية بمهاجمة مركز شرطة فلسطيني مما أدى إلى مصرع ٨ من أفراد الشرطة الفلسطينية .

– في يوم ٢٢ يناير ١٩٩٥ وكرد فعل على مهاجمة مركز الشرطة الفلسطيني قام عنصر من عناصر جماعة الجهاد بوضع عبوة متفجرات تزن ٥ كيلو جرامات بمحطة أوتوبيس بوسط إسرائيل مما أدى إلى مصرع ٢١ جنديا إسرائيليا .

هذا العنف بعض من بحر المشاكل والصعاب والأزمات التي دارت في أجوائها مباحثات اتفاقية توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني بالضفة والقطاع يضاف إلى إرهاب الدولة الإسرائيلية الذي كانت تمارسه بعد كل عملية تقوم بها عناصر المقاومة

الفلسطينية ضدها فقد كانت تقوم بإغلاق وحصار الضفة والقطاع ومصادرة الأراضي الفلسطينية ، وعدم الالتزام بتعهداتها ولا بالتواريخ التي حددتها اتفاقية أوسلو متذرعة بعمليات المقاومة الفلسطينية تارة أو بأن التواريخ التي قطعتها على نفسها ليست مقدسة تارة أخرى [1]

إيجابيات اتفاقية أوسلو :

إن الاتفاقية برغم كل ما بها من سلبيات وقصور إلا أنها تعد شهادة ميلاد لدولة فلسطينية واقعية وليست أوهاما أو سرابا ، كما تعد تجاوزا للأفكار والرؤى الإسرائيلية التي عبَّرت عنها رئيسة الوزراء الإسرائيلية الراحلة جولدا مائير في أعقاب حرب ١٩٦٧ ، ومناحم بيجن عام ١٩٧٧ بأنه لا يوجد شيء اسمه قضية فلسطينية أو شعب فلسطيني أو أرض فلسطين ، وبالتالي فإنه لا توجد أراض محتلة إنما هي أرض محررة ، وما القضية الفلسطينية إلا قضية لاجئين ، وهي قضية إنسانية لا سياسية .

ورغم كل سلبيات اتفاقيات أوسلو إلا أن قيام السلطة الفلسطينية يشكل أول اختراق للعمق الإستراتيجي الإسرائيلي، إذ توجد كتلة بشرية ضخمة (مليونا فلسطيني في الأرض المحتلة بعد عام ١٩٦٧، ومليون في الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٤٨) لها مؤسساتها وإرادتها وطموحاتها. وهذا يعني انكماش إسرائيل جغرافيا إلى حدود ما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وتقدم منظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني لإقامة السلطة الوطنية على الأرض التي تجلو منها قوات الاحتلال الإسرائيلي .

إن ياسر عرفات قد أكد بقبوله لتلك الاتفاقية – التي لم تَرْقَ إلى مستوى الطموحات والآمال الفلسطينية – على أنه مناور ماهر بقدر ما هو مقاتل عنيد ، فأخذ أقصى ما يمكن أن يناله من بين فكي خصم شرس في ظل ظروف صعبة نابعة من موقف لفلسطيني غير مرحب به في كثير من الأوساط العربية نتيجة

([1]) لمزيد من التفاصيل حول العقبات التي واجهتها المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية راجع الفصل العاشر " عقبات في رحلة المفاوضات " من كتاب السفير صلاح عابدين " حرب السلام " .

لموقف المنظمة المتعاطف مع الرئيس السابق صدام حسين في قضية احتلال العراق للكويت .. بالإضافة إلى كون فلسطين ذاتها تعد عضوا ضعيفا في أمة عربية غير متماسكة بعد أن مزقتها حرب الخليج . ناهيك عن تمزق الجبهة الداخلية الفلسطينية بين المؤيدين للاتفاقية ومعارضين لها .

لقد حصل عرفات على ما يمكن أن يناله ولم يتخل في النفس الوقت عن أهداف وأمال شعبه البعيدة ، وإنما أجلها إلى مرحلة مقبلة يكون قد رسَّخ أقدامه خلالها على واقع جديد لابد وأن تخلقه تداعيات وتطورات تنفيذ الاتفاقية التي تضع أقدامه على التراب الفلسطيني .

أما الرافضون للاتفاقية فإما أنهم لا يحسون بآلام الشعب الفلسطيني فهم يعيشون في أرض المهجر في ترف ونعيم أو على الأقل في سلام وأمن ، أو لأنهم يعملون لحساب جهات غير فلسطينية مضحين بالمصلحة الوطنية في سبيل أجندة خارجية (سورية / إيرانية) ، أو لإيمانه بأيديولوجيا مثالية غير واقعية مفادها أن أرض فلسطين كلها وقف إسلامي والتفريط في أي شبر منه خيانة لله ورسوله . كما أن اليهود أعداء لله ورسله وقتالهم واجب ديني والصلح معهم محرم شرعا .

وعلى الرغم من المكاسب التي حققتها الاتفاقية إلا أن جبهة الرفض بدلا من العمل على ترسيخ هذه المكاسب والتنسيق مع منظمة التحرير للوصول إلى ما يخدم القضايا الوطنية راحت بدعم من قوى خارجية تثير القلاقل وتضع العراقيل في سبيل إتمام الاتفاق .

ففي فبراير/ مارس ١٩٩٦ أقدمت حركة المقاومة الإسلامية حماس على تنفذ سلسلة من الهجمات الفدائية أسفرت عن مقتل ٥٧ إسرائيليا .مما أعطى إسرائيل المبرر لوقف تنفيذ بقية الاتفاق ، وشن حروبا عسكرية ، واقتصادية على الشعب الفلسطيني البائس .

وبحلول عام ألفين توقفت تماماً عملية السلام، واشتعلت انتفاضة الأقصى ودخل الفلسطينيون والإسرائيليون في حلقة دامية من أعمال العنف المتبادلة .

وفي ديسمبر ٢٠٠١، وعقب وقوع سلسلة من الهجمات الفدائية الفلسطينية، قامت الحكومة الإسرائيلية بقيادة آرييل شارون، خصم عرفات القديم واللدود، بفرض

حصار عسكري علي عرفات داخل مقره بمدينة رام الله بالضفة الغربيـــة. واتهـــم شارون عرفات بالمسئولية عن الهجمات الانتحارية .

وأعادت إسرائيل احتلال أغلب مدن وقرى الضفة الغربية، وبعد ضغوط دوليـــة، تعهد شارون بعدم استهداف عرفات أثناء تنفيذ العمليات العسكرية الإسرائيلية فـــي الأراضي الفلسطينية التي قالت حكومة شارون إنها تهدف "للقـــضاء علـــى البنيـــة التحتية للإرهاب"، بينما وصفها الفلسطينيون بأنها "جرائم حرب" و"إرهاب دولة".

لكن التهديدات استمرت من قِبَل بعض المسئولين الإسرائيليين لعرفـــات بإبعـــاده وحتى بقتله .

وكان رد فعل عرفات على الحصار الإسرائيلي إعلانه أنه "يتوق للـــشهادة التـــي سبقته إليها أعداد كبيرة من أبناء شعبه".

قمة صانعي السلام في شرم الشيخ

شهدت شرم الشيخ العديد من القمم السياسية الهامة والتي يـــدعو إليهـــا الـــرئيس مبارك بهدف تحقيق السلام الدائم في منطقة الشرق الأوسط وإنهاء الصراع العربي ـــ الإسرائيلي, خاصة القضية الفلسطينية, فكان من بينها قمة صانعي السلام, والتي عقدت في مارس ١٩٩٦ بمشاركة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون والعديد من قادة الدول العربية والعالمية بهدف إنقاذ مسيرة السلام وقتها ودعم الأمن والاستقرار لكل الأطراف ومواجهة العنف والإرهاب الذي أصبح يمثل خطرا علـــي مـــسيرة السلام وأطرافها وانتهـــي المـــؤتمر إلـــي إدانـــة جميـــع أعمـــال " الإرهـــاب " ودعم الاتفاقات الإسرائيلية ـــ الفلسطينية, ومنع' أعداء السلام' من تـــدمير فرصـــه بالمنطقة. كما شهدت شرم الشيخ أيضا مؤتمر تنفيـــذ اتفـــاق " واي ريفـــر " فـــي سبتمبر١٩٩٩, الذي هدف إلي التوقيع علي مذكرة تفاهم بشأن آليات تنفيذ اتفـــاق" واي ريفر" 'وأسهمت فيه الجهود المصرية بشكل كبير وتضمن إعادة الانتشار فـــي ١١% من أراضي الضفة الغربية وتسليمها للفلسطينيين علي مرحلتين وعدم اتخاذ إجراءات أحادية الجانب يمكن أن تغير من وضع الضفة .ومن أجل إنهاء العنـــف وإعادة الأوضاع إلي ما كانت عليه قبل انتفاضة الأقصى استضافت شرم الشيخ في أكتوبر ٢٠٠٠ قمة جمعت بين الرئيس مبارك والرئيس الأمريكي السابق كلينتـــون

والملك عبد الله والرئيس الراحل ياسر عرفات ورئيس وزراء إسرائيل الأسبق باراك والأمين العام للأمم المتحدة السابق كوفي أنان وخافيير سولانا ممثلا للاتحاد الأوروبي, ودعت القمة إلي بذل الجهود لمنع انتشار أعمال العنف وتهيئة المناخ لإعادة المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي علي أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . ومن القمم المهمة التي شهدتها شرم الشيخ أيضا القمة العربية – الأمريكية, التي عقدت في يونيو ٢٠٠٣ ودعا إليها الرئيس مبارك وشارك فيها الرئيس الأمريكي جورج بوش وخمسة زعماء عرب بهدف السعي لدعم السلام وتنفيذ خريطة الطريق . وفي فبراير من عام ٢٠٠٥ عقدت قمة شرم الشيخ الرباعية في محاولة لتحريك الركود الذي أصاب عملية السلام بمشاركة الرئيس مبارك ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس, ورئيس الوزراء الإسرائيلي آريل شارون, والعاهل الأردني الملك عبد الله الثاني, وهدفت القمة إلي وضع الأسس اللازمة لعملية السلام وبدء التفاوض المباشر ووقف كل أشكال العنف والتوتر بالمنطقة وهي الدعوة التي أشاد بها المجتمع الدولي [1]

كامب ديفيد الثانية

شهد منتجع كامب ديفيد اتفاقية كامب ديفيد الأولي عام ١٩٧٨ بين الرئيس أنور السادات ومناحم بيجن, رئيس وزراء إسرائيل, بمشاركة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر, أيضا عقدت فيه اتفاقية كامب ديفيد الثانية في عام ٢٠٠٠ بين الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس وزراء إسرائيل الأسبق إيهود باراك والرئيس الأمريكي بيل كلينتون,وهناك اختلاف كبير بين نتائج الاتفاقيتين الأولي والثانية.
الأولي: انتهت بعد ١٢ يوما من المفاوضات الشاقة بين الوفدين المصري والإسرائيلي بعودة كل الأراضي المصرية التي احتلتها إسرائيل في عام ١٩٦٧ والوصول إلي اتفاق سلام جنب مصر ويلات الحروب ونصت على عدم لجوء الجانبين إلي العنف لحسم النزاعات فيما بينهما, كما فتحت اتفاقية كامب ديفيد الأولي الباب لإبرام باقي الدول العربية اتفاقيات سلام مشابهة مثل لبنان وسوريا والأردن بحيث تؤدي في النهاية إلي اعترافات متبادلة وتعاون اقتصادي في المستقبل. كما تم طرح أفكار مصر لحل القضية الفلسطينية,وكانت تتضمن

([1]) محمود مكاوي " شرم الشيخ.. مدينة الحرب والسلام " جريدة الأهرام بتاريخ ٧/١٠ / ٢٠٠٧

الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الضفة وغزة خلال ٥ سنوات بمفاوضات مباشرة تشارك فيها مصر وإسرائيل والأردن وممثلون عن الشعب الفلسطيني, ومنح الحكم الذاتي للفلسطينيين وهو ما جري التفاوض عليه في أوسلو ١٩٩٣ ، وفي كامب ديفيد الثانية عام ٢٠٠٠, وهو ما أظهر بعد نظر الرئيس السادات .

أما في كامب ديفيد الثانية فقد كان الفشل يطاردها بسبب عدم الإعداد, بالإضافة إلي أن ما طرحه باراك وكلينتون لم يكن من الممكن أن يقبل به الفلسطينيون. فقد حاول كلينتون في اجتماعات كامب ديفيد تجميد التفاوض علي وضع مدينة القدس إلي مرحلة مقبلة من المفاوضات, ثم اقترح جعل إحدى ضواحي مدينة القدس,عاصمة لدولة فلسطينية, أما خلف ما هو معلن فكان هو تفتيت ساحة الحرم, التي تشمل المسجد الأقصى وقبة الصخرة والباحة الواقعة بينهما بتطبيق نموذج الفاتيكان عليها بحيث تصبح الأماكن الإسلامية فوق الأرض فقط تابعة لجهات إسلامية أما ما تحت ساحة الحرم فهو تحت السيادة الإسرائيلية وفقا للادعاءات الإسرائيلية بوجود أطلال هيكل سليمان أسفلها, أما المواقع المسيحية مثل كنيسة القيامة وما حولها فتتبع هيئة الكنائس العالمية. مما أدي إلي فشل الاتفاقية. [1]

خارطة الطريق

خارطة الطريق هو الاسم الذي تعرف به خطة السلام في الشرق الأوسط التي أعدتها عام ٢٠٠٢ ما تعرف باللجنة الرباعية والتي تضم كلا من الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا .

وتدعو "خارطة الطريق" إلى البدء بمحادثات للتوصل إلى تسوية سلمية نهائية – على ثلاث مراحل– للوصول إلى إقامة دولة فلسطينية بحلول العام ٢٠٠٥.

كما سينهي الاتفاق الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، على أساس مؤتمر مدريد، ومبدأ الأرض مقابل السلام، وقرارات مجلس الأمن الدولي ٣٣٨ و٢٤٢ و١٣٩٧، والاتفاقيات السابقة التي تم التوصل إليها بين الطرفين، والمبادرة العربية التي عرضها الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي التي وافقت عليها القمة العربية.

([1]) نبيل السجيني " كامب ديفيد.. منتجع الاتفاقيات " جريدة الأهرام ٧/ ١٠/ ٢٠٠٧

وفيما يلي أهم مبادئ الخطة الأمريكية :

المرحلة (أ) : من أكتوبر ٢٠٠٢ : مايو ٢٠٠٣ - الانتخابات

* تعيين حكومة فلسطينية جديدة، وخلق منصب رئيس حكومة فلسطينية، يمتلك الصلاحيات، بما في ذلك ما يتعلق بإجراء التغييرات الدستورية المطلوبة.

* تنشر القيادة الفلسطينية بيانا تعترف فيه بشكل لا يقبل التأويل، بحق إسرائيل في العيش بسلام وأمن، وتدعو فوراً إلى وقف الانتفاضة المسلحة، وكل النشاطات العنيفة ضد الإسرائيليين في كل مكان. وتتوقف كل المؤسسات الفلسطينية عن التحريض ضد إسرائيل.

* يتم توحيد قوات الأمن الفلسطينية في ثلاثة تنظيمات، تخضع لإمرة وزير داخلية مخول الصلاحيات.

* توقف إسرائيل كل الأعمال، التي تمس بالثقة، بما في ذلك الهجمات على المناطق المدنية، ومصادرة وهدم أملاك ومنازل الفلسطينيين وطردهم، سواء كان ذلك كخطوات عقابية أو لأغراض البناء الإسرائيلية.

* تستأنف الحكومة الإسرائيلية، فورا، التحويلات الشهرية لأموال الضرائب، بناء على جهاز رقابة وشفافية يتفق عليهما، وتحول إسرائيل إلى وزارة المالية الفلسطينية كل الأموال المستحقة عليها حتى نهاية ديسمبر ٢٠٠٢، بناء على جدول زمني يتم تحديده.

* تعمل الدول العربية بإصرار من أجل وقف التمويل الشخصي والشعبي للتنظيمات "المتطرفة"، وتقوم بتحويل دعمها للفلسطينيين عبر وزارة المالية الفلسطينية.

* تقوم إسرائيل بتفكيك البؤر الاستيطانية التي أقيمت منذ إقامة الحكومة الحالية، خلافا لخطوطها العريضة.

ثانيا: يناير – مايو ٢٠٠٣

* كلما تقدم التعاون الأمني، ينسحب الجيش الإسرائيلي تدريجيا من المناطق التي احتلها منذ ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠. ويتم استكمال الانسحاب قبل الانتخابات الفلسطينية. ويتم نشر قوات الأمن الفلسطينية في المناطق التي سيخليها الجيش الإسرائيلي.

• تجمد حكومة إسرائيل كل أعمال الاستيطان بناء على تقرير ميتشيل، بما في ذلك ما يتعلق بالزيادة السكانية الطبيعية في المستوطنات.

• يجري الفلسطينيون انتخابات حرة، مفتوحة ونزيهة للمجلس التشريعي.

• الدعم الإقليمي: بعد استكمال الانسحاب الإسرائيلي إلى خطوط ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، تعيد مصر والأردن سفيريها إلى إسرائيل.

المرحلة (ب): يونيو ٢٠٠٣: ديسمبر ٢٠٠٣

تبدأ المرحلة (ب) بعد الانتخابات الفلسطينية وتنتهي مع الإقامة المحتملة لدولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة حتى نهاية عام ٢٠٠٣.

• تعقد اللجنة الرباعية مؤتمرا دوليا، بموافقة الأطراف المعنية، فور انتهاء الانتخابات الفلسطينية بنجاح، في سبيل دعم إعادة البناء الاقتصادي الفلسطيني، وبدء مفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين، حول إمكانية إقامة دولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة.

• يكون هذا اللقاء شاملا، بهدف تحقيق السلام الشامل في الشرق الأوسط (بما في ذلك بين إسرائيل وسوريا ولبنان)، ويعتمد على المبادئ التي تم عرضها في مقدمة هذه الوثيقة.

• تستأنف العلاقات بين العرب وإسرائيل كما كانت عليه قبل الانتفاضة (كإقامة ممثليات تجارية).

• تستأنف "المحادثات متعددة الأطراف" (حول مسائل المياه وجودة البيئة والتطوير الاقتصادي واللاجئين ومراقبة الأسلحة الإقليمية).

المرحلة ج: ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥ – الدولة

تعقد اللجنة الرباعية بموافقة الأطراف، في مطلع عام ٢٠٠٤، مؤتمراً دوليا، يتبنى الاتفاق الخاص بإقامة دولة ذات حدود مؤقتة، وتبدأ المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين، حول الاتفاق الدائم والنهائي والمتكامل، الذي سيتم تحقيقه في عام

٢٠٠٥، بما في ذلك الاتفاق على الحدود والقدس ومسألة اللاجئين والمستوطنات، ودعم التقدم نحو الاتفاق الشامل في الشرق الأوسط بين إسرائيل ولبنان وسوريا الذي سيستكمل بأسرع ما يمكن.

* تحصل الدول العربية على علاقات طبيعية مع إسرائيل، وتحصل كل دول المنطقة على الأمن، بناء على المبادرة العربية التي أقرتها قمة بيروت. (١)

خطة شارون للانسحاب أحادي الجانب من غزة

رفضت إسرائيل منذ اللحظة الأولى خطة خارطة الطريق، واعتبرت عند الكشف عن هذه الخطة أن قيام دولة فلسطينية عام ٢٠٠٥ ضرب من المستحيل.

وحتى تتفادى إسرائيل الغضب الدولي أعلنت في النهاية موافقتها على الخطة شفهيا وذلك بعدما أدخلت عليها عشرات التعديلات، وحصلت على ضمانات أميركية بتبني التحفظات الإسرائيلية على المسودة الأخيرة من نص الخطة.

ورغم كل ذلك ظل شارون يلمح إلى أن لديه خطة سياسية كشف عن مضمونها صراحة خلال لقائه الرئيس الأميركي جورج بوش في أبريل ٢٠٠٤. وقد بارك بوش هذه الخطة التي أطلق عليها شارون اسم خطة الانسحاب أحادي الجانب وتعرف أيضا باسم خطة فك الارتباط، في حين انتقدتها السلطة الفلسطينية والدول العربية وأعضاء اللجنة الرباعية الذين اعتبروها إحدى حيل شارون للالتفاف على خطة السلام التي أقرها المجتمع الدولي.

وفيما يلي أهم ما جاء في وثيقة "فك الارتباط":

تلتزم إسرائيل بعملية السلام وتطمح للوصول إلى تسوية متفق عليها على أساس مبدأ دولتين لشعبين: دولة إسرائيل كدولة الشعب اليهودي، ودولة فلسطينية للشعب الفلسطيني، وذلك كجزء من تحقيق رؤية الرئيس بوش.

---

(١) إسلام أون لاين.نت/٢٥-١٠-٢٠٠٢

تؤمن إسرائيل بأن عليها العمل لتحسين الواقع الحالي، وقد استنتجت أنه لا يوجد هناك شريك فلسطيني يمكن التقدم معه بعملية سلام متبادلة. وفي ضوء ذلك بلورت خطة "فك الارتباط" الأحادية الجانب والتي تستند إلى العبارات التالية :

أ. الجمود السياسي المتجسد بالوضع الحالي مُضّر. ومن أجل الخروج من هذا الجمود على إسرائيل أن تبادر بخطوة غير مشروطة بتعاون من قبل الجانب الفلسطيني.

ب. الخطة ستؤدي إلى واقع أمني أفضل، على الأقل في المدى البعيد.

ج. في كل تسوية دائمة مستقبلية لن يكون هناك استيطان إسرائيلي في قطاع غزة. بالمقابل من الواضح أنه ستبقى في الضفة الغربية مناطق ستكون بمثابة جزء من دولة إسرائيل، وضمنها مستوطنات مدنية ومناطق أمنية وأماكن سيكون لإسرائيل فيها مصالح أخرى.

د. الانسحاب من قطاع غزة ومن شمال الضفة الغربية (أربع مستوطنات وقواعد عسكرية) سيقلل من مستوى الاحتكاك مع السكان الفلسطينيين، **ويكمن فيه جهد؟؟** لتحسين نسيج الحياة الفلسطينية والاقتصاد الفلسطيني.

هـ. تأمل إسرائيل أن يحسن الفلسطينيون استغلال خطة فك الارتباط من أجل الخروج من دائرة العنف والاندماج من جديد في عملية الحوار.

و. خطة فك الارتباط ستلغي صحة الادعاءات ضد إسرائيل بخصوص مسؤوليتها عن الفلسطينيين في قطاع غزة.

ز. عملية "فك الارتباط" لا تنتقص من قيمة الاتفاقيات القائمة بين إسرائيل والفلسطينيين. وسيتم مواصلة العمل بالتسويات القائمة وذات الصلة. وعندما تظهر في الجانب الفلسطيني دلائل تؤكد استعداده ومقدرته على محاربة الإرهاب وتنفيذ إصلاحات حسب خطة خارطة الطريق سيكون بالإمكان العودة إلى طريق المفاوضات والحوار.

تتوقع إسرائيل دعماً دولياً واسعاً لعملية فك الانفصال. يعتبر هذا الدعم حيوياً في سبيل دفع الفلسطينيين للقيام بالمهام الملقاة على عاتقهم بشكل فعلي، في مجالات محاربة الإرهاب وتنفيذ الإصلاحات حسب خارطة الطريق، وعندها يمكن العودة إلى مسار المفاوضات. (١)

مؤتمر " أنابوليس "

دعا الرئيس الأمريكي جورج بوش في شهر يوليو ٢٠٠٧ إلى عقد مؤتمر في مدينة أنابوليس عاصمة ولاية ميريلاند لإنهاء حالة الجمود في عملية السلام في الشرق الأوسط .

هدف أمريكا من عقد المؤتمر

في مؤتمر صحفي، حدد ستيف هادلي إستراتيجية تتكون من ثلاثة أهداف تسعي الولايات المتحدة للخروج بها من مؤتمر أنابوليس أولها إعلان الوفدين الفلسطيني والإسرائيلي عزمهما بدء مفاوضات لإنشاء الدولة الفلسطينية, والوصول إلي السلام, وهي مفاوضات ستكون مباشرة وثنائية.

والهدف الثاني يتمثل في إعلان تعهد فلسطيني – إسرائيلي بتنفيذ خطة خريطة الطريق وصولا إلي وضع يمكن فيه للمفاوضات التقدم مع مواصلة الطرفين تنفيذ التزاماتهما الواردة في هذه الخطة الدولية.

والهدف الثالث إصدار تقرير حول الخطوات التي اتخذها سلام فياض رئيس الوزراء الفلسطيني, والبرنامج الذي وضعه لبناء مؤسسات حكومية وسياسية واقتصادية فلسطينية. (٢)

وكانت هذه قائمة الذين دعتهم الحكومة الأمريكية للمشاركين في مؤتمر أنابوليس وفقا لما أعلنته الحكومة الأمريكية , والقائمة تبدأ بالولايات المتحدة ثم إسرائيل فالسلطة الفلسطينية, ثم تتخذ ترتيبا هجائيا وفقا للحروف الإنجليزية: الجزائر الأمين العام للجامعة العربية البحرين البرازيل كندا الصين مصر المفوضية الأوروبية

([1]) الجزيرة نت .

([2])جريدة الأخبار بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي الرئاسة البرتغالية للاتحاد الأوروبي فرنسا ألمانيا اليونان الهند إندونيسيا العراق إيطاليا اليابان الأردن لبنان ماليزيا موريتانيا المغرب النرويج عمان باكستان بولندا قطر روسيا السعودية السنغال سلوفانيا جنوب أفريقيا أسبانيا السودان السويد سوريا مبعوث اللجنة الرباعية توني بليـر تـونس تركيـا الإمارات المملكة المتحدة الأمين العام للأمم المتحدة اليمن. كما يشارك كمـراقبين: صندوق النقد والبنك الدوليان .[1]

موقف إسرائيل من المؤتمر

وكان رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت قد كشف عن خططه بشأن مؤتمر السلام في أنابوليس بالولايات المتحدة حيث أكد أنه سيكون اجتماعا ليـوم واحـد لإطلاق المفاوضات مع الفلسطينيين .

وأعرب أولمرت لأعضاء لجنة الشئون الخارجية والدفاع بالكنيست الإسـرائيلي، عن ثقته في إمكانية التوصل إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين، ونقـل عنـه أحـد المشاركين في الاجتماع قوله : " ليس من المستحيل ردم هوة الخلاف". وأكد أنـه سيسعى لانتزاع اعتراف من الفلسطينيين بأن "إسرائيل دولة للشعب اليهودي" . [2]

كما أكد أولمرت أن إبقاء الوضع القائم في النزاع الإسرائيلي الفلسطيني على حاله يعتبر خطيرا على إسرائيل ، وقال : " إنه يخشى سيطرة حمـاس علـى الـضفة الغربية بعد سيطرتها على قطاع غزة ، وأضاف في تصريحات نـشرتها صـحيفة هاآرتس الإسرائيلية :" أن ضعف أو زوال التيار الفلسطيني المعتدل الذي يقوده أبو مازن هو بمثابة كارثة بالنسبة لإسرائيل [3]

وفي العاصمة التركية أنقرة وعد الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز بـأن تـسعى إسرائيل إلى تحقيق نتائج ملموسة في مؤتمر أنابوليس . وقال في مؤتمر صـحافي مشترك مع الرئيس التركي عبد الله جول إن " إسـرائيل قـررت جعـل مـؤتمر أنابوليس ناجحا بهدف إنهاء الصراع وتحقيق السلام مع الفلسطينيين ومع أنفسنا".

---

(1)جريدة الأهرام بتاريخ ٢٢ / ١١ / ٢٠٠٧

(2) BBC بالعربية بتاريخ ١٣ / ١١ / ٢٠٠٧

(3) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٧ .

وأضاف بيريز أن إحلال السلام يستغرق وقتا لكنه يعتقد بإمكانية تحقيق ذلك مع الفلسطينيين الآن، وأشار إلى أن كل الأطراف المعنية تتفق على ضـــرورة عــدم إضاعة الفرصة الحالية. [1]

واعتبرت وزيرة الخارجية الإسرائيلية، تسيبي ليفني أن مؤتمر " أنابوليس" المقبل والمتعلق بتفعيل عملية السلام في الشرق الأوسط، يقدم فرصة مهمة لإحراز تقــدم، مكررة دعمها لخارطة الطريق المدعومة من البيت الأبــيض. وقالــت ليفنـــي، إن خارطة الطريق "هي الخطة الوحيدة" الموافق عليها.

وأعرب وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك عن شكوكه إزاء جهود السلام وسط هيمنة وسيطرة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" على قطاع غزّة . وقال باراك إنه لا يمكن للدولة العبرية تطبيق أي اتفاقية سلام ما لم يقم رئيس الـسلطة الوطنيــة الفلسطينية محمود عباس بنزع سلاح "حماس" في غزة.

وكان باراك قد توعد ولأسابيع، بأن أي توغل عسكري إسرائيل واسع في غــزة، ما هو إلا مسألة وقت، إلا أنه عاد وأكد أنه لا يريد تعــريض مــؤتمر أنــابوليس للخطر.[2]

موقف السلطة الفلسطينية من المؤتمر

من جهته اعتبر رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، محمود عباس، خلال مــؤتمر صحفي مشترك مع وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس فـــي رام الله، أن الجهود الأمريكية الأخيرة التي بذلت في الشرق الأوسط تحضيراً لمؤتمر أنابوليس، أدت بالفعل إلى حدوث اختراق على هذا الصعيد، معرباً عن ثقته بوجود ما قال إنها "فرصة حقيقة للسلام ." .

وقال عباس إنه : "يتفق مع أولمرت حول وجود فرصة حقيقة لتحقيــق الــسلام" مشيراً إلى أن مؤتمر أنابوليس سيتطرق إلى كافة القضايا الرئيسية العالقة منذ اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣.

---

(1) BBC بالعربية بتاريخ ١٣ / ١١ / ٢٠٠٧
(2) CNN ١٦ / ١١ / ٢٠٠٧

وألمح عباس إلى أن هناك حلولا لكل القضايا العالقة بما فيها القدس والوضع النهائي واللاجئين، غير أنه رفض الإفصاح عن ماهية هذه الحلول، باعتبار أن ذلك "سابق لأوانه" ويجب أن يتم إعلانه في ختام المؤتمر.

وطالب عباس الإسرائيليين بتطبيق التزامات المرحلة الأولى من خريطة الطريق، بما في ذلك "وقف الاستيطان والاعتداءات وتدمير المؤسسات وإزالة الحواجز " إلى جانب السماح بإعادة افتتاح المكاتب الفلسطينية في القدس والإفراج عن المعتقلين.

بالمقابل، تعهد رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية بأن ينفذ التعهدات الخاصة بالطرف الفلسطيني، وفي مقدمتها توحيد السلاح وتطبيق القانون على كامل أراضي السلطة، على أن يفضي ذلك إلى إنشاء دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية. [1]

موقف حماس والجهاد الإسلامي

وفي حين رحب رئيس السلطة الوطنية محمود عباس بالمؤتمر فإن قيادات حركة المقاومة الإسلامية "حماس" حذرت عباس من السقوط في "فخ" تقديم تنازلات لإسرائيل في مؤتمر أنابوليس ، ودعا رئيس الحكومة الفلسطينية المقالة إسماعيل هنية أمام آلاف المصلين خلال صلاة عيد الفطر في غزة عباس إلى عدم " الوقوع في شرك المؤتمرات الخداعة التي يراد من خلالها تصفية القضية الفلسطينية " وأضاف هنية : " لا تمنحوا دولة الاحتلال حق التطبيع معكم في ظل احتلالها للأرض وتشريدها للملايين من أبناء شعبنا. "

وشدد هنية على ضرورة وحدة الوطن وإعادة التلاحم بين الضفة الغربية وقطاع غزة ووحدة النظام السياسي الفلسطيني أي أن تكون هناك سلطة واحدة وحكومة واحدة ونقلت اسوشيتد برس عن هنية قوله : " إننا ندعو مباشرة أشقاءنا العرب وخاصة المملكة العربية السعودية ومصر ونطلب منهم إعادة النظر في أي قرار بالمشاركة في هذا المؤتمر ".

([1]) نفسه .

ومن جانبه حذر رئيس المكتب السياسي للحركة خالد مشعل من الوقوع في شرك المؤتمر متهما إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية بمحاولة استغلال انشقاق الصف الفلسطيني لانتزاع اتفاق .

وقال مشعل خلال حديث لإذاعة حماس أن عباس وحلفاءه سيكتشفون أنه لا يلاحقون سوي سراب [1]

والجدير بالذكر أن حماس أوضحت أن قرار الدول العربية المشاركة في الاجتماع " لا ينتقص من مساندة الدول العربية لحركة حماس، ولا يقلل من وقوف العرب إلى جانب الحقوق الفلسطينية ". [2]

ووصف الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي رمضان شلح مؤتمر أنابوليس بأنه مصلحة أميركية وإسرائيلية .

وقال للجزيرة إن المؤتمر يستهدف وضع الخطوط العريضة لتسوية تتجاهل حدود الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وقضية القدس وتحرر إسرائيل من أي التزام بقضية اللاجئين .

وأضاف شلح أن الأردن سيكون له دور أساسي في التسوية التي يرمي مؤتمر أنابوليس لإرساء أسسها سواء بتصفية القضية الفلسطينية على حد قوله أو تقاسم دور أمني ووظيفي مع ما وصفه ببقايا السلطة الفلسطينية. [3]

كما عقدت الفصائل الفلسطينية المعارضة لمؤتمر أنابوليس مؤتمرات وفعاليات مناهضة لهذا المؤتمر ، وعقدت الجبهتان الشعبية والديمقراطية لتحرير فلسطين والمبادرة الوطنية وشبكة المنظمات الأهلية وعدد من النقابات المهنية مؤتمرا شعبيا مناهضا لأنابوليس في غزة ولم تنجح الفصائل الفلسطينية المعارضة لمؤتمر أنابوليس في عقد مؤتمر بسبب التباين بينهم [4]

---

(1) CNN ١٤/ ١٠ / ٢٠٠٧

(2) العربية نت بتاريخ ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٧

(3) الجزيرة نت ١١ / ١١ / ٢٠٠٧

(4) جريدة القبس بتاريخ ٢٦ / ١١ / ٢٠٠٧

موقف سوريا من المؤتمر

صرح بشار الأسد وأحمدي نجاد قبل المؤتمر بيومين بأن " المؤتمر محكوم عليه بالفشل " [1]

وصرح وليد المعلم وزير الخارجية السورية بـأن قـضية مرتفعـات الجـولان السورية المحتلة ليست قابلة للتفاوض, وأكد أن سوريا لن تعترف بإسـرائيل قبـل انسحابها من جميع الأراضي العربية المحتلة في يونيو١٩٦٧, وأن حالة الحرب بين إسرائيل وسوريا لا تزال قائمة. وأضاف أن نقطة الانطلاق واضحة علي المـسار السوري ــ الإسرائيلي, مشيرا إلي أن سوريا لا يمكن أن تعود إلي نقطة الصفر في المفاوضات, بعد أن أنجزت٨٥% من عناصر اتفاق السلام مع إسرائيل في مؤتمر مدريد . [2]

كما صرح وليد المعلم بأن بلاده ستشارك في أنـابوليس إذا وافقـت واشـنطن صراحة على إدراج قضية الجولان المحتلة في جدول الأعمال مشيرا إلى أن رايس وزيرة الخارجية الأمريكية وعدت برد إيجابي دمشق ، ودمـشق تنتظـر رسـالة رسمية . [3]

وكشف ستيف هادلي مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي – قبل بدء المؤتمر بساعات – عن أن قضية هضبة الجولان السورية ليست مدرجة علي جدول أعمال المؤتمر ــ علي عكس ما تردد من قبل ــ إلا أنه ستكون أمام جميـع المـشاركين الفرصة للحديث عما يريدون من قضايا .[4]

وبرغم تصريح بشار الأسد بأن المؤتمر محكوم عليه بالفشل ، وبرغم أن الإدارة الأمريكية رفضت إدراج قضية الجولان على جدول الأعمال إلا أن وفـدا سـوريا برئاسة فيصل المقداد نائب وزير الخارجية السوري قد شارك في المؤتمر !!

([1]) قناة الجزيرة ٢٥ / ١١ / ٢٠٠٧
([2])جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧
([3])جريدة الأخبار بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧
([4]) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

موقف وزراء الخارجية العرب من المؤتمر

قرر وزراء الخارجية العرب قبول الدعوة لحضور مؤتمر أنابوليس, الذي دعت الولايات المتحدة لعقده يوم ٢٧ / ١١/ ٢٠٠٧ . وأوضح بيان أصدرته لجنة المبادرة العربية في ختام اجتماعاتها بالقاهرة يوم ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٧ أن المشاركة العربية في أنابوليس ستتم علي المستوي الوزاري, للبحث في عملية السلام, وذلك في إطار المرجعيات المتمثلة في قرارات الشرعية الدولية, وخريطة الطريق, ومبادرة السلام العربية في ختام الاجتماعات .

وأوضح عمرو موسي أمين عام الجامعة العربية في مؤتمر صحفي مشترك مع الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي أنه لن يكون هناك اتفاق عربي إسرائيلي في أنابوليس, بل إطلاق لعمليه سلام, مؤكدا أنه لن يكون هناك تطبيع مجاني مع إسرائيل وأوضح موسى أن الموقف العربي من مسألة التطبيع تحكمه المبادرة العربية للسلام وأن وجود إسرائيل في المؤتمر لن يغير شيئا, ولن يكون هناك أي التزام عربي إلا مقابل التزام من الطرف الآخر, وتحدث عن وجود أفكار بعقد اجتماع ثان بموسكو بعد اجتماع أنابوليس بشهرين أو ثلاثة لمراجعة ما تم انجازه.[1]

وشارك في اجتماع الجامعة العربية وزراء خارجية وممثلي الدول الـ١٦ التي وجهت إليها الولايات المتحدة دعوات رسمية وهي : الأردن والإمارات والبحرين وتونس والجزائر والسعودية والسودان وسوريا وسلطنة عمان وفلسطين وقطر ولبنان ومصر والمغرب وموريتانيا واليمن.[2]

الموقف المصري من المؤتمر

الموقف المصري الذي تم إبلاغه بوضوح تام إلي الإدارة الأمريكية هو أن المؤتمر يجب أن يأخذ في اعتباره كأحد مراجع الاستناد أسس عملية السلام وهي

([1]) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٧ .

([2]) العربية نت ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٧

عملية شاملة على مختلف الجبهات ومع كل الأطراف التي لها نزاع مع إسرائيل . وبالتالي فإن المرجعية هنا يجب أن تظل كما كانت دائما للقرارات الدولية خاصة ٢٤٢ و٣٣٨ ومرجعية مؤتمر مدريد والمبادرة العربية. بناء علي ما سبق فإن خريطة الطريق وفقا للموقف المصري تعني فقط بالمسار الفلسطيني وليس مرجعية للسلام الشامل باعتبارها خطة تنفيذية وبالتالي فهي لا ترقى إلى مستوى المرجعية السياسية .

ما ينطبق علي المسار الفلسطيني يجب أن ينطبق أيضا علي المسار السوري. ويجب مشاركة سوريا ودعوتها بصيغة مناسبة وبما يعكس أن المؤتمر يعقد في إطار السعي للحل الشامل والرغبة في فتح الحوار مع مختلف الأطراف العربية حتى ولو كان التركيز على القضية الفلسطينية . التقويم النهائي للمؤتمر والحكم بنجاحه أو فشله سيكون لاحقا وليس سابقا عليه. وعوامل هذا التقويم ستستند إلى ما يصدر عن المؤتمر من مستندات وبيانات مهمة لأن الهدف ليس مجرد مفاوضات أو أقامة احتفالية . (١)

إن النشاط الدبلوماسي العربي المكثف الذي تقوده مصر له عنوان واحد هو ماذا سيفعل العرب في مؤتمر أنابوليس للسلام يوم الثلاثاء المقبل ؟

ومن الإنصاف القول: إن القيادات العربية المهتمة بعمليه السلام حاولت قدر جهدها أن تنسق المواقف فيما بينها وأن تحاول الوصول إلى أرضية مشتركة للتعامل مع التحدي الذي يمثله المؤتمر, خاصة أن الإدارة الأمريكية تسعي إلي الخروج بنتائج محددة في نهايته.

من هنا فان القمة الثلاثية التي استضافتها شرم الشيخ يوم (٢٠٠٧/١١/٢٢) , وشارك فيها الرئيس حسني مبارك والعاهل الأردني عبد الله الثاني والرئيس الفلسطيني محمود عباس, حرصت علي دعم المفاوض الفلسطيني من أجل إطلاق مفاوضات جادة بأجل زمني محدد علي مسار السلام الفلسطيني الإسرائيلي وقد سبق هذه القمة لقاءات عديدة للرئيس مبارك, استهدفت تأكيد ضرورة أن يذهب الوفد الفلسطيني إلي المؤتمر وهو مزود بدعم ومسانده وتشجيع من العرب جميعا.

---

(١) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٧

كما أن قمة شرم الشيخ الثلاثية سبقتها قمة رباعية شهدتها القاهرة قبل أسبوعين بين الرئيس مبارك ورؤساء السودان واليمن والعراق, حيث أكد القادة وقوفهم جنبا إلي جنب مع القيادة الفلسطينية التي تخوض معركة السلام حاليا. واستكمالا لهذا النشاط استضافت القاهرة يوم (٢٠٠٧/١١/٢٣) بمقر الجامعة العربية اجتماعات وزراء خارجية دول مبادرة السلام العربية لاتخاذ موقف مشترك بشأن المشاركة العربية في مؤتمر أنابوليس . [١]

ويلخص إبراهيم نافع الموقف الرسمي لمصر من عملية السلام عامة ومؤتمر أنابوليس بصفة خاصة فيقول : " مرت ثلاثون عاما علي مبادرة الرئيس الراحل أنور السادات بزيارة القدس, وهي المبادرة التي أحدثت تغييرا كبيرا في مسيرة الصراع العربي / الإسرائيلي, ولو كانت الدول العربية المعنية ومعها منظمة التحرير الفلسطينية قد اتخذت قرارها بالسير مع السادات فربما تغير وجه الشرق الأوسط بالكامل, ولقد تمكن السادات بعد أقل من عامين من هذه الزيارة من توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل, وبموجبها استعادت مصر كامل ترابها الوطني, وقد تصادف حلول ذكري مرور ثلاثين عاما على المبادرة مع وجود جدل عربي حول الموقف من قمة أنابوليس للسلام .

فالدول العربية المعنية مازالت تجادل في جدوى الاشتراك في هذه القمة ووراءها جيش من المحللين والإعلاميين الذين يشككون في كل شيء نفس الأصوات التي عارضت مبادرة الرئيس السادات ورأتها عديمة الجدوى , تنظر إلي القمة الجديدة باعتبارها نوعا من الاستسلام للعدو, وتشكك في كل خطوة علي طريق .

المفاوضات, وتري فيها فخا منصوبا لتصفية القضية الفلسطينية, وفي الوقت نفسه لا تقدم أي بديل لحل القضية, فالرأي عندهم هو رفض كل المبادرات, في حين تواصل إسرائيل تهويد الأرض واستعمارها ومازالت هذه الأصوات تكرر نفس الحجج, وتطرح نفس المبررات لمقاطعة كل جهد تفاوضي في حين أن الحسابات الموضوعية تقول انه لا يوجد حل عسكري للصراع, ومادمنا قد اتفقنا علي هذه

---

(١) رأي الأهرام " توافق العرب شرط نجاحهم في أنابوليس " بتاريخ ٢٣ / ١١/ ٢٠٠٧

النتيجة المنطقية, فان المصلحة الفلسطينية والعربية تقتضي استثمار كــل فرصـــة متاحة للتسوية السياسية, ومحاولة التوصل إلي اتفاق فلسطيني / إسرائيلي أولا ثم, الاهتمام بباقي المسارات الأخرى.

لقد أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس أن اجتماع أنـــابوليس يمثــل فرصـــة تاريخية, وما دامت هذه رؤيته فإنه ينبغي علي الأطراف العربية المختلفة أن تدعمه وتسانده وتقف إلى جواره, وأحسب أن هذا ما تقوم به الدبلوماسية المصرية اليــوم, فما يبذله الرئيس حسني مبارك من جهد, وما تقوم به الدبلوماسية المــصرية مــن تحركات يستهدف دعم الموقف الفلسطيني ومساندته, وتوفير الأسس الكفيلة بإنجاح اجتماع أنابوليس ليفتح الطريق أمام مفاوضات فلسطينية ــ إسرائيلية مباشرة يمكن أن تؤتي ثمارها في غضون العام المقبل. (١)

فعاليات مؤتمر أنابوليس

انطلقت فعاليات مؤتمر أنابوليس في الــسابع والعــشرين مــن نــوفمبر ٢٠٠٧ وحضره ممثلون لـــ ٤٠ دولة منها ١٦ وزير خارجية عربي يمثلــون : الجزائــر والبحرين ومصر والأردن ولبنان وموريتانيا والمغرب وعمان وقطــر والمملكــة العربية السعودية والسودان وسوريا وتونس ودولة الإمــارات العربيــة المتحــدة واليمن. كما شاركت دول إسلامية أخرى في المؤتمر هــي اندونيــسيا وماليزيـــا وباكستان وتركيا.

أكد الرئيس الأمريكي جورج بوش في كلمته الافتتاحية لأعمال المؤتمر أن الوقت قد حان لإحياء مفاوضات السلام الإسرائيلية الفلسطينية المتوقفة منذ فترة طويلـــة ، وتعهد ببذل كل جهد للوصول إلى اتفاق قبل نهاية عــام ٢٠٠٨ مــشيراً إلـــى أن الفلسطينيين والإسرائيليين توصلوا إلى بيان مشترك .

ورأى بوش أن ما أسماه بأمن إسرائيل سيتعزز بإقامة الدولة الفلــسطينية منوهـــا بجهود الرئيس الفلسطيني محمود عباس و رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت لتحقيق تطلعات شعبيهما .

---

(١) إبراهيم نافع جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٧

وكان الرئيس الأمريكي قد أعلن في بداية المؤتمر أن إسرائيل والفلسطينيين اتفقوا اليوم على البدء فورا في المفاوضات الرامية للتوصل إلى معاهدة للسلام لوضع نهاية للصراع الذي دام عشرات السنين .

وتلا بوش من بيان مشترك فلسطيني إسرائيلي مكتوب وقال : " اتفقنا على البدء فورا بنية خالصة في مفاوضات ثنائية بغرض الوصول إلى معاهدة للسلام تسوي جميع القضايا المعلقة بما في ذلك القضايا الأساسية بلا استثناء " وأضاف أن الجانبين اتفقا على العمل على الوصول إلى اتفاق بحلول نهاية عام ٢٠٠٨ . وكان بوش قد اجتمع قبيل بدء المؤتمر مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس إيهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي ،وأعلن الرئيس الأمريكي أن إسرائيل والفلسطينيين اتفقا على تشكيل لجنة توجيه للإشراف على مفاوضات السلام ستعقد أول اجتماع لها في ١٢ ديسمبر القادم في إطار اتفاق توصل إليه أولمرت وعباس .

وقال بوش في الكلمة التي ألقاها عقب تلاوته للبيان وأعقبها مصافحة بين عباس وأولمرت إن " الوقت مناسب والقضية عادلة وأعرف أنه يمكنهم النجاح بالجهود المضنية " .

وكرر بوش قوله أن الهدف من مؤتمر أنابوليس ليس التوصل إلى اتفاق وإنما بدء المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين ..واصفا المهمة التي بدأت هنا في أنابوليس بأنها ستكون شاقة ..وقال : " هذه بداية العملية وليست نهايتها ولا يزال هناك كثير من العمل يتعين أداؤه " .

وحث على الحد من مما أسماه بأنشطة المسلحين و من أنشطة الاستيطان في الضفة الغربية المحتلة وقال إنهما التزامان تعهد الجانبان بتنفيذهما بموجب خطة خارطة الطريق لعام ٢٠٠٣ ..وقال : " عليهم (الزعماء الفلسطينيين) أن يظهروا أن أي دولة فلسطينية ستوجد فرصة لكل مواطنيها وستحكم بالعدل وتفكك البنية الأساسية للإرهاب " حسب قوله .

وأكد بوش على ضرورة أن تظهر إسرائيل دعمها لإنشاء دولة فلسطينية تتمتع بالرخاء والنجاح من خلال إزالة المواقع الاستيطانية المقامة دون ترخيص ووضع

نهاية للتوسع الاستيطاني وإيجاد سبل أخرى تمكن السلطة الفلسطينية من الاضطلاع بمسئولياتها دون تعريض أمن إسرائيل للخطر .

من ناحيته أكد الرئيس الفلسطيني أن المؤتمر فرصة لن تتكرر مرة أخرى للسلام في الشرق الأوسط ..مشددا على ضرورة البدء فورا في مفاوضات شاملة ومعمقة مع الإسرائيليين تتناول جميع القضايا الجوهرية ..وقال : " إنه من المتعين البدء غدا في مفاوضات شاملة ومعمقة بشأن جميع قضايا الوضع النهائي بما في ذلك القدس واللاجئين والحدود والمستوطنات والمياه والأمن وغير ذلك " .

ونوّه الرئيس الفلسطيني بالحضور المتميز والمشاركة الواسعة في المؤتمر ووصفه بأنه يشكل قوة دفع وحماية لعملية السلام بأنه يحمل معاني التشجيع على مضى مفاوضات السلام قدما إلى الأمام وضرورة الوصول إلى حل الدولتين القائم على إنهاء الاحتلال وقيام دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل وحل كافة قضايا الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والعربي الإسرائيلي من كافة جوانبها كخطوة نوعية لابد منها حتى تقام علاقات سلام شامل وطبيعة في المنطقة.

وأوضح أن المساهمة العربية والإسلامية والمشاركة الدولية الواسعة في أعمال المؤتمر تدل على وقوف الدول الشقيقة والصديقة معنا كشعب فلسطين وكقيادة لهذا الشعب في جهودنا لتحقيق السلام وهو دعم لنهجنا الذي يدعو إلى تسوية تاريخية متوازنة تكفل السلام والأمن لدولتنا المستقلة ولإسرائيل ولجميع دول المنطقة . من جانبه تعهد رئيس الوزراء الإسرائيلي في كلمته أمام المؤتمر بالدخول في مفاوضات متواصلة مع الفلسطينيين في مسعى لاستكمال اتفاق للسلام العام القادم ، وقال : إنها ستكون مفاوضات ثنائية مباشرة متواصلة ومستمرة في مسعى لإكمالها خلال عام ٢٠٠٨ .

وعبر أولمرت عن اعتقاده بأن الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني سيتمكنان من الوصول إلى اتفاق يحقق رؤية الرئيس الأمريكي ..دولتان لشعبين ..وقال : إن إسرائيل مستعدة لما وصفه بتسوية مؤلمة من أجل التوصل إلى سلام مع الفلسطينيين.

وأوضح أن المفاوضات مع الفلسطينيين ستنطلق من إسرائيل ومن الأراضي الفلسطينية وستكون ثنائية وأن هذه المفاوضات ستقوم على أساس الاتفاقيات السابقة والقرارات الصادرة عن مجلس الأمن وخارطة الطريق والخطاب الصادر من الرئيس جورج بوش في أبريل ٢٠٠٤ لرئيس الوزراء الإسرائيلي السابق آرييل شارون.

وتعهد أولمرت بالالتزام بكافة الالتزامات الواردة في خارطة الطريق والتي ستنص عليها الاتفاقات التي سيتم التوصل إليها .

وقال : إنه يقدِّر مبادرة السلام العربية وإنه سيتم دوماً الإشارة إليها في المفاوضات مع الفلسطينيين .. مشيراً إلى أن السلام مع مصر والأردن يشكل حجر الأساس للسلام والاستقرار في المنطقة وأن علاقاته الوثيقة مع الرئيس المصري حسني مبارك والعاهل الأردني الملك عبد الله الثاني هي علاقات مهمة للغاية لعملية بناء الثقة والتفاهم مع العالم العربي .

وعقب انتهاء أولمرت من كلمته تصافح مع الرئيس الأمريكي والرئيس الفلسطيني ثم أنهت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس الجلسة ودعت الحضور إلى غداء عمل [1]

جبهة رفض مؤتمر أنابوليس

أثناء انعقاد المؤتمر تظاهر عشرات الآلاف من الفلسطينيين في أنحاء قطاع غزة الذي تسيطر عليه حركة حماس ضد مؤتمر أنابوليس للسلام .

وجرت التظاهرة الرئيسية في مدينة غزة حيث خرجت مسيرة حاشدة تندد بمشاركة الرئيس الفلسطيني محمود عباس في المؤتمر ، وردد المشاركون هتافات مثل " الموت لأميركا وإسرائيل" واتهموا الرئيس عباس بالتآمر.

وخاطب رئيس الحكومة المقالة إسماعيل هنية المتظاهرين في غزة وتوقع فشل المؤتمر وجدد تصريحاته الرافضة لإلقاء حماس السلاح أو التطبيع مع إسرائيل.

([1]) وكالة أنباء الإمارات بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

وفي رام الله بالضفة الغربية استخدمت الشرطة الفلسطينية الهـراوات وأطلقـت الأعيرة النارية في الهواء لتفريق المئات ممن تجمعـوا للتظـاهر ضـد مـؤتمر أنابوليس.

وأفادت الأنباء بأن قوات الأمن حاصرت المتظاهرين ومعظمهـم مـن حـزب التحرير الإسلامي فور خروجهم من مسجد عبد الناصر لبداية المسيرة.

كما وقعت مصادمات بين الشرطة والمتظاهرين في ساحة المنارة وسط رام الله .

وتكرر المشهد في مدينتي نابلس والخليل حيث تصدت الشرطة بقوة للمئات الذين رددوا الهتافات المعارضة لمؤتمر أنابوليس. وأفادت الأنباء بمقتل احد المتظاهرين في مدينة الخليل.

وفي عمان احتج الأردن لدى إيران رسميا على تعرض سفارته في طهران للقذف بالحجارة على يد متظاهرين ضد مؤتمر أنابوليس وطالبها باتخاذ إجـراءات لمنـع تكرار الاعتداءات.

وذكرت وكالة الأنباء الرسمية (بترا) أن وزير الدولة لشئون الإعلام والاتـصال وزير الخارجية بالوكالة ناصر جودة استدعى سفير إيران في عمان محمد الإيراني وأبلغه "استهجان واستنكار الحكومة الأردنية الشديدين" لسلوك المتظاهرين.

ونقلت (بترا) عن السفير الإيراني تأكيده أن "سلطات بلاده سيطرت على الوضع وفرّقت المتظاهرين".

وكان إيرانيون تجمعوا الاثنين أمام مقر السفارة الأردنية فـي طهـران ورددوا عبارات معادية للأطراف المشاركة في المؤتمر.

وتزامن استدعاء السفير الإيراني مع تنظيم النقابات المهنية الأردنية – ١٥ نقابة تضم في الإجمال ١٥٠ ألف منتسب– مهرجان خطابي احتجاجـا علـى مـشاركة المملكة في مؤتمر أنابوليس.[1]

وذكرت وسائل الإعلام الإيرانية أن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجـاد أبلـغ العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز في اتصال هاتفي انـه يأمـل "بـألا

---

[1] BBC بالعربية بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

يسجل اسم السعودية' بين الدول المشاركة في اجتماع أنابوليس.. بينما قال الزعيم الإيراني آية الله علي خامنئي أن مؤتمر أنابوليس مصيره الفشل " (1)

نتائج مؤتمر أنابوليس

أطلق الرئيس الأمريكي جورج بوش مفاوضات التسوية الدائمة من البيت الأبيض في لقاء رعاه بين الرئيس الفلسطيني محمود عباس ورئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت، وهو الثالث بينهما في غضون ٤٨ ساعة، وذلك قبل مغادرتهما عائدين إلى بلديهما.

وذكرت صحيفة "الشرق الأوسط" أن محمود عباس وأولمرت اتفقا على بدء مفاوضات التسوية الدائمة بشكل فعلي في يناير المقبل في ست لجان عمل فرعية، يتعامل كل منها مع أحد الملفات الست وهي القدس واللاجئون والحدود والأمن والمياه والاستيطان، بينما ستعقد لجنة التوجيه المشتركة في ١٢ ديسمبر الأول في القدس المحتلة.

وستلعب الولايات المتحدة دور المتابع وليس الشريك، والحكم خلال الخلافات .

وفي كلمة أوجزت بها نتائج مؤتمر أنابوليس الذي لم تصدر عنه توصيات أو بيانات أو وثائق باسم المشاركين, ذكرت رايس أن الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي اتفقا علي البدء الفوري في تنفيذ خريطة الطريق لتحسن الأوضاع علي الأرض لكليهما ووضع أسس حل الدولتين وقالت إنه خلال المباحثات الثنائية سيناقش الجانبان كل القضايا الجوهرية بما فيها الحدود والأمن واللاجئون والمياه والمستوطنات والقدس. وأكدت أن هذا إنجاز كبير ومهم بالنسبة لهما لأن المفاوضات حول القضايا الجوهرية لم تجر أبدا طيلة ٧ سنوات.(2)

أفادت مصادر إخبارية بأنه تم تعيين الجنرال جيم جونز القائد السابق للقوات الأمريكية في أوروبا والقائد الأسبق لقوات حلف شمال الأطلسي، مراقبا وحكما باسم الولايات المتحدة لتطبيق المرحلة الأولى من خطة "خريطة الطريق".

---

(1) جريدة الأخبار بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

(2) عاصم عبد الخالق وهدى توفيق جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٧

وذكرت صحيفة "الشرق الأوسط" إن مهمة جونز ستكون مراقبة كيفية قيام كل من إسرائيل والسلطة الفلسطينية بتطبيق التزاماتهما في "خريطة الطريق". وفي حالة وجود شكوى من أي طرف ضد الآخر، سيلجأ إلى الجنرال جونز، ليحكم بين الطرفين ويقرر أيا منهما لم يحترم التزاماته.

وحسب التفاهمات الإسرائيلية الفلسطينية في أنابوليس، تقرر أن يجري تطبيق المرحلة الأولى من "خريطة الطريق"، من دون علاقة بمسار المفاوضات حول التسوية الدائمة.

وفي الماضي، كانت إسرائيل تربط المفاوضات بالتطورات على الأرض. فإذا رأت أن الفلسطينيين لا يطبقون التزاماتهم، كانت توقف المفاوضات وتفرض إجراءات عقابية على الفلسطينيين. والآن، لا يجوز لها ذلك وعليها أن تلجأ إلى التحكيم الأمريكي .

قال الرئيس الفلسطيني محمود عباس إن مؤتمر أنابوليس الدولي للسلام "وضع القطار على السكة" في طريق إقامة دولة فلسطينية.

وذكر راديو "سوا" الأمريكي أن تصريح عباس جاء ردا على سؤال للصحفيين في واشنطن حول ما إذا كان مؤتمر السلام في أنابوليس قد قرب الفلسطينيين من قيام دولة فلسطينية كما يطمحون.

وأضاف عباس: "نحن متفائلون بالنتيجة التي وصلنا إليها، جئنا بهدف ونستطيع أن نقول إننا حققنا هذا الهدف".

إلى ذلك أكد رياض المالكي وزير الإعلام والعدل الفلسطيني أن مؤتمر أنابوليس حقق نجاحا للقضية الفلسطينية حتى قبل أن يبدأ، وأنه أعاد للقضية الفلسطينية هيبتها ووضعها في صدارة الاهتمام العربي والدولي. [1]

ونقل راديو " سوا " الأمريكي عن نبيل أبو ردينة الناطق باسم الرئاسة الفلسطينية قوله : " إن ما يجري علي أرض الواقع سيكون امتحانا لمصداقية الولايات المتحدة الأمريكية. ومدي جدية إسرائيل .. إننا سنحكم علي الأمور عندما نرى أفعالا علي

([1]) شبكة الأخبار العربية بتاريخ ٣٠ / ١١ / ٢٠٠٧

الأرض, وأن الامتحان والاختبار لإسرائيل في الأيام المقبلة هو عندما نرى مصداقية حركتها علي الأرض ومدي تقدم الأمور بالاتجاه الذي سيمهد لقيام دولة فلسطينية.

واستبعد أبو ردينة إمكانية اعتراف الفلسطينيين بإسرائيل كدولة يهودية.. وهذا ما تم إبلاغه للرئيس الأمريكي ولرئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت.[1]

وبعد ساعات قليلة من الإعلان عن استئناف مفاوضات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين في مؤتمر أنابوليس بالولايات المتحدة, استبعد رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت ـ في حديث للإذاعة الأمريكية العامة ـ التوصل إلي اتفاق سلام خلال العام المقبل, وذلك علي الرغم من التوقعات الأمريكية الخاصة بالتوصل إلي معاهدة سلام قبل نهاية العام المقبل.

وذكر راديو إسرائيل, أن مجلس الوزراء الإسرائيلي سيصدق علي إنشاء إدارة للتفاوض مع السلطة الفلسطينية بعد الاتفاق علي بدء مفاوضات الحل النهائي بين الجانبين في مؤتمر أنابوليس للسلام.[2]

وفي القدس, هدد زعيما حزبي شاس و(إسرائيل بيتنا) إيلي يشاي وأفيجدور ليبرمان(وهما يشغلان منصبي نائبي رئيس وزراء) بالانسحاب من الحكومة, وهو ما يعني إسقاطها إذا ما قام أولمرت بتحويل أقواله أمام المؤتمر إلي أفعال, أو إذا أقدم علي تفكيك بؤر استيطانية, كما اتهم بنيامين نيتانياهو زعيم حزب الليكود إيهود أولمرت بالاستمرار في تقديم تنازلات بلا مقابل.[3]

واعتبرت المستشارة الألمانية إنجيلا ميركل أن نتيجة مؤتمر أنابوليس تشكل " فرصة لعملية مفاوضات جديدة ". وقالت : " إن 'حلم التعايش السلمي' وتسوية النزاع عن طريق إقامة دولتين، إسرائيل وفلسطين، قد يتحقق . "

ورأى وزير الخارجية البريطاني ديفيد ميليباند أن أنابوليس أعطى الشرق الأوسط " بصيص أمل " لكن الطريق ستكون شاقة .

([1])جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩/١١/ ٢٠٠٧

([2]) عاصم عبد الخالق وهدى توفيق جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩/١١/ ٢٠٠٧

([3]) نفسه .

وأعلن أن بريطانيا ستساهم بـــ ٥٠٠ مليون دولار لقيام الدولة الفلسطينية خـــلال مؤتمر المانحين المقرر عقده في باريس في ١٧ ديسمبر .

ومن المقرر متابعة نتائج أنابوليس في مؤتمر لاحق في موسكو وأخر لمانحين في باريس. وقد أعلن وزير الخارجية الفرنسي بيرنار كوشنير أن اجتمـــاعي متابعـــة دوليان لاجتماع أنابوليس سيعقدان في باريس في ١٧ ديسمبر وفي موسكو في بداية ٢٠٠٨.

وقال للصحافيين " الجميع دعوا إلى مؤتمر باريس في ١٧ ديسمبر لإعطاء هـــذا التصور للدولة الفلسطينية محتوى واقعيا وحتى تتغير حياة الفلسطينيين " مؤكدا بذلك رسميا موعد اجتماع باريس.. " هذا ضروري لضمان أمن إسرائيل ومن أجل تغيير تام للواقع اليومي للفلسطينيين "

ومن جهة أخرى قال كشونير أن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف اقترح تنظيم اجتماع في موسكو حول المسار السوري – الإسرائيلي من عمليـــة الـــسلام 'ربما بحلول نهاية يناير ٢٠٠٨'.

وتابع أن المسيرة التي أطلقت في أنابوليس تحظى بذلك بـــ " متابعـــة لـــصيقة " مضيفا : " أن ذلك يضفي جدية على هذه العملية التي تحتاج إلى ذلك وأيضا إلـــى القليل من الرومانسية'.(1)

وفي طريق عودته للقاهرة بعد مشاركته في المؤتمر, وصف السيد أحمـــد أبـــو الغيط (وزير خارجية مصر) مؤتمر أنابوليس للسلام بأنه خطـــوة مهمـــة علـــي طريق استئناف وإتمام المفاوضات الفلسطينية ـــ الإسرائيلية, كما أن المؤتمر أبرز تعجل المجتمع الدولي لتسوية النزاع العربي / الإسرائيلي بوجه عام , والفلسطيني / الإسرائيلي بشكل خاص, والي إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كعنصر أساسي في استقرار الشرق الأوسط. (2)

توالت ردود الأفعال في الأرض المحتلة حول نتائج اجتماع أنا بوليس فقد أكـــدت حركة المقاومة الإسلامية حماس أن ما ورد في الخطابات التي ألقيت في أنابوليس

---

(1) جريدة القبس بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٧

(2) عاصم عبد الخالق وهدى توفيق جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩/١١/ ٢٠٠٧

دليل علي فشل الاجتماع, وحذرت من أن تعمد إسرائيل إلي التصعيد في الأراضي المحتلة سيكون لتغطية هذا الفشل وقال سامي أبو زهري المتحدث باسم حركة حماس أن خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش هو دليل علي فشل اجتماع أنابوليس لأن بوش حينما دعا لهذا الاجتماع منذ البداية أكد أنه سوف يتمخض عن إعلان دولة فلسطينية فإذا به الآن يعلن عن انطلاق مفاوضات فقط وهو ما يمثل العودة لشعبنا إلي الوراء لأن هناك مفاوضات سابقة, واتفاقات سابقة لم يلتزم بها الاحتلال الإسرائيلي .

وأضاف أن الخطير هو اعتراف بوش خلال خطابه بإسرائيل كوطن قومي لليهود، وهو ما يعني شطب حق العودة فيما اكتفي بوش بتجديد وعوده الفارغة حول إقامة دولة فلسطينية وهو أمر غير جدي في ظل انشغال الساحة الأمريكية بالانتخابات العامة خلال الأشهر القليلة المقبلة .

ورأى أبو زهري أن رئاسة الولايات المتحدة لآلية لمتابعة ملف المفاوضات الفلسطينية-الإسرائيلية، يعكس أن عنوان المرحلة المقبلة هو إلزام السلطة بتطبيق الالتزامات الأمنية الواردة في خطة خارطة الطريق مقابل استمرار المفاوضات .

ومن ناحية أخري تبرأت لجان المقاومة الشعبية وجناحها العسكري ألوية الناصر صلاح الدين, من الوفد الفلسطيني المشارك في أنابوليس, ومن كل مشروع يستهدف التنازل عن أي شبر من أرض فلسطين وذكرت لجان المقاومة: إن الاعتراف بيهودية ما يسمي إسرائيل المقامة ظلماً علي أرضنا, هو خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ولأهلنا الصامدين في أرض ١٩٤٨, وخيانة لعهد الشهداء وخيانة لأسرانا الصامدين في معتقلات العدو ينتظرون الموت البطيء .

وكانت العديد من فصائل المقاومة قد أعلنت استنكارها للمؤتمر الذي يتم برعاية أمريكية واعتبرت أنه سيؤدي إلي التنازل عن الحقوق الفلسطينية, كما اندلعت تظاهرات عارمة بالأراضي الفلسطينية تنديدا بالمؤتمر, ومؤكدة التمسك بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

وقد انعكس هذا الموقف على الشارع الفلسطيني في غزة حيث أبدى الكثير منهم تشاؤمهم تجاه النتائج التي ستئول أيها المباحثات وقال رجل أعمال فلسطيني لا

ننتظر شيئا من أنابوليس سوى المزيد من المعاناة هنا في غزة ، ملخصا بذلك شعور غالبية كبيرة من سكان القطاع المعزول عن العالم. [1]

أما عضو الكنيست " طلب الصانع " رئيس كتلة القائمة الموحدة العربية للتغيير فقال لوكالة فرانس برس : " إننا نخاف من الترانسفير، وذلك على خلفية الأحاديث عن تبادل سكاني". وأبدى خشيته من أن "تسعى إسرائيل إلى استغلال موضوع دولة يهودية خالية من العرب وعندما يكسب هذا المصطلح الصفة الدولية يتم تنفيذه".

وتابع طلب الصانع : " إن دولة إسرائيل نفذت ترانسفير عام ٤٨ بحق الشعب الفلسطيني من دون إذن من الشرعية الدولية، فماذا ستفعل إذا حصلت على شرعية الدولة اليهودية، ستقوم بترانسفير آخر لباقي العرب في إسرائيل ؟ " .

ويبلغ عدد عرب إسرائيل ١٦٠ ألف فلسطيني بقوا في أرضهم بعد إنشاء دولة إسرائيل في ١٩٤٨، واليوم هناك ١,٢ مليون شخص يشكلون ١٩% من مجمل سكان إسرائيل، وقال طلب الصانع : " الإسرائيليون يعتبرون أنهم ارتكبوا خطأ تاريخيا بإبقاء فلسطينيين في إسرائيل، فقد بتنا اليوم أكثر من مليون مواطن". وأوضح : " نحن لسنا ضد أن تكون هناك دولة لليهود كحق تقرير مصير للشعب اليهودي، كما أن تكون الدولة الفلسطينية كحق تقرير مصير للشعب الفلسطيني، فواقع الدولة يهودي ولكن ليس على خلفية العقلية الصهيونية بأن يكون كل مواطن في الدولة يهوديا ".

وأشار إلى أن مؤتمرات تعقد في إسرائيل حول الترانسفير، " ما كان في السابق حديث حزب موليدت عن الترانسفير بات حديث كل الأحزاب: حزب العمل والليكود وإسرائيل بيتنا، حيث تتحدث عن إخراج حدود أو مبادلة أراض في المثلث وتغيير ديموغرافي، لماذا لا يقولون دولة للشعب اليهودي فيها مواطنون عرب لهم الحقوق نفسها ؟ ".

من جهته قال عضو الكنيست عن حزب التجمع " جمال زحالقة " : " بالطبع إسرائيل دولة يهودية في الواقع لكن الاعتراف بها فلسطينيا وعربيا ودوليا يعني أن العالم يمنح شرعية للسياسات الناتجة عن يهوديتها، بما يمس قضايا المواطنة

([1]) جريدة الرأي لأردنية بتاريخ ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٧

والحقوق والمساواة والأرض" . وأكد أن : " الاعتراف بدولة يهودية يعني تقليص الحقوق أكثر فأكثر" ، موضحا : " هذا يعني أنه يغلق أمامنا الأبواب أمام طرح قضايانا على المستوى الدولي ويعطي شرعية لهذا التمييز والحصار علينا بتحويلنا إلى رعايا وليس مواطنين " .

وأشار إلى أن " ما هو مطروح الآن ويتحدث عنه الرأي العام الإسرائيلي يعطي إسرائيل حق الترانسفير في حالات معينة وتبديل أراض " .[1]

فصل الخطاب في التسوية السلمية

الحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يدركون – بشكل كافٍ – أن القوة العسكرية الهائلة قد تصلح أداة تأديب وعقاب مرحلية ولكنها لا تستطيع علي المدى الطويل أن تقمع إرادة أي أمة أو أن تلغي تاريخها أو تدمر حضارتها أو تمحو ثقافتها.

وأن الولايات المتحدة الأمريكية مازالت عاجزة عن تحقيق أي اقتراب حقيقي من درجة الفهم لأحلام وطموحات الشعوب العربية وهي أحلام وطموحات متواضعة ومشروعة لا تستوجب التعامل معها بمنطق الاستعلاء والتلويح الدائم بالعصا الغليظة كاستجابة لنصائح المحرضين في تل أبيب بأن كثيرا من الترهيب وقليلا من الترغيب هو الذي يصلح لتركيع وتطويع المواقف العربية !

إن القول مثلا بضرورة أن يسلم العرب بحق إسرائيل في أن تكون دولة يهودية لا مكان فيها للفلسطينيين المسلمين والمسيحيين كشرط للمضي في عملية السلام لا يمثل فقط نوعا من الترهيب وإنما هو استخدام فظ لجبروت القوة الذي يؤدي لتصاعد درجة النفور من السياسة الأمريكية في المنطقة.

ومن هنا يتحتم علي الولايات المتحدة الأمريكية أن تستثمر التجاوب العربي مع دعوتها لعقد مؤتمر السلام في إعطاء إشارات حقيقية يمكن أن تمهد لتغيير الوجه الفظ للسياسة الأمريكية تجاه المنطقة.

([1]) جريدة القبس بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٧

إن المأزق الحقيقي ليس في تباعد المواقف وإنما في المناخ العام الذي يثير شكوكا في جدية ومصداقية الالتزام الأمريكي بالسعي لإنتاج حل سياسي للصراع العربي الإسرائيلي يرتكز في أساسه إلي مقررات الشرعية الدولية.

وهنا أقول بكل الوضوح وبكل الصراحة إنه لابد أن تصدر عن واشنطون أشارات جادة ببداية عصر جديد في العلاقات الدولية بوجه عام وفي علاقاتها بدول المنطقة بوجه خاص, لكي تختفي كل مظاهر السنوات العجاف الأخيرة التي لم يكن لها عنوان سوي القوة, ولا صوت مسموع سوي صوت القوي الذي يحتكر حق تعريف المفاهيم والمصطلحات ولديه القدرة علي أن يسمي المقاومة إرهابا وأن يصف الإرهاب بأنه حق مشروع للدفاع عن النفس عندما يتعلق الأمر بالآخرين! لقد آن الأوان لكي تتجه أمريكا نحو مفهوم جديد بأن قوة أمريكا في قدرتها علي صنع الوفاق وليست كما هو حادث الآن في احتكار وضع المواصفات لحقوق الإنسان وأشكال الديمقراطية بازدواجية مفضوحة للمعايير تعكس حدة تناقض المفاهيم من مكان لآخر وبما يعني أن المفاهيم عند واشنطون لا تنطلق من التزام بمبادئ بعينها, وإنما تنطلق من حسابات المصلحة فقط علي غرار ما شهدناه مستفزا بأن تكون الدولة المارقة أمس دولة معتدلة اليوم, فالمسميات تتغير وفقا لمعايير متقلبة, ومن ثم فإن ما هو معتدل اليوم قد يصبح متطرفا وشريرا بحسابات الغد, ومن كان يقال إنهم أوغاد في الأمس يمكن أن يقال عنهم غدا إنهم عقلاء وحكماء يستحقون التصفيق والتشجيع !

وفي اعتقادي أن المرحلة المقبلة ربما تكون أهم وأخطر المراحل في تاريخ القضية الفلسطينية.. الأمر الذي يتطلب مزيدا من الوعي, ومزيدا من المرونة, ومزيدا من القدرة علي تلافي وتجنب أخطاء تكتيكية واستراتيجية, ليس هذا أوانها.. فالحلم الفلسطيني في الاستقلال وإقامة الدولة واستعادة القدس وإنهاء الاستيطان, وحل مشكلة اللاجئين ينبغي أن يكون أكبر من أي شخص وفوق أي اعتبار أو أي صراع فلسطيني علي السلطة !

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية جادة وصادقة في دعوتها وتريد بالفعل أن يحقق مؤتمر أنابوليس أهدافه في بناء سلام حقيقي فإن عليها أن تقنع إسرائيل بأن

السلام له شروط أهمها أنه لا يمكن أن يقوم أي سلام علي الغزو والعدوان واحتلال أراضي الغير بالقوة المسلحة .

ثم إن علي واشنطون أن تكف عن مباركة وتأييد منهج إسرائيل في اعتبار ورقة الأمر الواقع كأنها مساحة مفتوحة للتنازلات الجوهرية من جانب الفلسطينيين في مقابل تنازلات شكلية تقدمها إسرائيل .

ولست أشك للحظة بأن الأطراف العربية والفلسطينية التي ذهبت إلي أنابوليس لتأكيد استمرارية ومصداقية القبول العربي بخيار السلام تدرك جيدا بأن نقطة البداية في أية مفاوضات هي مرجعيتها الواضحة... وبعد ذلك فلا خلاف علي أن السلام كما علمتنا دروس التاريخ يحتاج إلي صراع تفاوضي يتطلب أسلحة قتال قوامها عقول مستنيرة وحجج دامغة ووثائق ومستندات لا يمكن التشكيك في صحتها ومشروعيتها.

ثم إنني لا أشك للحظة في أن الأطراف العربية والفلسطينية تدرك جيدا الفرق الشاسع بين الاعتدال والتخاذل, فالاعتدال إعمال للعقل في القدرة علي التمسك بالحق في حين أن التخاذل هو التطرف السلبي من خلال تضخيم الإحساس بالخوف من الخوف... وليس التهور فقط هو علامة التطرف, وإنما الجبن والخوف والاستسلام هو الذي يجسد أقصي درجات التطرف السلبي !

وربما يعزز من صحة ما أقول به لبناء موقف تفاوضي عربي فلسطيني قوي ومتماسك أن هناك مجموعة من العوامل أهمها ما يلي :

إن حاجة إسرائيل إلي التوصل إلي اتفاق للسلام تماثل بنفس القدر حاجة الأطراف العربية والفلسطينية لذلك, مع فارق بسيط ـ تتحمل أمريكا مسئولية إزالته ـ وهو أن إسرائيل تريد سلاما علي مقاسها وتتحدث عن الأمن المقدس لها دون أن تضع في الكفة الأخرى اعتبارات الأمن والحقوق التاريخية المشروعة للآخرين.
إن غالبية المجتمع الدولي باتت علي يقين بأن سبب تعثر جهود السلام علي مدي السنوات الأخيرة يرجع في المقام الأول إلي إصرار إسرائيل علي مواصلة تجاهل المبادئ والمرجعيات التي تم إقرارها في مؤتمر مدريد عام١٩٩١ وأهمها مرجعية

الأرض مقابل السلام والاعتراف الواضح من جانب كل طرف بالحقوق المشروعة للطرف الآخر حسبما تنص علي ذلك مقررات الشرعية الدولية.

وسواء أكان الذهاب إلي أنابوليس نصف خطوة علي طريق الحل أو مجرد فرصة مثل عشرات الفرص التي ضاعت من قبل فإنها ربما تكون المرة الأولي التي يمكن للأطراف العربية والفلسطينية أن تكسب منها بأكثر مما تخسر إذا استطاعت هذه الأطراف أن تدرك الفارق الواسع بين التجاوب مع نداءات السلام لاستكشاف النيات الحقيقية وبين الهرولة المرفوضة طلبا للسلام بأي ثمن!

والمهم أن تصل رسالتنا العربية والفلسطينية إلي الجميع بأننا ننشد سلاما حقيقيا وليس سلاما مؤقتا ثم إن السلام لا يصنعه الأمر الواقع مهما يطل الزمن ومهما تتعاظم القدرة علي توظيف واستخدام أية اختلالات طارئة في موازين القوي! [1]

***

([1]) مرسي عطا الله جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٧



الفصل الثامن

حماس

حركة المقاومة الإسلامية " حماس "

"حماس" هو الاسم المختصر لـ "حركة المقاومة الإسلامية" وهي حركة جهادية ، تؤمن بأن العقيدة والمنطلقات الإسلامية أساساً ثابتاً للعمل ضد عدو الصهيوني الذي يحمل منطلقات عقائدية ومشروعاً مضاداً لكل مشاريع النهوض في الأمة .

كما ترى أن برنامج الثورة الفلسطينية الذي تجمع وتبلور في منظمة التحرير الفلسطينية تعرض في الثمانينات إلى سلسلة انتكاسات داخلية وخارجية عملت على إضعافه وخلخلة رؤيته . وتضمنت أطروحاته للتسوية التنازل عن قواعد أساسية في الصراع مع المشروع الصهيوني وأهم هذه التنازلات :

١- الاعتراف بالكيان الصهيوني وحقه في الوجود فوق أرض فلسطين .

٢- التنازل للصهاينة عن جزء من فلسطين ، بل عن الجزء الأكبر منها.

ولقد ترتب على التسوية السلمية التي قامت بها منظمة التحرير مع إسرائيل تراجع إستراتيجية الكفاح المسلح ، كما تراجع الاهتمام العربي والدولي بالقضية الفلسطينية. وبعد نشوب الحرب العراقية / الإيرانية أصبحت قضية فلسطين قضية هامشية عربياً ودولياً .

وكان حادث الاعتداء الآثم الذي نفذه سائق شاحنة صهيوني في ٦ ديسمبر ١٩٨٧، ضد سيارة صغيرة يستقلها عمال عرب وأدى إلى استشهاد أربعة من أبناء الشعب الفلسطيني في مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين، إيذانا بإعلان تكوين حركة

حماس. وصدر البيان الأول عن حركة المقاومة الإسلامية "حماس" يوم الخامس عشر من ديسمبر ١٩٨٧ .

وقد أثار بروز حركة " حماس " قلق العدو الصهيوني، واستنفرت أجهزة الاستخبارات الصهيونية كل قواها لرصد الحركة وقياداتها، وما إن لاحظت سلطات الاحتلال استجابة الجماهير للإضرابات ،وبقية فعاليات المقاومة التي دعت لها الحركة منفردة منذ انطلاقتها، وصدور ميثاق الحركة، حتى توالت الاعتقالات التي استهدفت كوادر الحركة وأنصارها منذ ذلك التاريخ ، حتى أنها طالت القائد المؤسس الشيخ أحمد ياسين .

ومع تطور أساليب المقاومة لدى الحركة التي شملت أسر الجنود الصهاينة. في شتاء عام ١٩٨٩ وابتكار حرب السكاكين ضد جنود الاحتلال عام ١٩٩٠ جرت حملة اعتقالات كبيرة ضد الحركة في ديسمبر ١٩٩٠ ، وقامت سلطات الاحتلال بإبعاد أربعة من رموز الحركة وقيادييها، واعتبرت مجرد الانتساب للحركة جناية يقاضى فاعلها بأحكام عالية .

دخلت الحركة طوراً جديداً منذ الإعلان عن تأسيس جناحها العسكري كتائب الشهيد عز الدين القسام في نهاية عام ١٩٩١ وقد أخذت نشاطات الجهاز الجديد منحى متصاعداً، ضد جنود الاحتلال ومستوطنيه، ولم توقف عملية الإبعاد نشاط حركة "حماس" ولا جهازها العسكري .

في فبراير ١٩٩٤ أقدم مستوطن إرهابي يهودي يدعى باروخ جولدشتاين على تنفيذ جريمة بحق المصلين في المسجد الإبراهيمي في الخليل مما أدى لاستشهاد نحو ٣٠ فلسطينياً وجرح نحو ١٠٠ آخرين برصاص الإرهابي اليهودي.

حجم الجريمة وتفاعلاتها دفعت حركة "حماس" لإعلان حرب شاملة ضد الاحتلال الصهيوني وتوسيع دائرة عملياتها لتشمل كل إسرائيلي يستوطن الأرض العربية في فلسطين لإرغام الصهاينة على وقف جرائمهم ضد المدنيين الفلسطينيين العزل.

برنامج حركة حماس

وإيماناً – من حماس – بقدسية فلسطين ومنزلتها الإسلامية، وإدراكاً لأبعاد ومخاطر المشروع الصهيوني في فلسطين، فإن "حماس" تعتقد أنه :

١- لا يجوز بحال من الأحوال التفريط بأي جزء من أرض فلسطين .

٢- لا يجوز الاعتراف بشرعية الاحتلال الصهيوني لها .

٣- يجب إعداد الفلسطينيين والعرب العدة لقتال الصهاينة حتى يخرجوا من فلسطين كما هاجروا إليها .

٤- يجب تجنب أن تؤدي مقاومتها إلى سقوط مدنيين. وحتى في بعض الحالات التي سقط فيها عدد من المدنيين في أعمال المقاومة التي تمارسها الحركة، فإنها قد جاءت من قبيل الدفاع عن النفس والرد بالمثل على المذابح الإرهابية التي ارتكبت بحق المدنيين الأبرياء من الشعب الفلسطيني .

٥- ما أُبْرِم من اتفاقات مع العدو الصهيوني حتى الآن ، لا تلبي طموحات الشعب الفلسطيني ولا تستجيب للحد الأدنى من تطلعاته. فهي اتفاقات غير عادلة، وتلحق الظلم والضرر بشعب فلسطين .

٦- مبدأ التسوية السياسية أياً كان مصدرها، أو أيا كانت بنودها، فإنها تنطوي على التسليم للعدو الصهيوني بحق الوجود في معظم أرض فلسطين، وما يترتب عليه من حرمان الملايين من أبناء الشعب الفلسطيني من حق العودة، وتقرير المصير، وبناء الدولة المستقلة. على كامل الأرض الفلسطينية، وإقامة المؤسسات الوطنية. بل يدخل في دائرة المحظور في الفقه الإسلامي ، ولا يجوز القبول به. فأرض فلسطين أرض إسلامية مباركة اغتصبها الصهاينة عنوة، ومن واجب المسلمين الجهاد من أجل استرجاعها وطرد المحتل منها .

٧- تعتقد "حماس" أن أخطر مشاريع التسوية التي طرحت حتى الآن هو مشروع اتفاق " غزة – أريحا " الذي تم التوقيع عليه في واشنطن بتاريخ ١٣سبتمبر١٩٩٣م

بين الكيان الصهيوني و قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، ووثيقة الاعتراف المتبادل بين الطرفين وما تلاها من اتفاقات حملت أسماء القاهرة وطابا وغيرها ، وتأتي الخطورة من رضا وموافقة طرف فلسطيني، وإن كان لا يمثل الشعب الفلسطيني تمثيلاً حقيقياً ؛ لأن ذلك يعني إغلاق الملف الفلسطيني، وحرمان الشعب الفلسطيني، من حق المطالبة بحقوقه المشروعة .

٨- إن حركة "حماس" ترى في اتفاقات أوسلو صيغة مضللة لتصفية القضية الفلسطينية ، وتوفير الأمن للصهاينة على حساب حقوق الشعب الفلسطيني ، لذا فإنها تتمسك بمعارضة هذه الاتفاقات وتعمل على إسقاطها بالوسائل الشعبية والجماهيرية ، دون التعرض للسلطة ورموزها بالعنف ، وتؤمن الحركة أن مصير السلطة الفلسطينية ومشروعها السياسي الفشل والانحسار في الشق الأمني لاتفاقات أوسلو .

ونظراً لخطورة التسوية المطروحة حالياً، فقد تبنت الحركة موقفاً يقوم على النقاط التالية :

١- توعية الشعب الفلسطيني بخطورة التسوية، والاتفاقات الناجمة عنها.

٢- العمل على تكتيل القوى الفلسطينية المعارضة لمسير التسوية والاتفاقات الناجمة عنها، والتعبير عن موقفها في الساحات الفلسطينية والعربية والدولية.

٣- مطالبة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بضرورة الانسحاب من المفاوضات مع الكيان الصهيوني، والتراجع عن اتفاق غزة - أريحا .

٤- الاتصال بالدول العربية والإسلامية المعنية، ومطالبتها بالانسحاب من المفاوضات ، وعدم الاستجابة لمؤامرة تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني والوقوف إلى جانب حماس في مواجهة العدو الصهيوني ومشروعه .

٥- تعتقد " حماس" أنه مهما بلغت الخلافات في وجهات النظر أو تباينت الاجتهادات في ساحة العمل الوطني، فإنه لا يجوز بحال من الأحوال، لكائن من

كان، أن يستخدم العنف أو السلاح، لفض المنازعات أو حل الإشكالات ، أو فرض الآراء والتصورات داخل الساحة الفلسطينية .

٦- ترى "حماس" أن "سلطة الحكم الذاتي" ليست أكثر من إفراز من إفرازات اتفاقات التعايش مع العدو الصهيوني وتؤمن الحركة أن الصهاينة وافقوا على إقامة هذه السلطة لتحقيق مجموعة من أهدافهم الآنية والبعيدة . [1]

هذه هي أفكار جماعة حماس التي تؤمن بها وتعمل على تحقيقها بكل سلاح وهي كما ترون ذات أطروحات مثالية لا تتناسب مع حجم الجماعة ولا مع قوة عدوها ، كما تتجاهل تماما سياسة القوى الإقليمية والدولية وطبيعة الصراع العربي الصهيوني .

ما يؤخذ على جماعة حماس

يؤخذ على حركة حماس بعض المآخذ منها :

١- تبنيها لأفكار مثالية يستحيل تطبيقها – في الوقت الراهن – كعدم الاعتراف بدولة إسرائيل ، والعمل على إزالتها من الوجود أو إعادة كل اليهود إلى أرض الشتات التي جاءوا منها .

٢- جهلها بقواعد اللعبة السياسية ، وموازين القوى الإقليمية والدولية ، وتاريخ حركات التحرر الوطنية .

٣- رفضها لكل ما حققته المقاومة الفلسطينية ، والدبلوماسية العربية من إنجاز – وإن كان محدودا – عن طريق المفاوضات ، والذي تمكنت به أن تقيم دولة فلسطينية تضم المقاومة الفلسطينية التي ظلت لأكثر من ثلاثة عقود لاجئة لدى بعض الدول العربية مما سبب لها وللدول التي عاشوا على أرضها (الأردن – ولبنان – وتونس) كثيرا من المشاكل .

٤- رفضها لإجماع الدول العربية وقراراتها وأشهرها قرارات قمة بيروت ٢٠٠٢ [2] التي حدد بيانها الختامي ثلاثة مطالب مقابل اعتبار النزاع العربي

([1]) انظر المركز الفلسطيني للإعلام موقع غير رسمي لحماس .
([2]) وأكدتها قمة الرياض ٢٠٠٦ .

الإسرائيلي منتهيا والدخول في اتفاقيات سلام وتحقيق الأمن للجميع ، والمطالب الثلاثة هي :

أ- الانسحاب من الأراضي المحتلة حتى حدود ٤ يونيو .

ب- القبول بقيام دولة فلسطينية على الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وغزة وعاصمتها القدس .

ج- حل قضية اللاجئين وفقا لقرارات الشرعية الدولية .

وأشار البيان إلى أن قبول إسرائيل بالمطالب العربية يعني قيام علاقات طبيعية بينها وبين الدول العربية .

٥- ومن أهم ما يؤخذ على جماعة حماس قتلها للمدنين مما أفقد المقاومة شرعيتها ، وحولها إلى إرهاب في نظر المجتمع الدولي ، حتى وإن كان منطق حماس في قتلها للمدنين معاملة إسرائيل بالمثل . والإسلام الذي ينسبون حركتهم إليه لا يحل قتل الأبرياء أبدا . فالإسلام لا ينتصر إلا بالتمسك بالحق وليس بأخلاق المعتدين ولا يُجيز العدوان إلا على الظالمين .

٦- رغم أن حماس كان من مبادئها عدم استخدام العنف داخل الساحة الفلسطينية مع المخالفين لهم في الفكر والتوجهات ، وعلى الرغم من توقيعها وثيقة شرف مع منظمة التحرير لتحريم الاقتتال الداخلي وضمان حرية الرأي إلا أنهم وفور وصولهم لسدة الحكم لم يتورعوا عن سفك دماء المعارضين لهم من منظمة التحرير الفلسطينية (فتح) .

ووصل الأمر إلى ذروته في ١٤ / ٦ / ٢٠٠٧ بقيام حماس بانقلاب عسكري على السلطة الشرعية " والطريقة اللي تصرفت بها حماس وحسمت بها الأمور في غزة بأي معيار من المعايير تعد لا منطقية ولا عقلانية لأنها لم تنظر إلا إلى موقع أقدامها وأعتقد أنها عملت غلطات فادحة في الطريقة اللي صفيت بها بصرف النظر عن حد يقول لي انقلاب عسكري أو مش انقلاب عسكري " [1]

([1]) محمد حسنين هيكل " الفلسطينيون وآفاق التسوية مع إسرائيل " حوار أجراه معه محمد كريشان وأذيع على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٨ .

٧- الخلط بين ثوابت الدين ومطلقاته ، وتغيرات السياسة ونسبيتها فيخلعون- أحيانا – على أرائهم السياسية وممارساتهم الحركية صفة القداسة الدينية مما يترتب على ذلك عد المخالفين لهم مخالفين للدين مستحقين للقتل . فقتلهم اليهود المدنيين جهاد ، وتصفية المخالفين لهم من الفصائل الفلسطينية الأخرى قصاص ، والتسوية السلمية مع الإسرائيليين خروجا على شريعة الإسلام ، والانقلاب على السلطة الشرعية إقامة لإمارة إسلامية !! يقول الرئيس عباس عن ممارسات حماس " ما هي الديمقراطية، فيها أقلية وأغلبية، ما بين موافق ومعارض، أما أن ترهبني وتقول "هذه إرادة الله"، و"المضربون خونة" و"من يحكي عن الحكومة خائن"، هذا إرهاب غير مقبول وغير مسموح به، لا استخدام للدين، فالدين لله في المسجد والكنيسة ، كلنا متدينون بالمناسبة، ولا أحد يستطيع أن يزاود علينا، نحن نصلي ونصوم قبل أن يولد الكثيرون، وعيب التكفير " (١)

حماس والسلطة

بعد موت الرئيس عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أجريت انتخابات على رئاسة السلطة الفلسطينية لاختيار رئيس خلفا للرئيس الراحل وجرت انتخابات وصفتها الصحف العالمية بأنها انتخابات ديمقراطية نزيهة بلغت نسبة المشاركة فيها بين الناخبين المسجلين في اللوائح الانتخابية ٧٠% وعلى عكس الانتخابات الرئاسية الأخرى في الدول العربية لم يحصل فيها الرئيس محمود عباس على ٩٩,٩٩ كسائر حكام العرب بل حصل على حوالي ٦٦ % تلك كانت انتخابات الرئاسة التي فاز فيها أبو مازن الذي لم يخف يوما إدانته لاستخدام السلاح الفلسطيني في مواجهه إسرائيل, بل والذي أعلن عشيه يوم التصويت اعتذاره عن وصفه لإسرائيل بأنها العدو الصهيوني, وذلك التزاما بنصوص وقعتها منظمه التحرير الفلسطينية تحت زعامة عرفات بالكف عن جميع أشكال الدعاية المعادية, بكل هذا الوضوح القاسي تقدم أبو مازن للانتخابات, وكان طبيعيا ومنطقيا أن تتكاتف غالبيه قنوات الإعلام العربي لتكثف حمله لتذكير الناخبين بأنه مهندس أوسلو الذي ترضي عنه

---

(١) من خطاب سيادة الرئيس محمود عباس زاد الله ٢٠٠٦/١٢/١٦

إسرائيل والولايات المتحدة وكان المتوقع منطقيا أن يلفظ الشعب الفلسطيني ذلك المرشح الذي يسانده العدو. وإذا بالناخب الفلسطيني يقول كلمته : نعم لأبي مازن وبذلك سقط الوهم الذي عشنا فيه طويلا : وهم أن الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع يساند العمليات العسكرية للفصائل الفلسطينية.(1)

وجاء في خطاب الرئيس محمود عباس أمام المجلس التشريعي بعد فوزه في الانتخابات : " لقد صوت الشعب من أجل سيادة حكم القانون والنظام والتعددية وتداول السلطة والمساواة بين الجميع. لقد وقف الشعب مع خيار السلام العادل وإنهاء الاحتلال والتعايش على قدم المساواة وفق الشرعية الدول . " (2)

وإزاء هذه التجربة الديمقراطية الفريدة في الوطن العربي قررت السلطة الفلسطينية إجراء انتخابات تشريعية نزيهة أيضا ظنا منها أنها ستأتي بأغلبية لمنظمة التحرير الفلسطينية – التي تلقى دعم المجتمع الدولي والعربي –تمكنها من تشكيل الحكومة .

وقررت حركة حماس دخول الانتخابات لأول مرة بعدما كانت رافضة لها لأنها تقام على خلفية اتفاق أسلو الذي لا تعترف به حماس وتعتبره جريمة ارتكبت في حق القضية الفلسطينية !! وما إن أذيع خبر عزم حركة حماس على خوض الانتخابات التشريعية حتى هددت الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي الشعب الفلسطيني بوقف كامل المساعدات الاقتصادية عنه، إضافة إلى تهديد الاحتلال الإسرائيلي بوقف تحويل أموال الضرائب عن السلطة الفلسطينية إذا انتخب الفلسطينيون حركة حماس .

لكن الرئيس عباس أصرَّ على مشاركة حماس وتذليل جميع العقبات التي واجهت اشتراك حماس في الانتخابات .

" قبل أن نجري الانتخابات التشريعية يوم ٢٠٠٦/١/٢٥ كانت هناك اعتراضات شرسة أن لا تشارك حماس في الانتخابات، وكنا نرد بشراسة أن حماس يجب أن

---

(1) د.قدري حفني " ما بعد الانتخابات الفلسطينية مسئوليات مواجهه الحقيقة.. بدلا من المراوغة " جريدة الأهرام ١٩ / ١ / ٢٠٠٥ .

(2) من خطاب الرئيس عباس في رام الله ١٥ /٢٠٠٥/١ نقلا عن مركز الإعلام الفلسطيني .

تشارك في الانتخابات لأنها جزء من الشعب الفلسطيني ومن حقها أن تشارك في هذه الانتخابات، وإن كانت حماس تتنكر للأصل القانوني لهذا الوضع الدستوري الموجود لدينا، والذي نشأ من اتفاق أوسلو. بصريح العبارة وأنا لا أخجل بالعكس أن أفتخر أني أنا الذي وقعت على هذا الاتفاق، ومع ذلك قلنا لا يجوز أن نحرمهم لهذا السبب وبالفعل بدأت الاعتراضات تخف وبدأت الاعتراضات تتلاشى، وكانت هناك عقبات أخرى أبرزها أن إسرائيل ستحاول منع الفلسطينيين في القدس من الانتخاب، فقلت أنا مستعد أن أناقش في كل العقبات إلا هذه، هذه سابقة خطيرة لا يمكن أن أقبل بها إما أن تقبل إسرائيل بهذا الموضوع أو لا يوجد انتخابات، ووضعت رجلي في الحائط حتى أعلنت إسرائيل قبولها قبل أيام أو أسابيع قليلة من الانتخابات وافقت على أن يشارك أهل القدس كما شاركوا في انتخابات كثيرة سابقة، كما شاركوا في الانتخابات الرئاسية والانتخابات التشريعية الأولى وغيرها وغيرها ووافقوا ودخلنا الانتخابات ." [1]

وأجريت الانتخابات يوم ٢٥ يناير ٢٠٠٦ وكانت نموذجاً ديمقراطياً فريداً في المنطقة العربية. فقد شارك فيها نحو ٧٧ % ممن يحق لهم الاقتراع بدرجة عالية من الانضباط والسلاسة والشفافية والنزاهة بشهادة دولية عبرت عن تقديرها وإعجابها بهذه التجربة .

وأفرزت صناديق الاقتراع عن فوز حركة "حماس" بنسبة تصل إلى حوالي ٦٠% من مقاعد المجلس التشريعي .

وصدَّق عباس على نتيجة الانتخابات ولم يبد أي اعتراض عليها بل أبدى ترحيبه

" نجحت حماس وأخذت الأغلبية وقلنا أهلاً وسهلاً إذا كنا نؤمن بالديمقراطية."[2]

يقول محمد حسنين هيكل معلقا على دخول حماس الانتخابات وفوزها بالأغلبية :
" دخول حماس إلى الساحة في اعتقادي قلب حسابات كثيرة جدا لأنه حتى بالنسبة لأهل حماس أنفسهم أنا أتذكر أنه قبل الانتخابات جاء لي خالد مشعل الأخ خالد

([1]) من خطاب سيادة الرئيس محمود عباس رام الله ٢٠٠٦/١٢/١٦ نقلا عن المركز الفلسطيني للإعلام
([2]) من خطاب سيادة الرئيس محمود عباس رام الله ٢٠٠٦/١٢/١٦

مشعل وأنا قابلته في بيتي الريفي في برقاش وكان معه مجموعة من أركان حماس وسألوني في موضوع الانتخابات والسؤال كان يعني بالنسبة لي مهم وهم كانوا ميالين للدخول وأنا ما كنش عندي مانع معهم لكن علينا أن ندرك أن هناك فرق بين دخول الانتخابات وبين الحكم والسلطة ، أنا قلت لهم أنه والله كويس قوي أنكم تخشوا الانتخابات لأنه هنا يبقى فيه مقياس طبيعي لشرعيتكم في أن تتكلموا كممثلين للشعب الفلسطيني أو لجزء كبير من الشعب الفلسطيني لكن ما حدش فينا كان مدرك إيه اللي ممكن يحصل ولا هما كانوا مدركين في اعتقادي دون أن أنسب إليهم شيء أنه ممكن يأخذوا هذه الأغلبية الكاسحة لكن هما أخذوا هذه الأغلبية الكاسحة (1)

أسباب فوز حماس في الانتخابات التشريعية

رصد الأستاذ محمد حسنين هيكل عدة أسباب كانت وراء فوز حماس منها :

١- غياب الجنرال شارون رئيس وزراء إسرائيل أثر كثيراً جدا في أحوال المنطقة لأنه هو الرجل الوحيد في الساسة المحليين في المنطقة الذي كان عنده جدول أعمال . فشارون بدأ في بناء الجدار العازل عندما أدرك استحالة الحل السلمي لأن أقصى ما تستطيع أن تعطيه إسرائيل لا يتناسب مع أكثر ما تستطيع أن يتنازل عنه الفلسطينيون . والخطوة الثانية له كانت الانسحاب أحادي الجانب من غزة .

٢- إن "حماس" كان لها رصيد من الاستقامة في مواجهة الطرف الآخر في فلسطين الذي ترهل بالسلطة والذي انكشف عنه غطاء ياسر عرفات .

٣- الطرف الفلسطيني الآخر "فتح" والسلطة كان قد دخل في حالات فظيعة جدا من وقت أوسلو ومن قبلها وتقريبا مستعد أقول أنه حصل في أجزاء كثير جدا تحولات لكن كان فيه غطاء أبو عمار. أبو عمار كان راح وراح بالتسميم وراح ولم يفكر أحد في التحقيق ولا في حاجة انتهى الموضوع كأنه عقبة وزالت .

---

(1) من حديث لمحمد حسنين هيكل بعنوان " الفلسطينيون وآفاق التسوية مع إسرائيل" أذيع على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٨ .

فالشعب الفلسطيني هنا أعطى تأييداً كاسحاً لحماس فإذا بحماس تفوز على عكس كل توقعاتنا لأن كل التوقعات كانت تقول أنهم يأخذون ما بين ٣٥ إلى ٤٥%. فجاءت حماس وهي غير مهيأة وغير جاهزة . **شعب أخذته نشوة معينة فجاب ناس غير مهيئين للحكم وأنا مستعد أقول أنهم ما كنوش يعرفوا كفاية عن العالم وأنا ناقشت بعضهم كثير وكانوا زعلانين مني إني أنا قلت أنهم ما يعرفوش كفاية عن العالم لكنه ثبت أنه ما يعرفوش حاجة عن العالم كفاية** لكنه على أي حال هما فوجئوا بثقة ضخمة جدا جاءت فيهم لكن بعقبات لا يمكن هما أن يتحملوها خصوصا وهناك طرف متربص لا يريد أن يعطي السلطة وخصوصا بدا التفكير يبقى تفكير انقلابي في المعسكر الآخر [1]

إذن ترهل فتح ، وانتشار الفساد في جوانبها ، وغياب رئيسها الرمز ياسر عرفات ، وفشل الحل السلمي الذي تبنته فتح في إعادة كل الحقوق الفلسطينية ، والعجز عن ردع العدوان الإسرائيلي المستمر على الشعب الفلسطيني وممتلكاته . في مقابل تمسك حماس بالإسلام قولاً ومظهراً ، وتأججها بسلاح المقاومة الذي يزعمون أنه كان وراء تحرير غزة من العدو الصهيوني ، ووعودها البراقة التي تفوق الأحلام في تحرير كل فلسطين من كل صهيوني . كل هذه العوامل عملت على فوز حماس الكاسح في انتخابات المجلس التشريعي .

وبعد أن أعطى الشعب الفلسطيني الصوت بأغلبية مطلقة للحركة، ازدادت وتيرة الضغط من أطراف ثلاثة هي : أمريكا والاتحاد والأوربي وإسرائيل ، حتى أن البرلمان الأوروبي بتاريخ ١/ ٢/ ٢٠٠٦ صدَّق على سياسة الاتحاد الأوروبي عن المعونات للشعب الفلسطيني بوضعها تحت اشتراط الاعتراف بـــ "إسرائيل" ، وأما إسرائيل فقد رفضت التعامل مع الحكومة الجديدة .

ولقد أجمعت الأطراف الثلاثة على ضرورة التزام حركة "حماس" بشروط ثلاثة مقابل التعامل معها ودعمها ماديا ، وهي :

([1]) من حديث لمحمد حسنين هيكل بعنوان " الفلسطينيون وآفاق التسوية مع إسرائيل " أذيع علـــى قنـــاة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٨ .

١- الاعتراف بـ"إسرائيل" .

٢- الاعتراف بكل الاتفاقات السياسية الموقعة مع "إسرائيل" .[1]

٣- نزع سلاح المقاومة .

وقبول حماس بهذه الشروط معناه التخلي عن برنامجها الذي انتخبها الشعب الفلسطيني على أساسه، ومن ثم لا يكون ثمة فارق بينها وبين فتح التي فشلت في تحقيق إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة التي عاصمتها القدس الشريف على حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ، وعودة اللاجئين في مقابل التسوية السلمية الشاملة مع إسرائيل .

وأحدثت هذه النتيجة التي لم تكن متوقعة حتى من حماس نفسها صدمة للمجتمع الدولي – ولاسيما أمريكا وإسرائيل والاتحاد الأوربي – الذي يعتبر منظمة حماس حركة إرهابية تمارس قتل المدنيين ، ولا تعترف بأي حل سلمي مع إسرائيل وتعمل على إلغاء المعاهدات الفلسطينية الإسرائيلية ، ولا تعترف بأحقية إسرائيل في الوجود ولو على شبر واحد من أرض فلسطين . فحماس لا تعترف بكل المبادرات السياسية بدءا من القرار ١٩٤ مرورا بـ ٢٤٢ و ٣٣٨ وأسلو حتى خارطة الطريق ، ولا تعترف بجميع التفاهمات بما فيها الانسحابات من طرف واحد وجميع الترتيبات المبنية عليه .

ورغم هذه الضغوط الإقليمية والدولية فإن محمود عباس أصر على تكليف حماس بتشكيل الحكومة ، ووضع برنامجا للحكومة المزمع تشكيلها في خطابه الذي ألقاه عقب ظهور نتائج الانتخابات في رام الله ٢٠٠٦/١/٢٦ جاء فيه: " ولا بد أن أصارحكم بأن للحكومة المقبلة مهمات وأعباء جسيمة وهناك اتفاقيات فلسطينية إسرائيلية بدءاً من اتفاق أوسلو مروراً بقرارات القمم العربية وانتهاءً بقرارات أجمع

---

(1) راجع نصوص هذه الاتفاقات في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

عليها المجتمع الدولي وأخص بالذكر منها خارطة الطريق كإطار وحيد مطروح الآن للتنفيذ، وهي خطة تتضمن رؤية الرئيس بوش في إقامة دولتين تعيشان جنباً إلى جنب، وبأنه يجب إنهاء الاحتلال الإسرائيلي الذي وقع عام ١٩٦٧، وحل قضية اللاجئين وفقا للقرار ١٩٤، والمبادرة العربية في قمة بيروت . كل هذا يشكل أسساً سياسية تم انتخابي كرئيس للسلطة وفقها وتمثل عناصر جوهرية في برنامج منظمة التحرير الفلسطينية الذي ائتمنت عليه بموجب رئاستي للمنظمة . إن الهدف الرئيسي لشعبنا ولسلطتنا وللحكومة، هو إنهاء الاحتلال وإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، ولابد للحكومة القادمة من العمل الدؤوب على كسب ثقة الأسرة الدولية، وكذلك الرأي العام العالمي للتصدي للنشاط الاستيطاني بكافة أشكاله وجدار العزل العنصري، وإطلاق سراح أسرانا البواسل وإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف. " [1]

أسباب الخلاف بين حكومة حماس والسلطة الفلسطينية

محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية كان قد وضع برنامجا للحكومة – السلطة التنفيذية – تعمل على تحقيقه وأهم بنود هذا البرنامج الاعتراف بالاتفاقيات الفلسطينية الإسرائيلية ، والمبادرة العربية في قمة بيروت ، وكسب ثقة الأسرة الدولية، وكذلك الرأي العام العالمي .

وفي كلمة الرئيس عباس في افتتاح أعمال المجلس التشريعي الثاني رام الله (٢٠٠٦/٢/١٨) ذكر محطات في مسيرة النضال الفلسطيني ابتداء من إعلان قيام دولة فلسطين في المنفى في دورة المجلس الوطني الفلسطيني عام ١٩٨٨ في الجزائر ، وتبني ٢٤٢ و ٣٣٨ والأسباب التي أدت إلى اتفاق أسلو ، وانسحاب إسرائيل من كثير من المدن والقرى الفلسطينية ، ثم تحدث عن سعي إسرائيل إلى

[1]) من خطاب محمود عباس في رام الله ٢٦ــ ١ ــ ٢٠٠٦

إلغاء اتفاق أسلو وتجميد عملية السلام مما " أطلق العنان للتطرف وكان ذلك كله بمثابة التمهيد، لعهد رئيس الوزراء أرييل شارون الذي أعلنها معركة مفتوحة ضد الشعب الفلسطيني، تمثلت في تدمير منهجي لأطر السلطة الفلسطينية ومؤسساتها. لقد أقام جدار الفصل العنصري، وضاعف عمليات الاستيطان في الضفة الغربية وشدد القبضة الحديدية والحصار على الشعب الفلسطيني في جميع أماكن تواجده وحاصر رئيسها إلى أن وافته المنية... والتطرف الإسرائيلي نجح في إدخالنا إلى دائرة الفعل ورد الفعل، وأغرقنا في نزيف دموي، مما خلق مناخا يصعب معه تغليب الجانب السياسي والتفاوضي في إدارة الصراع ... ولا نستطيع أن نتجاهل بالمقابل أنها جرت محاولات جدية وعلى مستويات رفيعة، لوقف التدهور في عملية السلام برمتها، ومنها قمم شرم الشيخ، وقمة كامب دافيد، وآخرها خطة خارطة الطريق و رؤية الرئيس الأمريكي جورج بوش القائمة على أساس قيام دولة فلسطينية مستقلة وديمقراطية ومزدهرة تعيش بأمن وأمان وسلام جنبا إلى جنب مع دولة إسرائيل. وهذا بدون أدنى شك تطور تاريخي في موقف الولايات المتحدة الأمريكية... وكما أجرينا انتخابات حرة ونزيهة، نتطلع لرؤية حكومة تواجه التحديات وتؤدي مهامها بكل كفاءة واقتدار وبمناسبة الحديث عن حكومتنا العتيدة فإنني أذكّر أعضاء المجلس وأعضاء الحكومة القادمة **بحتمية احترام كافة الالتزامات الموقعة، والعمل بمقتضى المصلحة الوطنية على إنهاء ظاهرة الفوضى، فوضى السلاح وبما إن الجميع يشارك الآن في بنية وهيكليات سلطة وطنية بكل مؤسساتها فعلى الجميع، دون استثناء أن يلتزم بحتمية وجود سلاح واحد هو سلاح الشرعية** ... وعلى الحكومة ألا تسمح باستخدام الظواهر المشينة مثل عمليات السطو والاقتحام المسلح، واختطاف الأجانب، والأشقاء، الذين هم جميعا يعيشون على أرضنا ، وينبغي اتخاذ الإجراءات الصارمة والناجعة لوضع حد نهائي لها، ينبغي ألا يُسمح لأي عابث باستغلال أرقى الشعارات وأعدلها كي يمارس أبشع أشكال وصنوف التعدي على حرمة حياة المواطن وممتلكاته وعلى الضيوف والبعثات الدبلوماسية ... ونحن ملتزمون بتأمين وحماية ورعاية جميع الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية، ولن نسمح لأية مجموعة مارقة أو جاهلة إن

تثير نعرات طائفية، ففلسطين مهد الديانات السماوية أرض الإسراء والمعراج، أرض الأقصى، كما هي أرض المهد وكنيسة القيامة ... إن هناك شريكاً فلسطينياً على استعداد للجلوس على طاولة التفاوض مع شريك إسرائيلي، للوصول إلى حل يستند إلى قرارات الشرعية الدولية، والمبادرة العربية، وخطة خارطة الطريق، وينطلق من إننا نريد حلاً عادلاً يضمن إنجاز السلام، وليس حلاً جزئياً منفردا أو مؤقتاً يقضي على تحقيق فرص السلام . " [1]

ولكن هذا البرنامج السياسي لم توافق عليه حركة حماس فهو مخالف لبرنامجها الذي انتخبت من أجله ، ومن هنا وقع أول خلاف بين سلطة الرئاسة وحركة حماس الفائزة بالانتخابات التشريعية .

يقول عباس مبينا أسباب هذا الخلاف :

" أرجو أن يكون الجميع مؤمناً بالديمقراطية، وأرجو من الجميع أن يفهموا أن الديمقراطية لك وعليك وأن الديمقراطية مشاركة وأن الديمقراطية ليست إلغاء أو إقصاء للأخر، وأن الديمقراطية ليست إرادة إلهية وأن الديمقراطية رغبة من الشعب وهذه الرغبة نقدرها ونحترمها ونقدسها. وجاءت الديمقراطية وقلنا نكلفكم نكلف الأغلبية بتشكيل حكومتها التي تراها، وأجريت اتصالات مع الجميع فعلاً ولكن أحداً **لم يقبل أن يشارك معها لماذا لأن حماس رفضت أن تعترف بالأصل الغطاء السياسي بمصدر سلطة السلطة بمنظمة التحرير الفلسطينية، قالوا نرفضها كيف ترفض أن تعترف بأصل سلطتك الجهة التي تمنحك السلطة وهي منظمة التحرير الفلسطينية، فلم يقبل أحد أن يشارك في هذه الحكومة**، ومع ذلك قلنا لهم قدموا حكومتكم وإنما أنصحكم بأن تتواءموا مع الشرعيات الشرعية الفلسطينية والشرعية العربية والشرعية الدولية لأننا لسنا جزيرة معزولة في العالم نحن جزء من العالم العربي، جزء من العالم الدولي، **نحن نحترم التزاماتنا السابقة، فقالوا نحن لا نقبل ذلك قلنا هذا خطأ**، وهناك مسؤوليات جسام قالوا نحن هذا هو موقفنا، كنت أمام أمرين إما أن أمنع تشكيل الحكومة، وهذا من حقي وإما أن أسمح لهم ليجربوا حظهم ليجربوا، وفعلاً تركنا المجال ليجربوا حظهم وفي نفس الوقت ورغم

([1]) من خطاب الرئيس عباس في رام الله يوم ٢٠٠٦/٢/١٨ نقلا عن المركز الفلسطيني للإعلام

الاتهامات والتخوينات والمؤامرات كنت في كل مكان في العالم أقول لهم امنحوهم أعطوهم فرصة أعطوهم حظهم أعطوهم وقتهم الناس بلا تجربة الناس بلا خبرة علينا أن نتركهم حتى يحتكوا بالعالم حتى يتعرفوا على هذا العالم حتى يتواءموا مع هذا العالم، ولكن مع الأسف الشديد فرض علينا حصار ظالم. ([1])

وعليه قررت حركة فتح ألا تشارك في حكومة ائتلاف وطني مع حماس وأن تترك لحماس الفرصة كاملة لتطبيق برنامجها – إن استطاعت – ولقد جاء في الرسالة التي وجهها الرئيس أبو مازن إلى رئيس الوزراء إسماعيل هنية يوم ٢٣ مارس ٢٠٠٦ ما يلي : " ورغم أسفنا الشديد لعدم تبني ما ورد في كتاب التكليف ، ما أعاق تشكيل حكومة ائتلاف وطني ، فقد قررنا أن لا نستخدم صلاحياتنا المنصوص عليها في القانون الأساسي ، بل أن نتيح المجال لعرض حكومتكم على المجلس التشريعي لنيل الثقة احتراما لروح العملية الديمقراطية ولكي تأخذوا فرصتكم الكاملة في تحمل المسئولية .

وهنا نطالبكم مرة أخرى وعندما تتحمل الحكومة المسؤوليات المناطة بها وفق **القانون الأساسي بعد نيلها الثقة أن تعملوا على التصويب اللازم لبرنامجكم بتبني بنود كتاب التكليف .**

أنصار حكومة حماس من العرب والمسلمين

وفي حين جاء تكليف الرئيس عباس حماس بتشكيل الحكومة على غير هوى الحكومات الغربية والعربية فإن هناك دولتين أحدهما عربية والأخرى إسلامية قد أسعدهما فوز حماس وتشكيلها الحكومة ، وبالطبع فإن الدولة العربية هي سوريا ، أما الدولة الإسلامية فهي إيران حليفتها الإستراتيجية . ولقد قام الرئيس السوري بشار الأسد يوم ٢٩ / ١ / ٢٠٠٦ باستقبال وفد حركة حماس برئاسة خالد مشعل .

وقد عبر الرئيس السوري عن تهنئته لحركة حماس بفوزها في الانتخابات التشريعية الفلسطينية ، وأشاد بالديمقراطية الفلسطينية (التي يَحْرِم سوريا منها) مؤكداً احترام سوريا لإرادة الشعب الفلسطيني (فماذا عن احترام إرادة الشعب

([1]) من خطاب سيادة الرئيس محمود عباس رام الله ٢٠٠٦/١٢/١٦

السوري ؟!!) وضرورة وأهمية الوحدة الوطنية الفلسطينية .. كما أكد على دعم سوريا للشعب الفلسطيني ووقوفها معه .

من جانبه فقد شكر الأخ خالد مشعل ووفد الحركة الرئيس السوري على دعم سوريا قيادة وشعباً للشعب الفلسطيني .

كما تلقى خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس اتصالات هاتفية من كل من :-

* الرئيس الإيراني أحمدي نجاد ، وأشار الرئيس نجاد إلى أهمية وتأثير فوز الحركة على مجرى الصراع مع العدو الصهيوني ، وأكد على وقوف إيران إلى جانب الشعب الفلسطيني ودعم صموده .

* أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله .

* رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري .

* رئيس مجلس النواب اليمني الشيخ عبد الله الأحمر .

* فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين محمد مهدي عاكف .

* الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي . (1)

وواضح أن من أيد فوز حماس هم جبهة المقاومة والممانعة التي تتبنى خيار المقاومة المسلحة ضد الكيان الصهيوني وترفض التسوية السلمية مع إسرائيل فسوريا التي عجزت عن القيام بحرب نظامية ضد إسرائيل لتسترد بها الجولان المحتل وجدت في حماس وحزب الله وسيلتين لمساومة إسرائيل علي الجولان .

أما أحمدي نجاد فقد استغل حالة العرب التي يُرثَى لها خاصة بعد حرب الخليج الثانية وبَدَأَ في العمل على استعادة الإمبراطورية الفارسية الغابرة مستخدما حماس وحزب الله وشيعة العراق كمخالب دب في صراعه مع الهيمنة الصهيونية على المنطقة تحت مقولة : " جحا أولى بلحم ثوره " أو " الجار أولى بالشفعة " .

---

(1) المكتب الإعلامي الفلسطيني ٢٨ / ١ / ٢٠٠٦ .

أما رجال الدين فيرون في الجماعات الإسلامية الأمل في صد الهجمة الصهيونية على البلاد الإسلامية ، واستعادة أمجاد الإسلام على يد أبطاله : خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح ونور الدين محمود وصلاح الدين وإن كان البون شاسعا بين أولئك وهؤلاء في اختلاف الزمان والمكان والحال والعدد والعدة ونوع السلاح وطبيعة الرجال وقوة الإيمان ..

أما من أيَّد فوز حماس من غير هؤلاء فكان تأييدهم لسببين :

١- واجب تفرضه عليهم قواعد الدبلوماسية لا التوجهات السياسية .

٢- الرغبة في تعلم حماس الدرس الذي تعلمته فتح من قبل وهو أن الضغوط الداخلية والخارجية التي تمارس على من في السلطة تجبره على أن يستبدل بالكفاح المسلح مفاوضات سياسية . وأن يستبدل بالشعارات المطلقة غير المسئولة واقعا ضاغطا يجبره على أن يكون مسئولا . ومن المفارقات الطريفة أن منظمة التحرير الفلسطينية قد سبق لها أن تبنت شعارات الإخوان المسلمين – التي تتبناها حماس – فيما يخص الصراع العربي الصهيوني منذ عام ١٩٥٨ حيث عقدت أولى الاجتماعات بشأن تأسيس المنظمة والتي حضرها كامل الشريف (سفير ووزير أردني سابق) الذي صرح مؤخرا أن حماس تتبنى نفس المبادئ التي كانت تتبناها فتح عند تأسيسها (1) ولكن حرب ١٩٦٧ التي أتت على باقي فلسطين ، وخروج مصر من الصراع بعد توقيعها معاهدة سلام مع إسرائيل عام ١٩٧٩، وسقوط الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية (حليفة إسرائيل) بقيادة العالم والتمزق العربي بعد حرب الخليج كل ذلك حدا بفتح إلى التخلي عن كثير مما كانت تنادي به وتتبنى القرارات الدولية وعلى رأسها قرار ٢٤٢ .

و لقد مارس الغرب وإسرائيل ضغوطا على محمود عباس للحيلولة دون تشكيل حماس للحكومة ، ولكن محمود عباس أصر على الالتزام بنتيجة الانتخابات .

تشكيل حماس للحكومة

شكلت حركة حماس حكومة برئاسة إسماعيل هنية جميع الوزراء فيها حماسيون بعدما رفضت منظمة التحرير الفلسطينية المشاركة فيها بدعوى أن حماس ليس لديها برنامج سياسي واضح ، ولن تشترك فتح أو أي فصيل فلسطيني آخر في

---

[1])) حوار مع كامل الشريف أذيع على " قناة الحوار " الفضائية بتاريخ ٢٥/ ٧ / ٢٠٠٦

حكومة مع حماس إلا بعد الاتفاق أولا على برنامج سياسي وإلى أن يتم هذا فإنه ستعطي حكومة حماس الفرصة كاملة لإدارة شئون الحكم . على أساس أن تولي حماس للسلطة الفعلية سوف يكون بمثابة إعادة تأهيل وتعليم لها لأن وجودها في السلطة وارتباطها بالمشاكل سوف يهيئها لقبول ما كانت ترفضه من قبل ، ويعلمها الدرس الذي سبق لمنظمة التحرير أن تعلمته عندما مارست السلطة الفعلية وحوصرت بالمشاكل اليومية . فممارسة اللعبة في الميدان غير مشاهدة اللعبة من مدرجات المشاهدين .

وبالفعل تقلدت حماس الحكومة الفلسطينية يوم ٢٩ / ٣ / ٢٠٠٦ .

والسؤال هل يمكن لحماس أن تنفذ الأيديولوجية التي بنيت عليها ، وأن تفي بتعهداته التي قطعتها على نفسها في حملتها الانتخابية ؟

بمعنى آخر هل في قدرة حماس أن تحرر كل شبر في فلسطين من الكيان الصهيوني كما وعدت حتى وإن أيدها حلفاؤها (سوريا وإيران وحزب الله) ؟!

هل في مقدور حماس أن تتحدى إسرائيل وآلتها العسكرية الباطشة ، وأمريكا والغرب الذين يقفون وراءها ؟

هل في مقدور حماس أن تحقق ما فشل فيه كل العرب منذ ١٩٤٨ وحتى اليوم ؟

هل في مقدور حماس أن توحد الفصائل الفلسطينية تحت قيادتها ، وذلك أضعف الإيمان ؟

ومما صعَّب الأمور أمام حكومة حماس هو استمرار تمسك رئاسة السلطة الفلسطينية بخيار التسوية السلمية كخيار استراتيجي ، ولمؤسسة الرياسة ثقلها وصلاحياتها على مستوى السلطة التنفيذية والأجهزة الأمنية . فالأجهزة الأمنية محسوبة في معظمها على حركة "فتح" بسبب سياسة التوظيف القديمة التي كانت لا تنسب إلا عناصر "فتح" ومن في حكمهم إلى تلك الأجهزة، وبالتالي قد يلجأ البعض إلى سياسة التحريض في القطاعات الأمنية ضد سياسة الحكومة برئاسة "حماس" .

وبهذا أصبح للسلطة الفلسطينية رأسان متناطحان .

والحقيقة أن حكومة "حماس" أدركت مبكراً هذه التحديات، فعمدت إلى خطاب مسئول طمأن الجميع بأن الحركة لن تفصل أو تعزل أحداً في الأجهزة الأمنية وأنها معنية بالإصلاح ومحاربة الفساد الذي هو مسئولية كل فلسطيني شريف، وأوقفت حماس جميع العمليات الموجهة إلى الإسرائيليين فلم تطلق طلقة تجاه المدنيين الإسرائيليين أو حتى جنود الاحتلال مما أشاع أجواء من الارتياح، وأصاب الذين راهنوا على فشل حكومة حماس بخيبة أمل .

ولكن ما كانت حماس لتتخلى عن أفكارها الراديكالية ، وما كان أعداؤها ليتركوها تمارس السلطة وهي التي تتنكر لاتفاق أسلو الذي مكنهم من الوصول لهذه السلطة والنتيجة أن الأطراف الثلاثة المعارضة لتولي حماس السلطة (إسرائيل ، وأمريكا ، والاتحاد الأوروبي) بدأت تمارس ضغوطها ليس على حماس فحسب بل على الشعب الفلسطيني كله كأنها تعاقبه على اختياره لحماس .

الضغوط الدولية على الشعب الفلسطيني

ومن أهم هذه الضغوط التي مورست على الشعب الفلسطيني :

١- تجميد إسرائيل التحويلات الشهرية للعوائد الضريبية التي تقدر بحوالي ٥٠ مليون دولار أمريكي ، والتي تجمعها الحكومة الإسرائيلية نيابة عن الفلسطينيين .

٢- تأكيد إسرائيل المتكرر على أنها لن تتعامل مع حكومة حماس ما لم تنبذ الجماعة المتشددة العنف ، وتعترف بحق إسرائيل في الوجود ، وتقبل الاتفاقيات الفلسطينية الإسرائيلية السابقة .

٣- إعلان الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي وقف المعونات التى كانت تقدم للفلسطينيين ، وبدون هذه المعونات المالية الخارجية لا يمكن لحماس أن تسدد مرتبات ١٤٠ ألف موظف حكومي، ولا يمكنها أيضا أن تقوم بإصلاحات اقتصادية وسياسية تعهدت بها من قبل الناخبين .

وبدأت حماس تحس أنها خسرت كل شيء فلا أصبحت حكومة مدنية مقاومة للفساد ولا هي بقيت حركة دينية مقاومة للاحتلال ، والسبب في ذلك أنها حكومة

لا تمتلك قوة تنفيذية ، ولا موارد اقتصادية ، ولا أجهزة أمنية ، ولا تحالفات إقليمية قوية . بل على العكس تماما هي محاصرة داخليا بالسلطة الرئاسية والأجهزة الأمنية التابعة لها ، ومحاصرة خارجيا حدوديا واقتصاديا ، ومع ذلك ترفع شعار الممانعة " تقول لي ممانعة إيه البحر مش معها البحر مكشوف قدام إسرائيل.. إسرائيل جوه ، إسرائيل حواليها في كل حتة ، الناحية الثانية الأردن ناحية الضفة ، الناحية دي مصر كله مقفول عليها عشان تأخذ كهرباء تأخذها من إسرائيل عشان تأخذ مياه تأخذها من إسرائيل تستطيع أن تمانع إذا كان في وسعك أن تصمد وحدك أو أن تكون لديك تحالفاتك التي تعززك وتعزز قوتك لكن الوضع اللي حاصل النهارده أن الوضع الفلسطيني كله مكشوف قدام إسرائيل والوضع الإقليمي كله تقريبا يضغط بكل ما فيه على حماس " (¹) .

وعز على حماس أن تتراجع عن مبادئها وتقبل بشروط أعدائها ، وأرجعت السلطة الرئاسية تردي الأوضاع الفلسطينية إلى تعنت حكومة حماس وعدم التزامها ببنود كتاب التكليف . وبدأ كل طرف يلقي بالتهمة على الآخر فتتهم حماس رئيس السلطة الفلسطينية بتحالفه مع أعدائهم (أمريكا وإسرائيل) وضلوعه في الحصار المفروض على الشعب الفلسطيني لإسقاط الحكومة ، وتتهم السلطة الفلسطينية حكومة حماس بمسئوليتها عن العزلة والحصار المضروبان على الشعب الفلسطيني منذ فوزها بالانتخابات التشريعية .

وثيقة الأسرى

عندما اشتد الخلاف بين رئاسة السلطة والحكومة ، واشتد الحصار بات محتما على الطرفين المتصارعين أن يجلسا سويا ويتفقا على برنامج عمل مشترك ، وبدأت مبادرات كثير تطرح للخروج من هذا المأزق من بين هذه المبادرات وثيقة الأسرى أو وثيقة الوفاق الوطني الصادرة عن الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية ونشرت في ٢٠٠٦/٥/١١ والتي تدعو إلى إقامة دولة فلسطينية على

(¹) من حديث لمحمد حسنين هيكل بعنوان " الفلسطينيون وآفاق التسوية مع إسرائيل" أذيع على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٨ .

أراضي الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة، وتأكد على ضرورة تركيز المقاومة على الأراضي المحتلة .

طرحت الوثيقة ثمانية عشر بنداً باعتبارها الخطوط الرئيسية للوصول إلى وثيقة الوفاق الوطني الشامل دون أن تطرح آليات لتنفيذ هذه البنود تاركة مسئولية تحديد هذه الآليات للمتحاورين وهذه البنود هي :

١- حق الشعب الفلسطيني في الحرية والعودة والاستقلال وتحرير الأسرى استناداً إلى الحق التاريخي وميثاق الأمم المتحدة والقوانين الدولية والشرعية الدولية

٢- تفعيل وتطوير منظمة التحرير استنادا إلى اتفاق القاهرة باعتبار المنظمة الممثل الشرعي الوحيد لشعبنا كذلك تشكيل وجلس وطني جديد قبل نهاية عام ٢٠٠٦ .

٣- الحق في المقاومة في أشكالها المتعددة في الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧م.

٤- توحيد الخطاب الفلسطيني على أساس برنامج إجماع وطني وعلى قرارات الشرعية العربية والدولية المنصفة .

٥- تعزيز السلطة وحمايتها باعتبارها نواة الدولة المستقلة ، واحترام الدستور والقوانين واحترام مسئوليات الرئيس ورئيس الحكومة وتسوية الخلاف بينهما بالحوار وإصلاح مؤسسات السلطة وخصوصا القضاء وتكريس سيادة القانون .

٦- تشكيل حكومة وحدة وطنية تنفذ برنامج الإصلاح وتحارب الفساد .

٧- المفاوضات من صلاحيات منظمة التحرير ورئيس السلطة على أن يتم عرض أي اتفاق مصيري يتم التوصل إليه على المجلس الوطني أو إجراء استفتاء

٨- تحرير الأسرى والمعتقلين .

٩- رعاية اللاجئين وتطبيق قرار ١٩٤ .

١٠- تشكيل جبهة المقاومة الفلسطينية وتشكيل مرجعية موحدة لها .

١١- التمسك بالخيار الديمقراطي وإجراء انتخابات دورية ونزيهة .

١٢- رفض وإدانة الحصار والدعوة إلى تطبيق قرارات القمم العربية السياسية والاقتصادية والإعلامية والتأكيد على التزام السلطة بالإجماع العربي والعمل العربي المشترك .

١٣- الدعوة إلى الوحدة والتلاحم ومساندة المنظمة والسلطة ورفض التدخل في الشئون الداخلية الفلسطينية .

١٤- إدانة استخدام السلاح والالتزام بالحوار والتعبير عن الرأي ومعارضة السلطة في إطار القانون ، والحق في الاحتجاج وتنظيم المسيرات والاعتصامات السلمية .

١٥- البحث عن أفضل الطرق لمشاركة شعبنا في غزة في الوضع الجديد في معركة الحرية والاستقلال وتحرير الضفة

١٦- تطوير المؤسسة الأمنية لحفظ الأمن العام وتنفيذ القانون ووضع حد للانفلات الأمني ومصادرة سلاح الفوضى .

١٧- أن يصدر المجلس التشريعي القوانين التي تنظم عمل المؤسسة الأمنية من ممارسة النشاط السياسي والحزبي .

١٨- توسيع دور وحضور لجان التضامن الدولية والمجموعات المحبة للسلام لدعم صمود شعبنا ونضاله العادل .

في البداية رفضت حكومة حماس بشدة هذه الوثيقة لأنها تمثل رؤية فتح وتتناقض مع مبادئ حماس ، مما اضطر الرئيس عباس إلى تهديدهم إما قبول هذه الوثيقة أو إجراء استفتاء شعبي ، ورفضت حماس فكرة الاستفتاء على الوثيقة مدعية أنه إجراء غير دستوري ، وأخيرا اضطرت إلى الموافقة على ما جاء في الوثيقة ، في اليوم التالى لعملية " الوهم المتبدد " التي قامت بها كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لها والتي أسفرت عن مقتل جنديين إسرائيليين، واختطاف ثالث .

وبعد أن تأولت حماس ما جاء في وثيقة الأسرى من بنود ليتمشى مع مبادئها تمسكوا بها وجعلوها وثيقة مقدسة فقد رأت حماس أن هذه الوثيقة لا تتعارض مع ثوابتها فهي لا تلزمهم بوجوب الاعتراف بإسرائيل ، كما أنها تعطيهم الحق في المقاومة بأشكالها المتعددة في الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧م بما فيها الكفاح المسلح .

وإليك قراءة د. موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس لوثيقة الأسرى " إن الشعب الفلسطيني من حقه أن يمارس المقاومة والنضال لإنشاء دولته الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ثم إعادة تشكيل منظمة التحرير على أسس جديدة وبناءً على الآلية التي تم التوافق عليها في القاهرة.

أيضا من أهم الأسس أن هناك مقتضياتٍ متعلقة بالحوار السياسي بناءً على شرعية القرارات الأممية وشرعية القرارات العربية أيضا لتحرك سياسي في إطار من التوافق العالمي لخدمة أهداف ومصالح الشعب الفلسطيني، أيضا العمل على كسر الحصار المفروض على الشعب الفلسطيني، ومعاقبته بسبب خياره الديمقراطي." (1)

ومن الواضح أن حماس أخذت من الوثيقة ما لها وغضت الطرف عما عليها . فقد أخذت ما تعطيه لها الوثيقة من حقوق وتجاهلت ما تلزمها به من واجبات .

أما موقف فتح من الوثيقة فيوضحه الرئيس عباس فيقول : " جاءتنا مشاريع وثائق كثيرة من القطاع الخاص من الجبهة الديمقراطية من الجبهة الشعبية من من من . . . من الأسرى (بالمناسبة الأسرى لديهم حس وطني أكثر منا) قدمت هذه الوثائق فقلت وثيقة الأسرى التي تعبر عن ضمير أناس لا أجندات شخصية هي التي أتبناها وقامت الدنيا ولم تقعد وثيقة أميركية، وثيقة إسرائيلية .

فجاءت هذه وثيقة "الهدريم" (2) ووضعناها أمامهم وقلنا إما أن تتفقوا وإما أن تذهبوا إلى الاستفتاء طبعاً بعد أن قيل في الاستفتاء ومن كتبه ما قيل حصلت حادثة

---

(1) د. موسى أبو مرزوق في لقاء خاص مع المركز الفلسطيني للإعلام بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٤ .

(2) " الهدريم" هو اسم السجن الإسرائيلي المعتقل فيه الأسرى الفلسطينيين الذين أصدروا هذه الوثيقة .

الجندي، وفي اليوم التالي على ما أذكر وُقِعَت وثيقة هدريم بالكامل والآن الكل يتحدث ميثاقنا الأساسي وثيقة الوفاق الوطني. أنا أضع بين قوسين هدريم صارت المقدسة التي لا يجوز مسها وهي يجب أن تكون مرجعية لنا لا أحد يزاود على أحد. اليوم يقولون خونة وغدا هم على صواب وبعد غد يقولون سيئين. وهذا وطني وهذا شرعي وهذا غير شرعي. الفتاوي تطلق بهذه السرعة كل واحد يبيح لنفسه أن يفتي إلا المفتي! لأن المفتي لا يقول شيئا إلا عن علم وإيمان وعقيدة ومرجعية ودراسة مستفيضة " (1)

عملية " الوهم المتبدد " المقدمات والنتائج

واجهت حماس صعوبات كثيرة متواصلة . فمادامت لم تعترف بإسرائيل ولم تعلن التخلي عن الكفاح المسلح ، فإن سياسة إسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي حتى مؤسسة الرئاسة الفلسطينية تجاه حماس لن تتغير.

ولم يعد أمام حماس إلا خياران :

١- الاعتراف بإسرائيل وبالمبادرة العربية مبادرة السعودية التي تبناها مؤتمر القمة العربية المنعقد في بيروت ٢٠٠٢ . وبالتالي تفقد حماس كيانها ومبررات وجودها وترضخ للضغوط الداخلية والإقليمية والدولية وتصبح صورة مكررة من فتح .

٢- والاختيار الثاني هو الاستمرار في سياستها في تبني الكفاح المسلح ضد إسرائيل وعدم الاعتراف بالمعاهدات الموقعة مع إسرائيل . مما يعرضها بل يعرض الشعب الفلسطيني كله للعدواني الإسرائيلي الغاشم المؤيد بدعم أمريكي غربي .

فماذا تعمل حماس والحالة هذه ألقت سلاح المقاومة الذي أوصلها للسلطة ، وشُلت حركتها وهي في السلطة . خسرت تأييد من انتخبوها ولم تكسب تأييد من عارضوها لذا قررت أن تلجأ إلى سلاح المقاومة مرة ثانية لعله يعيد ثقة أنصارها فيها ، ويجبر أعداءها على التخلي عن سياسة العزلة التي فرضوها عليها .

---

(1) من خطاب سيادة الرئيس محمود عباس رام الله ٢٠٠٦/١٢/١٦ .

لذا أقدمت حماس على عملية " الوهم المتبدد " التي قامت بها كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحماس عملية والتي أسفرت عن مقتل جنديين إسرائيليين، واختطاف ثالث . رغم توقيع حماس لوثيقة الوفاق الوطني (وثيقة الأسرى) .

وهذا هو التصريح الذي أذاعته حماس بشأن هذه العملية :

" بعون الله تعالى وتوفيقه ومنه علينا تمكن مجاهدو كتائب الشهيد عز الدين القسام وألوية الناصر صلاح الدين وجيش الإسلام من تنفيذ عملية " الوهم المتبدد " والتي بدأت في تمام الساعة ٥:١٥ من صباح اليوم الأحد الموافق ٢٠٠٦/٠٦/٢٥م ، حيث استهدفت العملية مواقع الإسناد والحماية التابعة للجيش الصهيوني على الحدود الشرقية لمدينة رفح حيث تم إنزال مجاهدينا خلف خطوط العدو لاستهداف أهداف عسكرية واستخبارية ؛ إذ تم مهاجمة مدرعة صهيونية مما أدى إلى مقتل طاقمها بالكامل كما تم استهداف دبابة صهيونية فقتل جميع من كانوا بداخلها وقد تمكن مجاهدونا من الإجهاز على طاقم الموقع بالكامل وقد عاد مجاهدونا إلى قواعدهم تحفهم عناية الرحمن بعد أن نكلوا في هذا العدو وشفوا صدور قوم مؤمنين.

وإننا في كتائب الشهيد عز الدين القسام وألوية الناصر صلاح الدين وجيش الإسلام إذ نعلن مسئوليتنا عن هذه العملية النوعية البطولية فإننا نهدي هذه العملية لجميع الأسرى والأسيرات في سجون الاحتلال الصهيوني كما نهديها إلى أمتنا العربية والإسلامية ،وتأتي هذه العملية في سياق الرد المزلزل على جرائم الاحتلال الصهيوني المتواصلة .

ونعاهد الله تعالى ثم أبناء شعبنا الفلسطيني أن نبقى الأوفياء لدماء الشهداء وأن نرد على جرائم الاحتلال وأن نلقن العدو الصهيوني الدروس القاسية التي لن ينساها بإذن الله تعالى . وإنه لجهاد نصر أو استشهاد " [1]

([1]) مركز الإعلام الفلسطيني .

وفي اليوم التالي جاء البيان العسكري رقـم (١) الصادر عن كتائب الشهيد عز الدين القسام وألوية الناصر صلاح الدين وجيش الإسلام حول الجندي الصهيوني المفقود .

" .. بعد توفيق الله لمقاتلينا الذين خاضوا معركة (الوهم المبدد) ، أبناء كتائب الشهيد عز الدين القسام وألوية الناصر صلاح الدين وجيش الإسلام ، والنتائج المشرفة التي حققتها هذه الموقعة الباسلة، واستجابة للوساطات والتدخلات المختلفة فإننا نعلن التالي :

إن الاحتلال لن يحصل على أي معلومات حول جنديه المفقود إلا بعد أن يلتزم بالتالي :

أولا : الإفراج الفوري عن كافة الأسيرات في السجون .

ثانياً: الإفراج الفوري عن كافة الأطفال في السجون دون سن الثامنة عشر، حيث يتنافى هذا الاعتقال مع كل القيم الإنسانية . " [1]

وقامت قيامة إسرائيل ووجدت في اختطاف الجندي الإسرائيلي " جلعاد شاليت" ومطالبة المختطفين مفاداته بالإفراج الفوري عن كافة الأسرى في السجون الإسرائيلية ، وجدت في ذلك ذريعة لتشديد حصارها على حماس ، مستخدمة فى ذلك الوسائل السياسية والعسكرية فعلى الصعيد السياسي قطعت نهائياً اتصالاتها مع السلطة الفلسطينية . أما على الصعيد العسكري، فإن إسرائيل قامت باجتياح غزة التي كانت قد انسحبت منها ، كما قامت إسرائيل باعتقال ٢٩ نائبا ووزيرا من حماس بالإضافة إلى رئيس المجلس التشريعي عبد العزيز الدويك ، وشن غارات وحشية عليها مما كبد الشعب الفلسطيني مئات القتلى وآلاف الجرحى غير هدم البيوت وتدمير البنية التحتية ، وإغلاق المعابر ، ومازال الاعتداء مستمرا .

وتعترف حماس ببشاعة رد الفعل الإسرائيلي على عملية اختطاف الجندي الإسرائيلي فتقول : " إن تقرير وزارة الصحة الفلسطينية الذي يشير إلى ارتفاع

---

(1) نفسه .

٢٣٢ شهيدا وإصابة ١٣٢٧ جريحا فلسطينيا منذ بدء العدوان الصهيوني الحاقد ضد مدن وقرى ومخيمات قطاع غزة في ٢٠٠٦/٦/٢٥وحتى يوم ٢٠٠٦/٨/٤ يؤكد على حجم الوحشية الصهيونية المعتملة في نفوس قادة وجنود الاحتلال، ومستوى التعطش لإراقة الدماء الفلسطينية إشباعا لنزوات انتقامية مريضة ومجنونة، لا تعرف للمبادئ الإنسانية مكانة، ولا تدرك للقيم الأخلاقية " (1)

ويقول الرئيس عباس تعليقا على عملية " الوهم المتبدد " :

" المهم وقعت وثيقة الأسرى ، ثم حصلت الحرب على غزة بسبب الأسير الذي كلفنا للأن (٢٠٠٦/١٢/١٦) ٥٠٠ شهيد، عداً ونقداً وأكثر من ٤٠٠٠ جريح عداً ونقداً آلاف البيوت عداً ونقداً وآلاف دنمات الأشجار عداً ونقداً بس هذا كلف ولا يزال يكلفنا للآن ولا يزال كأنه استمرئت قضيته والحديث عنه.

ما الذي يمنع أن العالم كله يتوجه إلينا ليتحدث عن الأسير ونحن في كل يوم ندفع الضحايا الشهداء والجرحى والأموال من هذه الشعب المسكين الذي أصبح، لا نستطيع أن نقول دون مستوى الفقر كلمة دون مستوى الفقر ما عادت تنفع" (2)

والأخطر من هذا أن عملية الوهم المتبدد قد بددت وهم التفاهم بين فتح وحماس أو بين السلطة الرئاسية والحكومة ، وبدأ الصدام المسلح بين الفصيلين الفلسطينيين مما أدى إلى ما يشبه الحرب الأهلية .

وفي هذا يقول الرئيس عباس :

" الوضع يزداد سوءاً بالإضافة إلى الفلتان الأمني، حيث أن ٣٢٠ شخصاً قتلوا جراء الفلتان الأمني هذا غير الذي قتل من آثار الجندي الأسير، والمؤسسات، وغير ذلك حتى الحكومة لا تستطيع أن تجتمع والمجلس التشريعي لا يستطيع أن يجتمع، إن مجلس الوزراء في أحسن الأحوال يجتمع بواسطة الـ "فيدو كونفرس"، لكن

---

(1) من بيان صادر عن حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في ٥ أغسطس ٢٠٠٦

(2) من خطاب سيادة الرئيس محمود عباس رام الله ٢٠٠٦/١٢/١٦

الذي يحصل الآن أن جزءاً من الوزراء في السجن وجزء من الوزراء هناك مطارد وكذلك المجلس التشريعي لا أعرف إذا اجتمع أو لم يجتمع منذ فترة طويلة، ولكن لا يجتمع إذاً كل المؤسسات التشريعية والتنفيذية معطلة. طبعاً أجهزة الأمن معطلة لأنها لا تأكل ولا تشرب وهم بشر مثلنا عندهم أولاد وعندهم أطفال وعندهم التزامات، والي يأخذون نقلهم احمل بارودتك واطلع احمي الأمن. هذا الوضع كله دعا إلى بدء الحوار لماذا الحوار، المجلس التشريعي عمل مبادرة، وهذه تسجل له بعد ثلاثة أشهر أو أقل قليلاً شعروا بالمأزق شعروا بأنه هناك حصار شعروا أنه في مشكلة وهذه المشكلة يجب أن تحل هذا الحصار جاء نتيجة هذه التركيبة نتيجة لهذه الحكومة نتيجة لوضع هذه الحكومة الذي ترفض أن تتواءم مع الشرعية الدولية، فقالت قيادة المجلس التشريعي، وأظن اللجنة السياسية أو غيرها نعم نريد حواراً رحبنا بالحوار بس لماذا الحوار في مشكلة نريد حل لهذه المشكلة كيف؟ بدأ المتحاورون هنا في هذه القاعة وبدءوا أياماً وأياماً فقلت لهم الحوار من أجل الحوار هذا أمر لا يمكن أن تأتي منه فائدة. (1)

عقبات في سبيل حكومة الوحدة الوطنية

بعد أن انتهت حرب إسرائيل السادسة على لبنان جلس الفرقاء الفلسطينيون للتحاور والعودة إلى وثيقة الأسرى " لأن الوثيقة ملخصها تشكيل حكومة وحدة وطنية، باختصار وفيها مبادئ سامية فيها مبادئ محترمة والكل وقع عليها، وكيف نشكل هذه الحكومة كان هناك الحوار .. واتجهنا لكي نشكل الحكومة ، وجلست طويلاً مع الأخ رئيس الوزراء وفريق معه، وكان معي من الأخوان روحي فتوح وغيره من الإخوان، كيف يمكن أن نخرج من هذا المأزق، فوضعنا ما سميت فيما بعد بالمحددات ما هي المحددات ؟ فيها أننا نحن نعترف بالمرجعيات التي وقعت عليها منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها المرجعية السياسية للسلطة الوطنية الفلسطينية. والوزارة، تساعد الرئيس في مهماته ولا تتاكف الرئيس في مهماته ولا يوجد رأسان في البلد، الحكومة وقعت على مرسومها، ويمكن أن أوقع على مرسوم

---

(1) من خطاب سيادة الرئيس محمود عباس رام الله ٢٠٠٦/١٢/١٦

لإقالتها هذا من حقي، ولأفعله متى أريد حق دستوري أفعله متى أريد، القانون الأساسي يقول، وهذا مكتوب في المحددات فلنرجع للمحددات التي وُقِّع عليها من طرفين ، الحكومة تساعد الرئيس في وضع السياسية المنبثقة من الشرعية الدولية والشرعية العربية والمبادرة العربية، ثم هناك نقاط أخرى مثل لجنة مفاوضات أو غيرها، اتفقنا وخرجنا على الجمهور وزففنا له بشرى: إننا وقعنا على هذه المحددات و أبشروا بالانفراج والانتهاء من الحصار، هذا الكلام كان في ٩/١١/ ٢٠٠٦، نحن أيضاً لدينا ٩/١١ وليس أميركا .

بعد ثلاثة أيام وأنا أغادر، أريد أن أذهب إلى الأمم المتحدة لأسَوّق حكومة برئاسة إسماعيل هنية، يعني نفس الحكومة، أنا شخصياً أحترم هذا الرجل وأراه شخصاً محترماً إن من واجبي أن أقول للأمريكان نعم أريد حكومة وحدة وطنية برئاسة إسماعيل هنية. وأنا خارج من البيت جاءني الأخ إسماعيل هنية قائلاً: يوجد لدي مستدركات، ما هي هذه المستدركات ؟!

أولاً: نحن نرفض المبادرة العربية، ونحن لا نريد أن نكون جزءاً من تشكيل لجنة المفاوضات، قلت له لماذا أنتم ضد المبادرة العربية،(قال هنية) لسببين: الأول أنها تتجاهل قضية اللاجئين، والثاني أنها تدعو للاعتراف بإسرائيل .

قلت له هل قرأت المبادرة ؟ قال نعم، قلت دعني أصحح لك ما قرأته وبالمناسبة كثير منا يحكي على خطة خارطة الطريق، إنني أتحدى ٩٠% من الذين يتكلمون عنها أنهم قرؤوها.

قلت إن المبادرة العربية فيها نص واضح وصريح حول قضية اللاجئين، يقول حل عادل متفق عليه حسب القرار ١٩٤ وهذا القرار لأول مرة يذكر في وثائق دولية منذ صدر منذ عام ١٩٤٩، كانت إسرائيل تضع "فيتو" على قرارين هما:١٩٤ و١٨١ وضع الـ ١٩٤ في قرار مجلس الأمن ١٥١٥ الذي وضعت فيه خطة خارطة الطريق التي تتضمن المبادرة العربية، وتتضمن رؤية الرئيس بوش .

لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، تأتي المبادرة العربية من دولة عربية تقول بأنها مستعدة هي والعرب والمسلمين جميعاً لتطبيع علاقات مع

إسرائيل إذا انسحبت إسرائيل من الأراضي الفلسطينية، وإذا انسحبت إسرائيل من الأراضي العربية، وإذا قامت دولة فلسطينية، وإذا حلت القضية الفلسطينية من جميع وجوهها، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان، والأربعة شروط تحتاج لأربعة حروب دولية، ومع ذلك يقول العرب إذا حصل، أين الاعتراف بإسرائيل ؟! فقال هنية هذه لا نستطيعها.

ذهبنا إلى الأمم المتحدة ونيويورك خالي الوفاض عريانين خصوصاً التصريحات التي سبقتنا، والتي قالوا لنا جميعاً (العب غيرها) ماذا تُسَوِّق لنا ؟ دعك من هذا الموضوع، والعرب قالوا نفس الكلام لأنهم دول تحترم نفسها، ماذا يعني تحترم نفسها تسوي مبادرة وتقلهم ما بديش إياها إعطوني بس الفلوس والسلاح، وفي واحد من الإخوان قال لهم أعطوني الفلوس والسلاح واتركونا .

كيف يكون هذا الكلام، هذه دول وأنت موافق على هذا هذه أريدها وهذه لا، فالعرب أيضاً في كل مناسبة يتحدثون عن ضرورة الالتزام بالشرعية الدولية فرجعنا كما عدنا، واعتبرنا أن الموضوع انتهى وللأسف الشديد لم تضبط معنا الأمور . (1)

ويذهب الرئيس محمود عباس إلى نيويورك ويعلن أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة " أن أي حكومة فلسطينية سيتم تشكيلها ستعترف بإسرائيل وستلتزم بالاتفاقات الموقعة معها . "

وفي أول رد فعل لخطاب أبي مازن أعلن إسماعيل هنية رئيس الوزراء الفلسطيني في تصريحات بعد صلاه الجمعة ٢٢ /٩ / ٢٠٠٦ قبول حركه حماس **بإقامة دولة فلسطينية ذات سيادة علي الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ مقابل هدنة لمدة عشر سنوات , غير أنه أضاف أنه لا يوجد تغيير في مواقف حماس !!**

وأوضح هنية أن حركته وافقت علي المبادرة العربية فيما يتعلق بتأكيدها علي ضرورة الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية وحق اللاجئين والإفراج

---

(1) من خطاب سيادة الرئيس محمود عباس رام الله ٢٠٠٦/١٢/١٦

عن الأسرى لكن ليس مقابل الاعتراف بإسرائيل بل مقابل هدنة مدتها ١٠ سنوات مع الاحتلال الإسرائيلي كبديل عن الاعتراف بإسرائيل .

وفي أول رد فعل علي اقتراح الهدنة رفض ديوان رئيس الوزراء الإسرائيلي فكرة إعلان هدنة لمده عشر سنوات التي طرحتها حركه حماس ردا علي خطاب الرئيس محمود عباس الذي ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة وقال فيه أن كل حكومة فلسطينية قادمة ستلتزم بما التزمت به منظمه التحرير الفلسطينية والسلطة من اتفاقيات في الماضي خاصة رسالة الاعتراف المتبادل الموقعة في ٩ سبتمبر ١٩٩٣ بين الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي– حينئذ اسحق رابين وأضاف ديوان رئيس الوزراء أن إسرائيل لن تستأنف المفاوضات مع الفلسطينيين إلا بعد اعتراف حكومة الوحدة الوطنية وحركه حماس بالمبادئ التي حددتها اللجنة الرباعية الدولية (المكونة من الأمم المتحدة وروسيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي) وهي : الاعتراف بإسرائيل ونبذ العنف ، والإقرار بالاتفاقات الموقعة .

ووضح استحالة استمرار حكومة حماس في السلطة ، وبدا تشكيل حكومة وحدة وطنية بشروط اللجنة الرباعية هو الحل للخروج من هذا المأزق .

وكان رد حماس الرسمي على فكرة تشكيل وحدة وطنية كالتالي :

" إننا في حركة المقاومة الإسلامية "حماس" إذ نبارك الجهود الحثيثة المبذولة لإنجاح تشكيل حكومة الوحدة المنتظرة، وترحيبنا بكل ما من شأنه التخفيف من معاناة شعبنا وتحقيق مصالحه الوطنية، فإننا نؤكد على ما يلي :

أولا : إن خيار الوحدة الوطنية، التي تشكل حكومة الوحدة الوطنية إحدى تجلياته هو خيار صادق وأصيل في سياق فهم واستراتيجية حركة حماس، ولن نتوانى عن دعمه وإنجاحه سياسيا وميدانيا بكل الأشكال الممكنة والأساليب المتاحة .

ثانيا : إن البرنامج السياسي الذي تم التوافق عليه وطنيا ينطلق في أسسه ومحدداته من **وثيقة الوفاق الوطني** التي رسمت رؤية شمولية لمعالجة قضايا الواقع

الفلسطيني في مختلف المجالات، بما يحقق المصالح الوطنية العليا لشعبنا الفلسطيني في ظل تحديات الحصار السياسي والاقتصادي التي عصفت به طيلة الأشهر الماضية .

ثالثا : إن الادّعاءات والإشاعات التي أطلقها البعض حيال تنازل حركة حماس عن ثوابتها ومواقفها السياسية في إطار البرنامج السياسي المتفق عليه، هي ادعاءات باطلة وإشاعات مغرضة عارية تماما عن الصحة، وتستهدف تشويه صورة ومواقف حركة حماس في عيون الجماهير الفلسطينية، إذ أن البرنامج الذي تم إنجازه يمثّل برنامج القواسم المشتركة المجمع عليها فلسطينيا، ولا يتضمن أي اعتراف، ضمني أو صريح، بشرعية الكيان الصهيوني، أو أي تنازل عن المبادئ والمواقف والثوابت الوطنية، مؤكدين على تمسك حركة حماس ببرنامجها الخاص بها، وخصوصا فيما يتعلق بالتمسك بخيار المقاومة ورفض الاعتراف بالاحتلال الصهيوني .

رابعا: إن البرنامج السياسي الذي تم إنجازه يمنح مساحة جيدة للتحرك الفلسطيني الجمعي في إطار المتغيرات بما ينسجم مع مقتضيات المصلحة الفلسطينية، ودون أي مساس بالحقوق والثوابت الوطنية التي يؤكد عليها البرنامج، ويشدد على الالتزام بها مهما بلغت التحديات.

خامسا: إن كافة القوى والأطياف السياسية الفلسطينية مطالبة اليوم بالوقوف عند كامل مسؤوليتها عشية تشكيل حكومة الوحدة المرتقبة في هذه المرحلة الحساسة من عمر شعبنا وقضيتنا، فلم يعد هناك متسع للهروب من حمل الأمانة وتحمل المسؤولية، أو مجال للانكفاء عن خدمة شعبنا ومواجهة الأخطار والتحديات التي تستهدف قضيتنا الوطنية إثر تذليل العوائق التي حالت سابقا دون التئام الشمل الوطني، والانتظام ضمن مسار وطني موحد.

سادسا : نأمل أن تشكل حكومة الوحدة المنشودة فاتحة خير لعلاقات وطنية أكثر مسؤولية وانفتاحا والتزاما، تؤسس لعهد جديد من التكاتف والتعاون والوفاق

الوطني، وترتفع بالوطن ومصالحه وقضاياه فوق مختلف المصالح والأجندات الخاصة .

وختاما.. فإننا أمام تحدٍّ فلسطيني جديد ينبغي مواجهته بكل حكمة ومسئولية وطنية، لبلوغ أهدافنا ومصالحنا الوطنية المنشودة، مما يستوجب إعلاء راية التعاون والتكاتف والعمل الوحدوي المشترك، والابتعاد عن كل لون من ألوان المزايدة السياسية والإعلامية، وتجنّب أي شكل من أشكال العبث والمراهقة الضارة بوحدتنا الوطنية وآفاق حل أزماتنا ومشاكلنا الداخلية . وإنه لجهاد : نصر أو استشهاد "

حركة المقاومة الإسلامية "حماس"   في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م

ولكن حكومة الوحدة الوطنية المزمع تشكيلها قد أخذت وقتها طويلا جدا فقد أصرت حماس على التمسك بحقائب الوزارات السيادية ، أما الرئيس عباس فقد رأى أن " على الحكومة أن تعترف بالشرعية الدولية والشرعيات العربية والاتفاقات الموقعة، وأن تعترف بدولتين وتنبذ الإرهاب بشكل متبادل " حتى يرضى المجتمع الدولي عنها و يقبل أن يرفع الحصار الاقتصادي والمقاطعة عن الشعب الفلسطيني.

وكحل وسط اقترح الرئيس عباس تشكيل حكومة تكنوقراطية أي حكومة من الفنيين المتخصصين في شئون سياسة البلاد على أساس علمي وفني للخروج من هذه الأزمة حالكة السواد التي أوصلت الشعب الفلسطيني إلى حرب أهلية .

" والحل يتمثل في حكومة وحدة وطنية بوفاق وطني من شرائح خبراء المجتمع الفلسطيني، هدفها فك الحصار، أنا لا أريد حكومة رفاهية أريد حكومة فك الحصار، لأن الحكومة الحالية تستطيع عمل كل شي لكن ما دامت غير قادرة على فك الحصار، أصبحنا بحاجة لحكومة تفك الحصار .. واشتغلنا وبدأنا حوار بلجان، فاختلفت اللجان ولم تصل إلى نتيجة وجلست أنا وهنية لمدة أسبوعين كاملين نحاول أن نصل إلى نتيجة، رفض الذي كنت أطلبه، حكومة وحدة وطنية تفك الحصار، لا يهمني من، المهم تفك الحصار " (١)

---

(١) من خطاب سيادة الرئيس محمود عباس رام الله ٢٠٠٦/١٢/١٦

رفضت حماس بشدة فكرة تشكيل حكومة تكنوقراطية لفك الحصار وأصرت على حقها الدستوري في تشكيل حكومة تمثل نسبتها في المجلس التشريعي. وترتب على تمسك كل طرف بموقفه مزيدا من الاقتتال الداخلي وخطف الرهائن واستهداف القيادات .

وفي أثناء ذلك وقبل التوصل إلى حل بشأن حكومة الوحدة الوطنية قرر رئيس الوزراء إسماعيل هنية أن يخرج في جولة عربية إسلامية بهدف كسر الحصار المالي والسياسي المفروضين على الشعب الفلسطيني ، إلى جانب حشد تأييد الفصائل المقيمة في الخارج للوحدة الوطنية ، وقد بدأت الجولة يوم الثلاثاء ٢٠٠٦/١١/٢٨م وشملت مصر وسوريا وقطر وإيران والسودان ، وانتهت يوم الأربعاء ٢٠٠٦/١٢/١٣م .

وأشار هنية إلى أنّ الجولة قد حققت نجاحًا كبيرًا على مستوى كسر الحصار المالي والسياسي المفروضين على الحكومة الفلسطينية. وقد جلبت الجولة دعما ماديا للشعب الفلسطيني يقدر بنحو ٧٠٠ مليون دولار .

وعند عودة هنية عن طريق معبر رفح احتشد أفراد الأجهزة الأمنية التابعة لرئاسة السلطة بدعوى تأمين عودة رئيس الوزارة ، كما احتشد أفراد القوة التنفيذية التابعة لحماس بدعوى الاحتفال بعودة رئيس الوزراء وتأمين موكبه كذلك ، وحدث احتكاك بين أفراد القوتين وتبادل إطلاق نار ، وتدمير للمعبر ، وأشاعت حماس أن هناك مؤامرة لاغتيال إسماعيل هنية رئيس الوزراء من قبل الأجهزة الأمنية التابعة لفتح حسدا له على ما حققه من نجاح في جولته .

أما رواية فتح فيلخصها الرئيس عباس في الآتي :

" أعلمنا رئيس الوزراء أنه يود القيام بجولة عربية وإسلامية، وقلنا له إن هذا الأمر هو حق لك. عندما جاء هنية ليدخل من معبر رفح، جرى هناك تعطيل، وجاءت جموع تستقبل رئيس الوزراء من زيارته الناجحة، وتحمل الأربيجيهات والأسلحة الرشاشة, واجتاحت هذه الجموع المعبر الفلسطيني، وحطمته وكسرته

وسرقته .. لماذا ؟ هذه الأحداث أدت إلى خروج المراقبين الدوليين من المعبر، وقالوا لنا إن النيران أطلقت باتجاههم. أين هي المؤامرة ؟ فنحن كنا نحاول تأمين دخول هنية مع الجهات الثلاث (الإسرائيلية ، المصرية ، الأوروبية) . هل لدينا سيادة في الوطن أولا كي نؤكد السيادة على المعبر ؟.

ولمعلوماتكم أقول لأول مرة إني جمعت وزير الداخلية ورئيس الوزراء مع كل الأجهزة الأمنية، بما فيها حرس الرئيس مرتين، وأبلغت كل هذه الأجهزة أمامهم، الأجهزة سيادة الوزير بإمرتك جميعها بإمرتك كي تعطيها التعليمات وهي تنفذ وهي كلها بإمرتك وكتبت هذا بخط يدي لكل الأجهزة وهي معروفة تماماً لدى وزير الداخلية. انه مصمم على أن يكون قائداً لفصيل وليس قائداً لكل الفصائل ليس قائدا لكل القوات، ثم يحمل الناس المسؤولية هذا أيضاً عجز لو سألنا أنفسنا لماذا هذه الفوضى؟ نحن نعرف لماذا هذه الفوضى، نعرف تماماً هناك فلتان، نعرف هناك أن حبل الأمن مضطرب للغاية " (1)

ولم يجد الرئيس عباس إزاء كل هذه الفوضى إلا الدعوة إلى انتخابات رئاسية وتشريعية مبكرة " نحن في أوضاع مزرية، في أوضاع صعبة، هل نستمر فيها؟، يجب أن نخرج منها، لذلك وبعد قراءتي لتوجهات الشارع الذي ينتظر الخلاص، وينظر إلى رئيسه المنتخب، الذي حمله الأمانة، ولكي لا نبقى جميعاً ندور في حلقة مفرغة بينما حياتنا تتراجع كل يوم، وقضيتنا تتناسى، إنني قررت الدعوة لانتخابات رئاسية وتشريعية .

أنني لا أذهب إلى هذا الخيار من باب الترف، أو النزق السياسي، وفي كل وقت سيظل هدفي الاتفاق على تشكيل حكومة وحدة وطنية، من الكفاءات الوطنية لفك الحصار عن شعبنا، وتخرجنا من هذا المأزق، لأنها خيارنا الأول، وعلى الجميع أن يتحمل مسؤولياته لتحقيق هذا الهدف. (2)

وبعد هذا الخطاب اشتدت الأزمة وازداد الفلتان الأمني حيث نزلت ميلشيات حماس (القوة التنفيذية) لتواجه الأجهزة الأمنية التابعة لسلطة الرئاسة .

---

(1) من خطاب سيادة الرئيس محمود عباس رام الله ٢٠٠٦/١٢/١٦

(2) نفسه .

اتفاق مكة للوفاق الوطني

ونتيجة للوضع المتردي في فلسطين فقد دعا العاهل السعودي في نداء إلى المسئولين في حركتي فتح وحماس إلى حقن الدماء والحضور إلى مكة لعقد "لقاء عاجل" ومناقشة أمور الخلاف بينهم "دون تدخل أي طرف آخر". وتزامن نداء العاهل السعودي مع مبادرة مصرية مكونة من خمس نقاط لإنهاء الاقتتال وعودة الهدوء، وحظيت بترحيب الحكومة وحماس وموافقة فتح على التطبيق الفوري للخطة. وتأتي تلك المبادرات والدعوات العربية لوحدة الصف الوطني الفلسطيني، مع تواصل الاشتباكات في قطاع غزة ما أدى إلى مقتل ٢٦ مواطنا في غضون ثلاثة أيام إلى جانب عمليات التفجير والاختطاف المتبادل.

وكان العاهل السعودي قد وصف ما يحدث بين الفلسطينيين من عمليات قتل واختطاف متبادل، بأنه "وصمة عار لطخت تاريخ الكفاح الوطني المشرف لأبناء الشعب الفلسطيني، الذين استشهدوا في سبيل الله لتحرير وطنهم من براثن الاحتلال"، حسبما نقلته وكالة الأنباء السعودية الرسمية. [1]

وفي مكة تم الاتفاق الذي حمل اسم المكان الذي عقد فيه "مكة المكرمة" وأكد اتفاق مكة للوفاق الوطني على تحريم الدم الفلسطيني، وضرورة اتخاذ كافة الإجراءات والترتيبات، التي تحول دون إراقته، مع التأكيد على أهمية الوحدة الوطنية كأساس للصمود الوطني . ويقضي الاتفاق، الذي وقعه الرئيس محمود عباس وخالد مشعل وأعلنه السيد نبيل عمرو، المستشار الإعلامي للسيد الرئيس محمود عباس، على تشكيل حكومة وحدة وطنية فلسطينية، وفق اتفاق تفصيلي، معتمد بين الطرفين، والشروع العاجل في اتخاذ الإجراءات الدستورية لتشكيلها.

وفيما يلي نص الاتفاق :

([1]) نقل عن CNN بالعربية .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} صدق الله العظيم

بناءً على المبادرة الكريمة، التي أعلنها خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله بن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية، وتحت الرعاية الكريمة لجلالته، جرت في مكة المكرمة، بين حركتي "فتح" و"حماس" في الفترة من ١٩ إلى ٢١ محرم ١٤٢٨، الموافق من السادس إلى الثامن من شباط -فبراير ٢٠٠٧ حوارات الوفاق والاتفاق الفلسطيني، وقد تكللت هذه الحوارات بفضل الله سبحانه وتعالى بالنجاح حيث جرى الاتفاق على ما يلي :

أولاً: التأكيد على تحريم دم الفلسطيني، واتخاذ كافة الإجراءات والترتيبات، التي تحول دون إراقته مع التأكيد على أهمية الوحدة الوطنية،كأساس للصمود الوطني والتصدي للاحتلال، وتحقيق الأهداف الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، واعتماد لغة الحوار كأساس وحيد لحل الخلافات السياسية في الساحة الفلسطينية.

وفي هذا الإطار نقدم الشكر الجزيل للأخوة في مصر الشقيقة والوفد الأمني المصري في غزة، الذين بذلوا جهوداً كبيرة في تهدئة الأوضاع في القطاع، خلال الفترة السابقة .

ثانياً: الاتفاق وبصورة نهائية على تشكيل حكومة وحدة وطنية فلسطينية، وفق اتفاق تفصيلي معتمد بين الطرفين، والشروع العاجل في اتخاذ الإجراءات الدستورية لتشكيلها.

ثالثا: المضي قدما في إجراءات تفعيل وتطوير وإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية، وتسريع إجراءات عمل اللجنة التحضيرية، استناداً لتفاهمات القاهرة ودمشق.

وقد جرى الاتفاق على خطوات تفصيلية بين الطرفين بهذا الخصوص .

رابعاً: تأكيد مبدأ الشراكة السياسية على أساس القوانين المعمول بها في السلطة الوطنية الفلسطينية، وعلى قاعدة التعددية السياسية، وفق اتفاق معتمد بين الطرفين.

إننا إذ نزف هذا الاتفاق إلى جماهيرنا الفلسطينية، وجماهير أمتنا العربية والإسلامية وكل الأصدقاء في العالم، فإننا نؤكد التزامنا به نصاً وروحاً، من أجل التفرغ لإنجاز أهدافنا الوطنية، والتخلص من الاحتلال، واستعادة حقوقنا والتفرغ للملفات الرئيسية، وفي مقدمتها قضايا القدس واللاجئين والمسجد الأقصى والأسرى والمعتقلين ومواجهة الجدار والاستيطان. والله الموفق .

مكة المكرمة في الثامن من فبراير ٢٠٠٧[1]

وتلا ذلك تكليف إسماعيل هنية بتشكيل الحكومة الجديدة على أن يتم عرضها، بعد الموافقة عليها، على المجلس التشريعي لنيل ثقته.

وبعد الإعلان عن الاتفاق بين الطرفين، قرأ نبيل عمرو، المستشار السياسي لرئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، كتاب التكليف بتشكيل حكومة وحدة وطنية فلسطينية، وبحضور العاهل السعودي، الملك عبد الله بن عبد العزيز، والوفد السعودي ، إلى جانب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس وأعضاء اللجان المختلفة .

وجاء في كتاب التكليف الصادر عن عباس، إلى رئيس الوزراء الحالي، إسماعيل هنية، دعوة إلى الالتزام بالمصالح العليا للشعب الفلسطيني وحماية مصالحه.

كما طالب كتاب التكليف بضرورة احترام الشرعية الدولية والقرارات التي وقعتها السلطة، خلا من أي إشارة إلى الاعتراف بإسرائيل .

وبعد التوقيع على الاتفاق، أكد عباس ومشعل على أنه لن يتم خرق الاتفاق الموقع بين أكبر فصيلين فلسطينيين. وأكد مشعل أن التنظيمين سيتابعان الشراكة السياسية بينهما خلال الأيام القليلة المقبلة . من جهته قال هنية إنه يتعهد بأن تكون حكومة

([1]) نقلا عن --(CNN) بالعربية .

الوحدة الفلسطينية قادرة على تنفيذ مهامها، شاكراً عباس على تكليفه بتشكيل أول حكومة وحدة وطنية فلسطينية .

انقلاب حماس على السلطة الشرعية

ولكن حكومة الوحدة الوطنية التي تم الاتفاق عليها في مكة لم تستطع أن تنهي الأزمة الداخلية والخارجية فعلى المستوى الدولي استمر الحصار الاقتصادي والعزلة السياسية مضروبين على الشعب الفلسطيني ، وعلى المستوى الداخلي ازدادت حدة الصراع بين الأجهزة الأمنية والقوة التنفيذية وعزمت الأخيرة على اغتيال الرئيس عباس أثناء زيارته لغزة حسب رواية الرئيس عباس التي تقول : " جاءني خبر بأن حركة حماس قد زرعت لغماً في طريق صلاح الدين، وعندما أمر هناك سينفجر هذا اللغم، وهذه المعلومات كانت مؤكدة من أجهزة الأمن، ولكن كان ينقصها أن تعرف في أي مكان بالضبط .

ولكني ذهبت إلى غزة في المشوار الأخير، وأنا مؤمن وهذا لا يهم، بل ذهبت وأصررت أن أذهب إلى غزة، وهناك ، جاءني شريط سينمائي من حركة حماس، من أطراف حركة حماس، من شخص من حركة حماس، شاهدت الفلم، فرأيت ستة أشخاص معروفي الوجوه تماماً، وعليهم شارات حركة حماس وحديثهم ، وهم يجرون لغماً لا يقل وزناً عن ٢٥٠ كغم . ويشدونه تحت الأرض، إلى هنا ، ممكن أن يقول أحد الأشخاص ، هذا للإسرائيليين ونحن نضعه احتياطاً، جيد، وهم يحفرون وهم يشدونه إلى أن انتهوا، ثلاثة منهم قالوا : هذا لـــ " أبو مازن " هذا لـــ " أبو مازن " ، هذا لــ " أبو مازن " والقادم للوقائي. هذا صوت صورة، الأسماء معروفة و الوجوه معروفة والشخصيات معروفة، ولمن أراد أن يراها أرسلتها لخالد مشعل في دمشق، فأنكرها من البداية قبل أن يراها وأنا كنت متأكداً من الرسول الذي جاء بها إلي، أنهم أرسلوها لخالد مشعل ليعطيهم ساعة الصفر، متى يطلقون الشرارة و متى يقذفون بهذا اللغم لينفجر بمن ينفجر به.

هذه قضية أرسلتها لجميع الدول العربية وغير العربية ليشاهدوا مدى الإجرام الذي تتمتع به وتتصف به هذه الحركة الظلامية، التكفيرية،الانقلابية. لقد قدم هؤلاء

الانقلابيون عبر أعمالهم الهوجاء وتقديمهم لمصالحهم الفئوية الخاصة على مصالح الشعب والوطن " [1]

لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل وصل إلى ذروته بإقدام حماس يوم ١٥ / ٦ / ٢٠٠٧ علي خطوه لا تحقق بكل المعايير أي مصلحه فلسطينية, عندما قررت الاستيلاء بالقوة علي السلطة في القطاع, وفصلت غزة عن الضفة في انقلاب عسكري عنيف أطاح بمؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية, وطرد كوادر فتح خارج غزة, الأمر الذي سيؤدي بالضرورة إلى تطويح مشروع قيام الدولة الفلسطينية المستقلة إلى أمد زمني مجهول, وربما تكون نتيجته تصفيه القضية الفلسطينية . [2]

لقد كان التحرك العنيف الذي أقدمت عليه "حماس" في قطاع غزة وسيطرتها على السلطة فيه، كفيلاً بإغراق المراقبين الدوليين والمتابعين للساحة الفلسطينية في حال من الذهول وإثارة الأسئلة المستعصية حول مستقبل الوضع الفلسطيني من ناحية، والأسباب التي قادت إلى هذه التطورات من ناحية أخرى. فكيف وصلت الأمور إلى هذه المرحلة؟ ولماذا لم ينجح اتفاق مكة، الذي عقد بين الأطراف الفلسطينية المتصارعة برعاية سعودية، في إخماد فتيل النزاع، رغم تشكيل حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية ؟ ثم أليس ما يجري اليوم بين الفصائل الفلسطينية إيذاناً بانتهاء مبدأ قيام الدولة الفلسطينية المستقلة ؟ وكيف يمكن تفسير ما وصلت إليه الأمور بين "فتح" و"حماس" من سوء في الوقت الذي يعاني فيه الشعب الفلسطيني من وضع إنساني بالغ التردي يقترب من حالة اليأس؟

ويجيب الرئيس عباس عن هذه التساؤلات قائلا : " مخطئ من كان يحاول حرف الأمور وتبسيطها في تصوير هذا الصراع وكأنه صراع بين فتح وحماس . إنه صراع بين المشروع الوطني وبين مشروع الميليشيات. بين مشروع الوطن الواحد

---

(1) من خطاب محمود عباس في افتتاح دورة المجلس المركزي لمنظمة التحرير ٢١ / ٢٠٠٧/٦ مركز الإعلام الفلسطيني .

(2) مكرم محمد أحمد " حدود التماس بين المصالح الوطنية والإقليمية " الأهرام ٧ / ٧ / ٢٠٠٧ .

وبين مشروع الإمارة أو الدويلة المزعومة، بين مشروع يسعى إلى فرض شروطه بالقوة والى إقامة نظامه المنغلق الخاص وبين مشروع اعتمد الديمقراطية والحوار والمشاركة الوطنية طريقاً لحل الخلافات. بين من يلجئون إلى الاغتيال والقتل والإعدامات وتدبير المكائد لتحقيق أغراضهم الفئوية وبين من يلجأ إلى قواعد القانون والحرص على وحدة الوطن وشعبه.(1)

لقد أدان كل المحللين ما قامت به حماس من انقلاب على الشرعية حتى من كان يأمل في حماس خيرا وسعد بفوزها في الانتخابات التشريعية وتشكيلها للحكومة .

يقول د. عبد العليم محمد " كنت في مقدمه الذين رحبوا بصعود حماس, في الانتخابات التشريعية , التي جرت في مطلع عام ٢٠٠٦ , وأيدوا موقفها عندما شكلت حكومتها, في عدم الاعتراف بإسرائيل ورفض شروط اللجنة الرباعية المنحازة لإسرائيل .. كنت أعول كغيري علي قدره حماس علي طرح تصور شامل للحل السلمي مع إسرائيل, وقدرتها علي إيجاد بدائل تخفف من وطأة الحصار المفروض, ولكني فيما يبدو قد حملّت حماس بأكثر مما تحتمل ألقيت علي عاتقها مهمة تفوق إمكاناتها وقدراتها, ولا تسمح البيئة الإقليمية والدولية والعربية بإنجاحها.

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لكان مفهوما, فقد حاولت حماس ولكنها فشلت لظروف معقدة , ولكني فوجئت بتدهور الأوضاع في غزة علي النحو المعروف, والذي انتهي بسيطرة حماس فعليا علي القطاع والاستيلاء علي مقار الأجهزة الأمنية والاستخباراتية الفلسطينية في القطاع, ومصدر المفاجأة هو :

أولا : الاحتكام إلى قوه السلاح لحسم صراع سياسي في الرؤى والمفاهيم مع حركه فتح, والتي برغم تآكل رصيدها الشعبي والجماهيري تحت وطأة الفساد والمحسوبية والبيروقراطية, احتفظت بتقاليدها الديمقراطية والتعددية حيث تمكن

---

(1) من خطاب الرئيس محمود عباس في افتتاح دورة المجلس المركزي لمنظمة التحرير ٢١ / ٢٠٠٧/٦ مركز الإعلام الفلسطيني.

محمود عباس من إقناع الرئيس الأمريكي بضرورة مشاركة حماس في الانتخابات التشريعية عام٢٠٠٦, بهدف إدماج حماس في النظام السياسي الفلسطيني, واقنع الرئيس الأمريكي إسرائيل بالسماح لحماس بخوض الانتخابات, بل أقرت فتح والسلطة واعترفت بنتائج هذه الانتخابات وكلفت حماس بتشكيل الحكومة وفق الأعراف المتبعة .

ثانيا : العنف المفرط الذي صاحب وواكب هذه الأحداث والتطورات والذي عالجته عديد من التقارير الدولية, واعتبرته بمثابة جرائم حرب, الإعدام دون محاكمة, إلقاء مواطن من الدور الخامس عشر, إذلال وامتهان كرامة من وقع في قبضة اعتقال أعضاء حماس من حركه فتح, هذا العنف غريب علي الحالة الفلسطينية والثقافية الفلسطينية, ففلسطين مهد الديانات السماوية والتسامح مع الآخر, وطورت الحركة الوطنية الفلسطينية تقاليد وتراثا وقواعد للتنوع والاحترام المتبادل مع الأقليات الدينية والمذهبية, هذا العنف الموجه لرفاق الدرب والسلاح بصرف النظر عن آرائهم السياسية وتصوراتهم للحل, غير مبرر, ويتناقض مع الثقافة الفلسطينية إلى حد أن ربع الشعب الفلسطيني في أحد الاستطلاعات, يخجل من كونه فلسطينيا, بعد مشاهد العنف التي بُثَت علي شاشات التليفزيون.(1)

والسؤال الذي يطرح نفسه وبقوه, هو لماذا هذا العنف المفرط في مواجهه فريق من الفلسطينيين ؟ ومن أين استمد أخلاقياته ومصادره ؟

يمكن رصد عدة احتمالات يمكن أن تفسر لنا سر هذا العنف منها :

١- ممارسات الاحتلال الإسرائيلي ضد أبناء الشعب الفلسطيني من هدم المنازل واغتيالات ، واعتقالات ، وتعذيب بكافة أشكاله هذه المشاهد اليومية التي تتراكم في الوعي الفلسطيني, خاصة جيل الانتفاضة من أعضاء حماس, ترسبت في الذاكرة ومارست سطوتها علي اللاوعي ومخزونة, بحيث إنه من المحتمل أن يكون قد تمت استعادة هذه المشاهد وهذا المخزون في اللحظة التي بدا فيه هذا الأمر ممكنا, أي عندما تصاعدت الأحداث إلى حد السماح بالمواجهة العسكرية والمسلحة, فإذا كان

---

(1) د. عبد العليم محمد " محاولة لتفسير العنف في أحداث غزه " الأهرام ١٤ / ٧ / ٢٠٠٧

هذا الجيل من أبناء انتفاضة الحجارة عام١٩٨٧ ضحية عنف الاحتلال وممارساته القهرية اليومية والمستمرة, فإنه في الوقت ذاته يمكن افتراض أن الضحية في لحظه معينه قد تقوم بممارسات الاحتلال ذاتها بشكل واع أو غير واع [1] وسواء أكانت هناك أوامر بذلك أم لا, حيث تمت تعبئه سياسة وأيديولوجية وشحن نفسي ضد الخصم, يسوغ اللجوء لهذه الدرجة من العنف . [2]

٢- عدم سيطرة قادة حماس على ميلشياتها المسلحة تلك المليشيات التي تذكرنا بالتنظيم السري للإخوان المسلمين المعروف باسم " النظام الخاص " وهو النظام المسئول عن تشويه صورة جماعة الإخوان المسلمين وتحويلها من جماعة دعوية تدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن إلى جماعة دموية تدعو إلى سبيل مصلحتها بالعنف والتصفية الجسدية لكل من يخالفها الرأي حتى إن كان من أعضاء الجماعة نفسها مما حدا بالشيخ حسن البنا بأن يصدر بيانا يقول عن هؤلاء الإرهابيين : " ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين " .

فمن يحمل سلاحا فإنه يستبدل بالحوار الرصاص ويستبدل بالعقل الحماسة خاصة إذا كان شبابا صغير السن قليل الخبرة فائر الحماس .

٣- اختراق حركة حماس من قبَل إسرائيل أو قوى إقليمية لها أجندتها الخاصة مثل : سوريا أو إيران أو حزب الله . كل هذه القوى تسعى للاستفادة من سلاح حماس في تحقيق أهدافها فإسرائيل كانت تسعى دائما لإيجاد البديل الذي ينافس منظمة فتح ويفرق اجتماع الشعب الفلسطيني حول ياسر عرفات وهناك رواية تقول : إن رابين عندما كان وزيرا للدفاع هو الذي أقنع الحكومة الإسرائيلية بأن السبيل الوحيد لإضعاف الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية هو دعم ومساندة منظمة فلسطينية بديلة أو موازية تتواجد في الأراضي الفلسطينية المحتلة حتي تصبح مناوئا قويا أو منافسا قويا لعرفات وتستطيع أن تسحب البساط

([1]) حدث هذا مع اليهود الذين ذاقوا ألوان العذاب على يد النازيين فلما أتتهم الفرصة في إقامة دولة في فلسطين تحول الضحايا إلى نازيين يذيقون الفلسطينيين ألوان العاب والقتل !!

([2]) د. عبد العليم محمد " محاولة لتفسير العنف في أحداث غزه " الأهرام ١٤ / ٧ / ٢٠٠٧

من تحت أقدام فتح التي يستمد منها عرفات قوته في الشارع الفلسطيني وداخل غزة بالذات، وأنه وجد ضالته تلك في حماس المنبثقة من تنظيم الإخوان المسلمين وحقق ذلك بالفعل من خلال مساعدتها.

وقد يكون من المهم في هذا الشأن أن نقول بوضوح أننا لا نستطيع نفي أو إثبات هذه الرواية التي ظلت تتردد كثيرا علي الساحة السياسة العربية طوال السنوات الماضية، ولا زالت تتردد حتي الآن رغم نفيها بصفة قاطعة من جانب رجال وقادة حماس، وتأكيدها بصفة قاطعة من الجانب الآخر، بل وتأكيد البعض بأن رابين ذكر ذلك أكثر من مرة .

أما سوريا التي يعيش خالد مشعل – رئيس المكتب السياسي لحركة حماس – على أرضها فتسعى لاستخدام سلاح حماس لمساومة إسرائيل من أجل استعادة الجولان المحتل .

وتسعى إيران لاستخدام سلاح حماس كورقة ضغط لإفشال المشروع الصهيوني واستبدال مشروع إعادة الإمبراطورية الفارسية به .

أما حزب الله فيمثل طليعة الزحف الشيعي الذي تقوده إيران على العرب السنة لاستعادة الخلافة التي اغتصبها العرب السنة من علي بن أبي طالب وشيعته .

٤- انتماء حركة حماس إلى العقل التقليدي الإسلامي, وهو هذا العقل الذي وإن كان لا يدعو صراحة لاستخدام العنف إلا أنه في الوقت نفسه يشترك مع العقل الإرهابي الإسلامي في رفض الواقع, لأنه مخالف لأحكام الشريعة الإسلامية ويدعوه لتغييره, وأن كان كما يزعم أنصاره باستخدام الوسائل السلمية, ومن بينها الأساليب الديمقراطية. والواقع أن التأمل في منطلقات كل من العقل الإرهابي والعقل التقليدي سرعان ما يجعلنا نكتشف أن الفروق بينهما هي فروق في الدرجة وليس في النوع !

ومما يدل علي ذلك الحوادث الإرهابية التي تدلل علي أن أنصار العقل التقليدي كثيرا ما انزلقوا إلى طريق العنف, مثلهم في ذلك مثل أنصار العقل الإرهابي تماما. وليس هذا غريبا علي كل حال, لأن هناك تشابها, بل وتوحدا بين كلا العقلين

الإرهابي والتقليدي. فكلاهما ينطلق من مقولة تكفير الآخرين والحكم بجاهلية المجتمع. وكلا العقلين يقومان علي أساس التحريم, ونعني تحريم عديد من ضروب السلوك بحجه أنها مخالفه للشرع القويم, بالإضافة إلى الرغبة العارمة في الهيمنة علي عمليه إدارة المجتمع في السياسة والاقتصاد والثقافة, وفقا لتفسيرات بدائية ونظريات رجعيه من شأنها اعتقال السلوك الإنساني مهما كان سويا وصبه في خانة المحرمات .[1]

وعليه فإن العنف الذي مارسته حماس مصدره ديني عقائدي يتأسس علي أن الخصم رغم أنه فلسطيني فهو كافر أو خائن أو عميل أو متعاون مع الاحتلال الإسرائيلي , وأن مواجهته والقضاء عليه بكل أشكال العنف مدخل لنيل الشهادة والاستشهاد ودخول جنه عدن, وتذكرة مرور إلى البطولة والخلود وإعلاء لكلمة الإسلام والإسلام بريء من هذه الجرائم .[2]

من المحتمل أن يكون أحد هذه الاحتمالات هو الذي يقف وراء العنف غير المبرر والهمجي, الذي شاهدناه في أحداث غزه, وقد تكون كل هذه الاحتمالات مجتمعه هي التي تقف وراء هذه الظاهرة بنسب متفاوتة, وافتراض وجود هذه الاحتمالات لا ينفي وجود احتمالات أخرى أسهمت في إنتاج هذا العنف في غزه مثل اليأس وفقدان الأمل والقصور عن تحقيق الأهداف المعلنة, والإحباطات الشخصية والطموحات الفردية والرغبة في الانتقام والحصار وما دون ذلك من الأسباب العميقة التي يمكنها أن تنتج عنفا مشابها.

ومحاولة تفسير هذا العنف لا تبرره علي أي نحو, بل تجعلنا نفهم دوافعه وأخلاقياته الموجهة, لكي نتفحص ذواتنا وننتقد أنفسنا ونتعرف كم أخطأنا, ونصمم علي تجنب تكرار هذه المشاهد في حياتنا السياسية ونتعلم كيف نقوم ونصحح

([1]) السيد يسين " خطاب الماضي ولغة المستقبل " جريدة الأهرام ٧/٦ / ٢٠٠٧

([2]) د. عبد العليم محمد " محاولة لتفسير العنف في أحداث غزه " الأهرام ١٤ / ٧ / ٢٠٠٧

خلافاتنا وندبرها بشكل متحضر وأرقي من المشاهد التي رأيناها ونضع ميثاقا فرديا وجماعيا عفويا أو منظما لحظر العنف وتجريمه وإرساء قواعد للاختلاف والحوار[1]

المدهش حقا أن منظمة حماس السياسية الإسلامية التي ترفع شعار المقاومة ورفض الاعتراف بإسرائيل أو التعامل معها واعتبار من يتصل بها خائنا إن لم يكن كافرا وزنديقا وفاسقا وخارجا علي الملة والشرع, تمَّ ضبطهم أخيرا في حاله تلبس شرعي وهم جلوس مع مسئولين إسرائيليين للتفاوض حول الجندي شاليت واستمرار إسرائيل في إمداد قطاع غزه بالكهرباء والغاز والمياه بعد أن سيطروا عليه أقاموا عليه دولتهم أو دويلتهم التي سينطلقون منها لبناء دوله خلافة إسلامية مترامية الأطراف مثلما كان الأمر من قبل.

وهذا الفعل المنكر الذي أقدموا عليه والذي كان محرما من قبل علي الجميع يعد نقضا لكل ما سبق أن قالوه وصرحوا به ونقيضا لكل الشعارات التي رفعوها وزايدوا بها علي الآخرين.

ومثل هذا الاتصال بإسرائيل والإسرائيليين نقطه تحول جوهرية في سياسة المنظمة , فقد تبين قادة وزعماء المنظمة أنهم إن لم يتصلوا بالإسرائيليين, وواصلوا التمسك بمواقفهم السابقة فقد تلجأ إسرائيل لحرمان القطاع من هذه الخدمات كوسيلة من وسائل الضغط وتشديد الحصار من حول قطاع غزة والمنظمة. ومن المعروف أن إسرائيل ليست تكية أو جمعية خيرية وبما يعني أنها طالبت وستطالب بثمن مقابل استمرار تقديم هذه الخدمات. وبما أن حماس لا تملك أوراقا للضغط علي إسرائيل إلا هذه الصواريخ غير الفعالة فمن المرجح أنها وافقت علي بعض المطالب الإسرائيلية.

([1]) نفسه .

وان لم توافق فلن يكون هناك مزيد من الغاز أو الكهرباء أو الماء.

ومثل هذه المفاوضات لا يمكن القول أنها تختلف عن المفاوضات السياسية كما يحاول قادة حماس إقناع الآخرين بذلك, فأي اتصال بإسرائيل أو التفاوض معها هو في النهاية اتصال سياسي, وهو خروج علي كل الثوابت التي سبق أن أعلنتها حماس وتمسكت بها, وكانت أحد أهم أسباب الخلاف مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس.

والآن, وبعد هذه الخطوة التي أقدمت عليها حماس فان من حق المراقبين أن يتساءلوا, ولماذا كان التشدد ووجع الدماغ طوال الفترة الماضية ؟!! (1)

إقالة حكومة حماس

وكان رد فعل حركة فتح إزاء هذا الانقلاب العسكري الدموي أن أصدر الرئيس عباس عدة قرارات أهمها إقالة حكومة حماس الانقلابية ،وإعلان حالة الطوارئ ،وتعين حكومة طوارئ برئاسة سليمان فياض ،وإرجاء الحوار بين فتح وحماس إلى حين إنهاء الاحتلال العسكري لقطاع غزة واعتذار قيادة حماس عن جريمة الانقلاب الدموي التي أقدمت عليها . وفي هذا يقول الرئيس عباس :

" لقد وصلنا الآن إلى منعطف جديد، لم تعد تصلح فيه الدعوات السابقة إلى الحوار . ولا بد من إنهاء الانقلاب بجميع أشكاله ومظاهره، بما فيه حل القوة التنفيذية الأداة المنفذة لهذا الانقلاب التي أعلنا في مرسوم رئاسي أنها قوة خارجة على القانون، واعتذار قيادة حماس إلى الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية عن جريمة الانقلاب الدموي التي أقدمت عليها، وتسليم جميع مؤسسات السلطة ومراكزها ومقراتها إلى الحكومة الشرعية الجديدة لفلسطين الواحدة، والعمل وفق ما تقرره هذه الحكومة على أساس القانون إزاء الانتهاكات والجرائم والاغتيالات والإعدامات والنهب والسرقة والتعديات التي وقعت ولا تزال تقع حتى يومنا هذا في قطاع غزة وأريد التأكيد في الوقت نفسه أننا ماضون في طريقنا نحو المستقبل، ولن يعيقنا الانقلابيون عن مواصلة عملنا في سبيل حرية وطننا واستقلاله

---

(1) عبده مباشر "حماس والمفاوضات مع إسرائيل " جريدة الأهرام ١١/ ٧ / ٢٠٠٧

وضمان الأمن والأمان لأبنائه وتخليصهم من قيود الفقر والحرمان والتدهور الاقتصادي والبطالة.

ومن أجل هذا الغرض، وحتى نمنع الانقلابيين من تحقيق أهدافهم في شق وحدة الوطن وتأليب أجزاء من الشعب ضد الأخرى وبذر بذور الحرب الأهلية الدائمة والمستمرة. فلقد أقلنا الحكومة السابقة، وأعلنا عن حالة الطوارئ ، وشكلنا حكومة وطنية فلسطينية من الكفاءات الوطنية المستقلة برئاسة أخي الدكتور سلام فياض حتى تتولى مسؤولياتها في تنفيذ برنامج وطني أساسه الأمن والأمان للمواطن وتأمين شروط المعيشة الكريمة للشعب بأسره في جميع أرجاء الوطن في الضفة وغزة والقدس .

ويأتي تشكيل الحكومة الجديدة بهذه المواصفات حتى نؤكد رفضنا احتكار السلطة من قبل فئة واحدة أو فصيل، وأن المجتمع الفلسطيني بما يملكه من كفاءات وطاقات خيرة وبناءة قادر على إنتاج حكومة تعمل على حماية مصالحه وعلى تخليصه في أسرع وقت من براثن الأزمة والانهيار والإفقار والمجاعة وتخريب المؤسسات. إن نهوض الحكومة الجديدة بمسؤولياتها الأمنية والمعيشية هو الرد الواضح على الانقلاب.

وأريد أن أؤكد أن المدارس والمعاهد والجامعات سوف لن تكون إلا مراكز للتعليم والتنوير، وليس للجهل والظلامية ونشر الفكر الحاقد الذي يمزق وحدة الشعب ونسيجه الاجتماعي . كما أن المساجد يجب دعمها وتطويرها بحيث تظل مراكز للعبادة وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، وليس مراكز للدعاية السياسية والاستغلال لصالح فئة أو طرف أو مخازن للسلاح ومراكز للتحقيق . [1]

هذا ما فعلته حماس، وهذا ما تفعله حتي الآن.. وإذا كانت هناك رسالة يجب أن يقرأها الجميع بجدية فيما جري ويجري في غزة فهي التوقف مليا وطويلا أمام عدة أمور هامة :

([1]) من خطاب الرئيس محمود عباس في افتتاح دورة المجلس المركزي لمنظمة التحرير. ٢٠٠٧/٦/٢١

أولها : ذلك الإصرار المستمر والمتواصل من جانب حماس علي الإدعاء الكاذب بتمسكها وإيمانها بالديمقراطية وصندوق الاقتراع كوسيلة للوصول إلي السلطة، ثم استخدام هذه السلطة في امتلاك جميع الوسائل للانقلاب علي الشرعية وتصفية جميع الشركاء والقضاء علي جميع القوي الأخرى والاستئثار بالسلطة وحدها، ووضع نهاية مأساوية للديمقراطية، وأنها في سبيل ذلك لا تتورع عن القتل وسفك الدماء وسيلة لامتلاك السلطة وتصفية الآخرين.

ثانيها: أنه رغم انقلاب حماس علي الشرعية، وقتلها جميع المناوئين لها وارتكابها للعديد من العمليات غير الشرعية ابتداءً من تفجير مقرات الحرس الرئاسي والأمن الوقائي إلي الاستيلاء علي مقر الرئيس الفلسطيني وتدميره وسلب ما فيه وكذلك اقتحام مقر الرئيس عرفات وتحطيم محتوياته ، إلا أنها فور استتباب الأمر لها في غزة بدأت في الحديث عن الشرعية مرة أخرى، وأعلنت أنها هي الحريصة علي الشرعية، وأن الرئيس الفلسطيني محمود عباس خرج عن الشرعية بإعلانه حالة الطوارئ وإقالته لحكومة حماس بزعامة هنية.. ثم راحت تؤكد أن قرار تشكيل حكومة طوارئ غير شرعي .

وثالثها: المجلس التشريعي الفلسطيني الذي أتت الانتخابات الأخيرة بغالبيته من حماس كان صامتا طوال الأيام الدموية وظل صامتا لا يعقب ولا يتحدث ولا يتدخل بالمنع أو الاعتراض علي عمليات القتل والتصفية التي مارستها حماس ولم يقف لحظة ضد حرب التصفية التي تشنها حماس ضد من يخالفها الرأي ولكنه فجأة انتفض وتحرك بعد انتهاء هذه الجرائم، وخرج أعضاؤه الحماسيون كي يقولوا إن قرارات إعلان الطوارئ وتشكيل حكومة فياض غير شرعية، وضد النظام الأساسي للسلطة.. أليست هذه مهزلة ؟!

وأرجو أن يكون في ذلك عبرة لنا جميعا سواء في مصر أو في غيرها من الدول العربية.. فالمتطرفون يتربصون بنا جميعا ولا يحفظون وطننا ولا يراعون الله.[1]

([1]) جريدة الأخبار ١٨ / ٦ / ٢٠٠٧

ما جري في غزة جريمة بكل المقاييس لا نستطيع أن نبرئ منها طرفا من الأطراف الفلسطينية . الكل مسئول. حماس وفتح نجحتا ــ خلال أيام ــ في تحقيق ما عجزت إسرائيل عن تحقيقه في ستين سنة !

كانت أمنية اسحاق رابين أن تغرق غزة في البحر ليستريح من هجمات المقاومة علي المستوطنات الإسرائيلية, ومات دون أن يحقق أمنيته.

الآن ينام رابين في قبره قرير العين, سعيدا مسرورا لأن غزة غرقت ــ فعلا ــ في بحر من الدماء, وغرق أصحاب القضية في النزاع!

أما رئيس الوزراء الإسرائيلي اريبل شارون الذي يعيش في غيبوبة, فقد أكد الفلسطينيون ما زعمه عندما قرر الانسحاب من قطاع غزة من أنهم ليسوا جديرين بأي استقلال, أو حرية!

الإسرائيليون علي اختلاف عقائدهم يقدمون الشكر الجزيل لكلا الطرفين حماس وفتح اللذين يتسلحان لمواجهة أحدهما للآخر وليس لمواجهة إسرائيل, ويرميان بعضهما بالخيانة, والتآمر, والعمالة.

والذين كانوا يقاومون إسرائيل مطالبين بدولة حرة مستقلة وعاصمتها القدس اختاروا تصفية أنفسهم بأنفسهم من أجل سلطة وهمية لوطن تحت الاحتلال لا يملك من أمره شيئا.

وضع محزن, ومأساوي, وكارثي لا يلوح في الأفق القريب أن يتحسن. فوجود حماس في قطاع غزة سيزيد من تجويع سكانه, وحصارهم, وربما عودة الاحتلال إليه من جديد إذا وجدت إسرائيل أن ذلك في مصلحتها. بل إن القطاع معرض لحرب أهلية, فمعظم سكانه لا يؤيدون حماس, وقد تندلع اشتباكات بين مؤيدين ومعارضين لحماس, مما يسفر عن وقوع ضحايا أبرياء. وفلسطين التي كانت واحدة أصبحت اثنتين. واحدة في غزة, وأخري في الضفة الغربية!

والحكومة أصبحت اثنتين أيضا. واحدة برئاسة إسماعيل هنية, والثانية برئاسة سلام فياض!

كيانان منفصلان, وحكومتان لشعبين منفصلين من الناحية الجغرافية والسياسية.

شيء مضحك ومبك في آن واحد. وإذا لم يتم تصحيح هذا الوضع الشاذ في أسرع وقت ممكن, فقولوا: علي القضية السلام. (¹)

تقييم لتجربة حماس في السلطة :

١- كان على حماس أن تقبل بتشكيل حكومة تكنوقراطية (خبراء) أي حكومة من الفنيين المتخصصين في شئون سياسة البلاد على أساس علمي وفني للنهوض بالوطن ومجابهة الأخطار المحدقة بالمنطقة العربية ، والعمل على سياسة البلاد على أساس علمي لا حزبي .

٢- كان على حركة حماس التي سحرت الناس في المساجد ورفعت شعارات مثالية غير واقعية أن تأخذ في الأسباب العملية لإصلاح الوضع الفلسطيني الداخلي متعاونة في ذلك مع كافة الفصائل الفلسطينية ، كما تعمل على كسب العالم بأسره وشعوبه إلى جانب القضية الفلسطينية لا أن تخسرهم وتعطي مبررا لإسرائيل لتنفيذ مخططاتها في القدس والأغوار والضفة ، وألا تتصرف حركة حماس وكأنه لا يوجد في العالم أحد سواها كما كان عليها أن تتصرف بواقعية وتتحلى بالذكاء السياسي التكتيكي ، وأن تعترف – تكتيكيا – بالعقود المبرمة مع إسرائيل وتعمل على تنمية بلدها وإصلاح مؤسساته .

٣- كان على حركة حماس ألا تلجأ إلى رفع السلاح في وجه إخوانهم من الفلسطينيين وإن اختلفوا معهم في الرأي والتوجه ، وألا تنقلب على الشرعية وتحتل غزة عسكريا ، وتمارس أبشع أنواع العنف مع مناوئيها .

٤- كان على حماس أن تقدم المصلحة الفلسطينية على أجندتها الخاصة أو أجندة حلفائها من القوى الإقليمية .

٥- كان على حماس أن تعلم أن تبنيها لسياسة المقاومة كاختيار وحيد لحل المشكلة الفلسطينية خطأ فادح ، فالمقاومة المسلحة لا تحسم مشكلة كهذه إنما تضاعف منها فبعد أن بدأ هجوم السلام الذي بدأته فتح في بداية التسعينات وأثمر عن اتفاق غزة أريحا كما أثمر عن تعاطف دولي عام مع الحقوق الفلسطينية وبدد

(¹) عبد المعطي أحمد جريدة الأهرام ١٨ / ٦ / ٢٠٠٧

حلم المتطرفين الصهاينة في إقامة دولة يهودية من النيل للفرات وأفقد اليمين الإسرائيلي المتطرف شعبيته فإن ما فعلته حماس استعدى على فلسطين كل القوى الدولية وأعاد لليمين الإسرائيلي المتطرف شعبيته ونظرة إلى برنامج حزب الليكود في الانتخابية الإسرائيلية الأخيرة يبين مدى ما جلبته حماس على الفلسطينيين من عداء .

فبرنامج حزب الليكود والذي قدمه للانتخابات يهدف بالدرجة الأولى إلى ترهيب الشارع الإسرائيلي من حركة حماس ومحاولة إفشالها فجاءت شعاراته كالتالي:

١- حزب الليكود أقوى من حركة حماس .

٢- حماس هنا يعني أن إيران هنا .

٣- حماس دخلت إلى القدس وسياسة الانسحابات المجانية انهارت .

٤- حزب الليكود ونتنياهو هو الأمثل .[1]

برغم أني من دعاة الديمقراطية ، والتداول السلمي للسلطة والاحتكام لصناديق الانتخاب إلا أني مؤمن بأن الشعوب العربية نتيجة للممارسات الحكام الاستبدادية قد تم تزييف وعيها ، وإفساد عقلها ، مما أفقد الجموع الغفيرة منها القدرة على اختيار الصحيح لمن يمثلها .

فالشعوب العربية – ويجب ألا نخدع أنفسنا – ليس لديها الوعي السياسي لاختيار من يضطلع بالمهام الجسام ويقدم الحلول العلمية العملية الواقعية للأزمات الراهنة بعدما فشل حكوماتها في حلها مما أوقعهم في أسر التيارات الدينية الرجعية التي تعدها – دون تقديم برامج إصلاحية حقيقة – بحل جميع مشكلاتها فور وصولها لسدة الحكم فتفني إسرائيل ومن ورائها ، وتعيد للأمة مجدها الغابر ، وستفتح المشارق والمغارب ، وستحقق لهم السعادة في الدارين : الدنيا والآخرة .

والحل الذي أراه أن تشكل حكومات تكنوقراطية أي حكومات من الفنيين المتخصصين في شئون سياسة البلاد على أساس علمي وفني للنهوض بالوطن ومجابهة الأخطار المحدقة بالمنطقة العربية ، والعمل على سياسة البلاد على أساس

---

(١) سالم جبران جريدة الرأي ٢٨/٣/٢٠٠٦

علمي لا حزبي . وحشد الأمة للقيام بمشاريع إصلاحية ، ونشر والوعي الديني والسياسي والمعرفي الصحيح . وبعد أن يتم ذلك يمكن أن اللجوء إلى صناديق الانتخاب الاختيار من يمثلهم أما قبل ذلك فستكون فتنة والتجربة الحزبية اللبنانية ليست منا ببعيد . هكذا بدأت الدول المتقدمة ، بدأت باستبدالهم بالتفكير السلبي في العالم الآخر والتفرغ للعبادة ، التفكير العلمي في شئون الدنيا و العمل على تعميرها وإصلاحها . واستبدالهم بالتقليد والاتباع ، التجديد والإبداع . واستبدالهم بالجهل والخرافة والخضوع لنفوذ رجال الدين الفاسدين ، العلم والثقافة والانتفاع بالعلوم الطبيعية ، وآراء المفكرين المصلحين . استبدالهم بالخمول والكسل والسلبية و الاتكالية النشاط والعمل والإيجابية والاعتماد على النفس .

وكان النتيجة أن أصبحت قيمة الفرد في المجتمع بقدر عمله وإبداعه وتميزه لا بحكم أصله وجنسيته ، واحتل العلماء والمبدعون مكانة رجال الدين في عصور التخلف . وهبت على المجتمع نسمات الحرية المنعشة فأتاحت للفرد حرية التفكير والعلم والعمل والقول والإبداع ، ومتى أحس الإنسان أنه حر ، وأنه غير مستغَل ، وأن تقدمه مرهون بعمله بذل أقصى جهده في العمل الخلاق المبدع ، وسطعت شمس التفكير العلمي التجريبي فبدأت ظلمات الأوهام والخرافات تتبدد وهذا ما حدث إبان النهضة الأوربية .

إذن التفكير العلمي كان وراء نهضة أوربا " ونستطيع أن نقرر في غير تحفظ قليل أو كثير أن الفكر العلمي كان دائما وراء كل تقدم أحرزته الإنسانية في عصورها المختلفة وإنما بدأ ذلك منذ عرف الإنسان كيف يمارس التجربة ، يخطئ ثم يصيب فعرف الطريق إلى المعرفة العلمية أو العلم " (١)

هذا التفكير الذي قادهم إلى التفكير والإبداع ونبذ التقليد والإتباع هذا التفكير الذي قادهم للاستفادة من الأمم المتحضرة التي سبقتهم في ميادين العلم و المعرفة .

***

[1] – د. عبد الحليم منتصر " أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية " الهيئة العامة للكتاب ص ١٧٩

كتب للمؤلف

(أ) كتب مطبوعة

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي .

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي . دار الإبداع للصحافة والنشر .

٣- هذه استراتيجيتهم ، فماذا نحن فاعلون ؟ دار الإبداع للصحافة والنشر .

٤- إسرائيل وحزب الله ولبنان ،الفائز والخاسر ومن دفع الثمن.دار الإبداع للصحافة والنشر

٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة.دار الإبداع للصحافة والنشر

٦- من أحلام الشباب (قصص قصيرة) دار الإبداع للصحافة والنشر .

٧- زمن الطغيان (قصص قصيرة) دار الإبداع للصحافة والنشر .

٨- ابن السلطان يبحث عن سمير (قصص قصيرة) دار الإبداع للصحافة والنشر .

(ب) كتب تحت الطبع

* سلسلة نحو فهم صحيح لحقيقة الصراع العربي الصهيوني

١- الدين والسياسة والنبوءة .

٢- حقيقة اليهود وأوهام العرب .

٣- العرب والمخطط الصهيوني .

٤- الطبيعة العربية والصهيونية ، الزعامات المزعومة والسياسات المدروسة

٥- دروس سياسية من التجربة الناصرية .

٦- معجزة إسرائيلية أم خيبة عربية .

٧- الخلاص الإلهي في آخر الزمان في اليهودية والمسيحية والإسلام .

* رؤية إسلامية للحضارة المصرية القديمة .

- يؤمن المؤلف بأنه لن يُجدّد شباب الأمة العربية والإسلامية إلا الإيمان الصادق ، و الفكر المستنير ، والعمل المخلص ، وفقه الواقع ، وأنه ليس أضر عليها من النفاق ، وجمود الفكر ، والتواكل ، والجهل بالواقع .

التليفون المحمول : ٠١٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

***

محتوى الكتاب

الفصل الثالث : الانتفاضة

الفصل الرابع : مباحثات السلام الإسرائيلية /الفلسطينية